

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ

الخُرُاج

١٠٠٢٢٢٧

في الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر العباسي الأول
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



٢٤-

إشراف
الدكتور حماد بن محمد السامري

إعداد
عز الدين عبد الله محمد فوزي باشا

١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
مكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُكْرُ وَقَدَرٍ

(ب)

شكر وتقدير

الشكر لله سبحانه وتعالى على ما تفضل به ، والحمد لله على توفيقه
واحسانه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه .

فهذا جهد متواضع فى موضوع " الخراج " لا أستطيع أن أزعم
أنى أتيت بما عجز عنه غيرى ، ووصلت بالموضوع الى درجة الكمـال ،
ولكن أجمل أنى بذلت جهد وقضيت فترة ، حاولت فيها اخـراج
الموضوع على أحسن صورة ، ومن الهدى فان موضوع " الخراج " من
الموضوعات الصميقة التى مهما افترف منه الباحث يجد مطلوبه ، ولكن
على الباحث أن يحسن عملية الاغتراف ، ويأخذ المطلوب بمـيزان ،
وأحمد الله على ذلك . كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل
للأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى المشرف على الرسالة على العناية
والرعاية اللتين شملنى بهما ، وعلى اشرافه وتوجيهه المتواصل ، وهذا
أقل ما يمكن أن أقدمه لشخصه العزيز ، وأسأل الله سبحانه وتعالى
أن يكثر من أمثاله ، وأن يجزيه عنى وعن طلبة العلم كافة خير الجزاء ،
كما أقدم خالص شكرى الى كل من قدم لى يد المساعدة من أساتذة وزملائى
الطلبة .

والله ولى التوفيق ،

.....

مكتبة الرسائل

محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
١	شكر وتقدير
ج	محتويات الرسالة
١	نطاق البحث وتحليل المصادر
٢٢	المدخل الى الخراج
٣٦	<u>الفصل الأول :</u>
	مصطلح الخراج :
٣٧	١ - أرض الخراج
٥٠	٢ - مياه الخراج
٥٧	٣ - قانون الخراج
٦٤	٤ - ادارة الخراج
٨٣	<u>الفصل الثاني :</u>
	" الخراج في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين "
٨٤	١ - الخراج في القرآن الكريم
٩٦	٢ - الخراج في السنة النبوية المطهرة
١٠٤	٣ - الخراج : وجهايته في عهد الخلفاء الراشدين
١١٣	أ - عمر وأحكام أرض الخراج
١٣٢	ب - سياسة عمر الادارية مع عمال الخراج
١٤٢	ج - تحديد مقدار الخراج في عهد عمر
١٥٨	د - سياسة عثمان الادارية مع عمال الخراج
١٦٠	هـ - سياسة علي الادارية مع عمال الخراج

الصفحة	الموضوع
١٦٩	<u>الفصل الثالث :</u>
	" الخراج في عصر الدولة الأموية "
١٧٠	١ - التطور الحاصل في النظرة الى الأرض الخراجية
٢١١	٢ - التبدل الحاصل في نسبة الجباية ووسائل تحديدها
٢١٨	٣ - وسائل الجباية :
٢١٨	أ - الوظيفة
٢٢٠	ب - المقاسمة
٢٢٢	ج - المساحة
٢٢٣	د - المقاطعة
٢٢٦	<u>الفصل الرابع :</u>
	" الخراج في العصر العباسي الأول "
٢٢٦	١ - تبدل النظرة الى الأرض الخراجية
٢٤٧	٢ - تطور أساليب الجباية عند العباسيين :
٢٤٧	أ - القبالة .
٢٥١	ب - الضمان .
٢٥٤	ج - الجهبذة .
٢٦٠	د - الجعالة .
٢٦٢	٣ - ظهور الاختلاف بين النظرية والتطبيق
٢٧١	<u>الفصل الخامس :</u>
	" مقارنة لمدخولات الخراج في الدولة الإسلامية حتى
٢٧١	نهاية العصر العباسي الأول "
٢٧١	١ - الخراج على عهد الراشدين

(هـ)

الصفحة	الموضوع
٢٢٦	٢ - الخراج في العصر الأموي .
٢٢٩	٣ - الخراج في العصر العباسي الأول
٢٩٥	خاتمة البحث
٣٠٤	المصادر والمراجع

...

نظام البحث وتحليل المصادر

نطاق البحث وتحليل المصادر

لا شك في ان بحث موضوع الخراج من البحوث المهمة في دراسة النظم الاسلاميه التي تتطلب الجهد والمتابعة والالمام ، حيث تتداخل دراسة النواحي التاريخية والتنظيمية بمناقشة النواحي الفقهيه وذلك عن الاسس التي يقوم عليها البحث . اذ الى ذلك ان هذه الدراسة تتطلب ادراك ابعاد الحياة المالية والاقتصادية في الدوله الاسلاميه وبالتالى مبادئ النظام الاقتصادى الاسلامي .

ان اختيار البحث كان من بواكير الواجبات التي جابهت الباحث ، وقد جرى تحديد الموضوع بعد ذلك ليشمل دراسة الفترة التي تبدأ من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية العصر العباسي الاول وهي مرحلة الظهور والاستقرار للنظم الاسلاميه ، مما يجعلها جديرة بالبحث والمتابعة ، من أجل ادراك خصائص هذا النظام عن طريق دراسته في مجتمع اسلامي أمثل تكاملت فيه انعكاسات وآثار جميع النظم الاسلاميه في الحياة التطبيقية ، ان كانت مبادئ الاسلام هي التي حكمت الدولة والجميع .

لقد مر نظام الخراج بعراحل ثلاث عقد هذا البحث مقارنة بينهم

بعد أن تعرض لكل من تلك المراحل بشي " من التفصيل ، والذي يحتمل ملاحظة التطور ، فالعلاقات الزراعية كانت في عهد الرسول صلى الله عليه عليه وسلم بخصوص ارض الخراج تقوم على أساس " المزارعة " و " الساقية " كما جرى العمل به في كل من (خيبر) و (فدك) ، غير أن الدولة الإسلامية في هذه المرحلة لم تتعد حدود شبه الجزيرة العربية .

وبعد أن اتسعت مساحة الأراضي المزروعة باتساع حدود الدولة الإسلامية ودخول أطراف الجزيرة فيها في عهد الخلفاء الراشدين خصوصاً بعد فتح العراق والشام ومصر ، فقد جرى الالتزام بالكتاب والسنة ، وروعت مصالح المزارعين وبيت المال على السواء ، وطل ذلك جرى العمل في تنظيم الخراج وعلاقات المزارعين خلال العصور الإسلامية المختلفة ، مع ملاحظة التطور الحاصل خلال العصورين الأموي والعباسي حيث كانت أحكام الشريعة هي النافذة ، وان لاحظنا بعض التطور الناجم عن تدخل التأثيرات في المجتمع الإسلامي المتطور الجديد .

هكذا فان اختياري لهذه المدة الزمنية ، والتي تشمل ثلاث فترات من تاريخ الدولة والمجتمع الإسلاميين جاءت عن تخطيط ، وصور واع كامل ، من أجل الوصول إلى اعطاء صورة واضحة ومتكاملة لهذا النظام بكامل أبعاده وتأثيراته وتطوره ونتائجه .

أما النطاق الجغرافي للمنطقة التي شملها البحث فهو واسع يشمل بالإضافة إلى منطقة السواد ، وهو الاقليم الذي تركزت بحوث الفقهاء حوله بشكل خاص ، كل من مصر وبلاد الشام وما جوار هذه المناطق مما كان يمثل الثقل الأعظم من الأراضي الخراجية ، مع عدم اغفال المناطق الأخرى .

ونظرا لشمول البحث واتساع ميادينه وجوانبه وأهميته فقد جرت الافادة مما توفر من المصادر ، فلقد كان (القرآن الكريم) هو المصدر الأول الذي اعتمد عليه هذا البحث فقد تعرضت في البداية للآيات الكريمة التي لها صلة بهذا الموضوع والتي أفادت كثيرا في التمرير بلفظ " الخراج " ومعناه . وتتضمن السنة النبوية المطهرة معلومات واسمى في هذا النطاق ، وبخاصة كتب الحديث ، وفي مقدمتها الصحيح . وهذين المصدرين الرئيسيين في الشريعة لهما نفس الأهمية عند دراسة أى نظام اسلامي ، مثل الخراج ، لاغنى للباحث عنهما ، ولا بد لهما ان يولى ماورد فيها عناية خاصة وفائقة هذا بجانب عدد كبير من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة والعديد من المعاجم وكتب التراجم لمطبوعة معاني المصطلحات وكذلك تراجم الرجال الذين ترد ذكرهم في ثنايا البحث .

يتألف البحث من مقدمه وخمسة فصول خصصت المقدمة لمناقشة
معاني المصطلح الذي يتعرض له البحث فتعرض لمصطلح "الخراج" في
آيات القرآن الكريم ، بذكر الآيات التي ورد فيها لفظ "الخراج" ومعانيه
فيها وكذلك مواضع ورود المصطلح في الأحاديث النبوية المطهرة ، قبل
التعرض للمعنى اللغوي عند النحويين واللغويين على تبيان الاختلاف الحاصل
بينهم وبين أهل التأويل حول ذلك . كما تعرض البحث لمطابقة هذا
المصطلح عند الفقهاء ، وخاصة الرواد الأوائل الذين تسامحوا في
استعمالهم للفظي الخراج والجزية فاستعملوها بحرية كبيرة تدعو إلى الشك
في انهما بمعنى واحد ، حيث استعمل لفظ الخراج بمعنى الجزية
واستعملت " الجزية " بمعنى الخراج مما يشير إلى عدم استقرار المعنى
الاصطلاحي في تلك المرحلة المبكرة من جهه كما يدل على قدرة الفقهاء
الأوائل في فهم الألفاظ وتعمقهم في المعنى واللفظ ، مع تتبع هذا اللفظ
في مرحلة النضج الفقهي في بداية القرن الثاني الهجري حيث ميز الفقهاء
بين تلك المصطلحات بحيث ان كلا منها كان يعطي معنى خاصا به ،
وبذلك جرى التمييز الدقيق بين الخراج والجزية .

احتوى الفصل الاول : على اربع فقرات ، خصص اولها للحدس
عن مصطلح " ارض الخراج " حيث جرى فيه تتبع التطور الحاصل في معنى

هذا المصطلح وكيف انه كان يطلق في البداية على الارض التي فتحت صلحا فقط ، وقد تضمنت الفقرة التعرض لمعنى هذا المصطلح عند الفقهاء وخاصة المتأخرى منهم حيث شمل على ارض بصلح وارض العنوة .

وفي الفقرة الثانية جرى الحديث عن مصطلح " مياه الخراج " وبعد استعراض المعنى جرى تتبع دور ذلك في تثبيت الحقوق في ارض الخسراج ، كما جرى استعراض وجهات نظر الفقهاء المختلفة حول حكم اراضي الخراج التي لا تحتوى على مياه للرى ، وكذلك مسألة حصر مياه الخراج في النهــار خاصة ، كما جرى الحديث في هذه المرحلة موقف الدولة الاسلامية من كرى الانهار الكبيرة ، وفروعها والاجابة عن سواء حيوى يتصل بالجهة التي تتحمل نفقة ذلك ، وعن موقف السلطة عندما تتعرض الاراضي الزراعية الى نتائج تدمير الفيضانات او الحوادث الاخرى كالحريق والاواض البشرية والافات الزراعية . وقد تعرض البحث الى الحديث عن حریم الانهار والابار واليمون " والاجراءات المتخذة ضد من يتعدى هذه الحدود .

وقد خصصت الفقرة الثالثة من هذا الفصل للحديث عن مصطلح " قانون الخراج " حيث توضح بأن استعمال لفظ (ضريبة) يجرى على مجرى المجاز حيث لم يكن في الشريعة " ضريبة " ومن هذا الاطار جرى استعراض اجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم وتعامله مع أهل خيبر وفدك

ونجران والبحرين ، وكذلك اجراءات الخلفاء الراشدين من بعده ، وخاصة في عهد الخليفة الراهب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث تم فتح السودان وبلاد الشام ومصر . وقد تبين من هذه الدراسة بأن هناك جملة عوامل اثرت في وضع قانون " الخراج " منها طبيعة التربة والمياه والقرب والبعد عن الاسواق ، ومدى توفر طرق المواصلات ، أما الفقرة الرابعة من هذا الفصل فقد خصصت الحديث عن (ادارة الخراج) ان جرى تتبع تطور هذه الادارة منذ نشأتها حتى نهاية الفترة التي خصصت لهذا البحث .

أما الفصل الثاني : فقد أفرد للحديث عن " الخراج في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين " .

وفي الفقرة الاولى تعرض البحث لـ : (معنى الخراج في القرآن الكريم) ، حيث جرى استعراض المواضع التي ورد فيها ذكر الخراج في القرآن الكريم ، وكذلك بحث الآيات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالخراج كما جرى التعرض لمصطلح (المفو) والآراء المختلفة التي قيلت في ذلك .

وفي الفقرة الثانية اختص البحث بالحديث عن " الخراج في السنة

النبويه الطاهرة * سواء كانت السنه اعمالا أم أقوالا أم تقارير للرسول عليه الصلاة والسلام .

أما الفقرة الثالثة فقد افردت للحديث عن " الخراج وجبايته في عهد الخلفاء الراشدين " ولهذه الفقرة أهمية خاصة باعتبار أنها تعمل التطبيق الفعلي للبادئ العامة والتقارير والتوجيهات النبويه . وقد جرى هنا استمرار اجراءات الخليفة الراشد الأول رضي الله عنه ودواعي عدم الاهتمام بالخراج في عصره .

ثم تعرض البحث لاجراءات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وكذلك الحديث عن الارض الخراجيه وحدودها ، وعن " موات الارض " واحياؤها . وخلال ذلك تم استعراض موجز لسياسة عمر بن الخطاب وادارته الخراج كما تعرض البحث للحديث عن عمال الخراج في عهده واختيارهم واسلوبه في معاملتهم . وقد تضمن البحث ، الحديث عن كيفية تحديد مقادير الخراج وعن اختلاف الروايات الواردة عن مقدار الخراج والمحاصيل الزراعية النى يقع عليها الخراج وتلك التى تستثنى من الدفع . كما استلزم البحث الاشارة الى الصوافى التى استصفاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكيفية التعامل مع القائمين بزراعتها ، واخيرًا ، فقد تضمن الفصل الثالث بعد ذلك استعراضا للسياسة التى سار عليها

كل من الخليفين عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب رضي الله عنهما بأزاه
الخراج .

ولقد كان " الخراج في عصر الدولة الأموية " هو الموضوع الذي
افرد للحديث عنه الفصل الثالث من هذا البحث حيث تابعت فقره الاولي
مسألة : " التطور الحاصل في النظرة الى الأرض الخراجية " حيث
جرى استعراض التطورات التي حصلت في الخراج خلال العصر الأموي
وما استحدث من اساليب في العلاقات الزراعية والادارة الزراعية .

أما الفقرة الثانية من هذا الفصل فقد خصصت للحديث عن " التبدل
الحاصل في نسبة الجباية ، ووسائل تحديدها " ، في حين افردت
الفقرة الثالثة للكلام عن وسائل الجباية عند الأمويين والأسلوب المتبع في
هذا المجال .

أما الفصل الرابع : فقد اختص بالحديث عن " الخراج في
العصر العباسي الاول " .

ففي الفقرة الاولي ناقش البحث (مدى تبدل النظرة الى الأرض الخراجية)
فتمعرض الى نظام الكسب عندهم ، ورأى الدولة في الأرض الخراجية ، كما
جرت مناقشته اجراءات " التعديل " عند العباسيين والاهتمام بمسألة

تحويل الاراضى الخراجيه الى عشرية . هذا فضلا عن مناقشة نظرية الخلفاء
العباسيين الاوائل الى الارض الخراجيه .

وخصصت الفقرة الثانية من هذا الفصل للحديث عن " ظهور اساليب
الجبايه " وفيه جرت مناقشة بعض المصطلحات المهمة فى هذا الاطار
وفى الفقرة الثالثة والاخيره من هذا الفصل تحدثت عن ظهور الاختلاف
بين النظرية والتطبيق ، وقد تم تتبع ذلك ابتداء ، منذ عهد الخلفاء
الراشدين وعرفنا ان النظرية تسير جنبا الى جنب مع التطبيق ، ولكن
فى عهد الامويين ظهر ان التطبيق اخذ شكلا يختلف بعض الشيء
عن النظرية ما يشير الى ان هناك خلافا فى التطبيق وأخيرا جرى تتبع
هذا الامر خلال الحكم العباسي .

وقد خصصت الفصل الخامس والأخير لتقديم مقارنة عن مدخولات بيت
الحال من الخراج حتى نهاية العصر العباسي الاول . وفيه جرى
التمرض للتبديل الحاصل فى نسبة جباية الخراج على عهد الخلفاء
الراشدين ، والمصريين الأموي والعباسي ، اضافة الى قوائم لمدخولات
الخراج للدولة .

وقد خصصت خاتمة البحث للحديث عن (آثار الخراج وأهميته

في الدولة الاسلامية) ودوره في تقدمها ورفقيها ، وقد تضمن ذلك الحديث عن نقطتين تجلبان الاهتمام ، أولاها ، تتصل بدعوى استقرار الجزية على من أسلم من أهل الذمة ، وماتوصل اليه البحث في هذا الاطار أما الثانية تتعلق بأثر وجود الفوارق الزمنية المختلفة بين التقويمين الهلالي والشمسي ، وانعكاس ذلك على وضع بيت المال خلال فترة .

ولقد جرى في هذه الرسالة استعراض العديد من المصطلحات التي لها علاقة وثيقة بالخراج (الديوان ، والحدود ، وماه الكوفة ، ومساه البصرة ، وحول الاموال ، والتوظيف ، والبراءة ، والختم ، والمكس ، والطسق ، والتسويق ، والبواقي ، والتركبة ، والحطيطه ، وكذلك الكزارة ، والمزابنة ، والكراء ، والمقاسمة ، والمقاطعة ، والقبالسنة ، والضمان ، والجهبة ، والجعله ، العامر ، والفامسر ، والصوافي ، والنيروز ، والهرجان ، وافتتاح الخراج ، الايفار ، والالجباء ، والتعديل ، وانكسار الخراج ، والخرص ، والاستخراج ، والاوارج) وغيرها من المصطلحات مما له علاقة مباشرة بالموضوع مما اقتني الاسهباب في بعض الاحيان لاستيفاء التوضيح وانسجاما مع مقتضيات البحث العلمي .
الرصين .

وقد اعتمد البحث على معلومات وردت عن كثير من المصادر والمراجع ،
غير ان المصادر التالية هي التي قدمت أهم المعلومات التي بنى عليها
البحث :

أولا (كتاب الخراج) (١) لـ " يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن ساعد
بن جنة المعروف " أبي يوسف " (ت - ١٨٢هـ) وأساس هذا الكتاب
رسالة بعث بها أبو يوسف الى الخليفة العباسي . " هارون الرشيد " .
وذلك عندما طلب منه الاخير ان يضع له نظاما خاصا للخراج بعد ان لمس
ما آل اليه أمر الخراج من ظلم وتعسف ، فوضع أبو يوسف هذا الكتاب
جامعا يحمل به في جباية الخراج ، والمشور ، والذي يهنا أن أهمل
يوسف تحدث عن الخراج وناقشة مناقشة دقيقة ، وتعرض لاحكامه ، وقسم
المقترحات المطبقة بخصوص جبايته ورفع المظالم عن دافعيه ما قدم للبحث
فرصة متازة .

(١) الكتاب مطبوع . سنة ١٣٩٦هـ - الطبعة الخامسة - المطبعة
السلفية ومكتبتها - القاهرة .

وانظر ابن القيم / الفهرست ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

ثانيا : (كتاب الخراج) (١) ، ل " يحيى بن آدم القرشي " (ت ٢٠٣ هـ)
وهو من الكتب النادرة والمهمة التي وصلتنا عن الخراج ، والاحاديث التي -
شملها الكتاب بأقسامه الأربعة تعالج الموضوعات : متعددة كالفنمسة
ومشاكل الارض التي اقرا أصحابها عليها بعد الفتح - وما اذا كانت المعادن
خاضعة للضريبة . " والحماية " ، والعبادى ، التي تفرغ الضريبة على اساسها
بحسب نوعية السمي وكذلك المشاكل التي يتعرض لها جباه الزكاة ، وتلك
هي المسائل الأساسية التي عالجها الكتاب وهذه لها علاقة وثيقة بهند
البحث .

ثالثا : (كتاب الأموال) (٢) ل " أبي عبيد القاسم بن سلام ، وقيل ابن سلام
ابن مسكين بن زيد " (ت ٢٢٤ هـ) ، وهو ذو قيمة عالمية لا تتكرر . والسند

-
- (١) الكتاب مطبوع - طبع بعد مرور (٣٢) سنة - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٤
عنيت بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة .
وانظر ابن النديم / الفهرست ص ٨٣
(٢) الكتاب مطبوع * الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م منشورات
مكتبة الكليات الزهرية ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة .

بيروت .
وانظر ابن النديم / الفهرست ص ٧٨

يهيئنا من هذا الكتاب أن أجزاء الأربعة تتحدث عن الناحية الطبيعية
وتتحدث عن الخراج ، والجباية والأرض . والفسي ، في جميع أجزاءه . ويجب
أن يبقى في أذهاننا على الدوام بأن كلا من أبي يوسف ، ويحيى بن آدم ،
وأبا عبيد قد عاشوا في الفترة التي وصلت الدولة الإسلامية فيها إلى قمة
المجد والاتساع .

رابعاً (كتاب فتوح البلدان) (١) لـ أبي الحسن أحمد بن يحيى بن
جابر بن داود البغدادي البلازري (ت - ٢٧٩ هـ) وهذا من الكتب
القيمة التي قدمت معلومات أساسية ، فقد تحدث البلازري فيه عن هجرة
الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته مبتدئاً بفزوة خيبر ، وتحدث عن خلافة
أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما . والذي يهيئنا مسبقاً
هذا الكتاب أنه خصص موضوعاً تحدث فيه عن أحكام أرض الخراج . وهذا
بالإضافة إلى ما يذكره من أمر الخراج في أثناء الفتوحات .

(١) الكتاب مطبوع ، راجعت طبعه - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
١٣٥٠ هـ ، ١٩٣٢ م . الطبعة الأولى ، ويقع الكتاب في (ثلاثة)
أقسام .

وانظر عنه ياقوت الحموي / معجم الأدباء ج ٥ ص ٩٨
وانظر اسماعيل باشا البغدادي / هدية العارفين ج ١ ص ٥١
وانظر تغري بوي / النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٣

خامسا : (الاخبار الطوال) (١) ، ج ٢ أحمد بن داود بن وند الدينوري
ابو حنيفة * (ت - ٢٨٢ هـ) ، تحدث عن الملوك من آدم عليه السلام
الى انقضاء ملك يزدجيرين شهریار الذي كان معاصرا للخليفة عمر رضي
الله تعالى عنه ، ثم تحدث عن ملوك الترك حتى وفاة المؤلف . ويحتوي
الكتاب على حوالي (١٨٧) موقوعا ، ونجد في بعض الأحيان ثلاثة
مواضع في صفحة واحدة . وانها مختصرة وتحدث (عن الخراج في عهد
كسرى ، وعن فتوحات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مهينا الارض التي
فتحت عنوة ، وصلحا) وعن التحدث عن خليفة وذكر فتوحاته يتعرض السي
الخراج في بعض الأحيان ، ولذلك فقد اعتمد هذا البحث على كتاب الاخبار
الطوال .

سادسا : (كتاب تاريخ اليعقوبي) (٢) ج ٢ أحمد بن اسحاق (ابي يعقوب)
بن موسى بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي * وقد اختلف من ترجم

(١) الكتاب مطبوع - الطبعة الاولى - القاهرة - ١٩٦٠ م .

وانظر ابن النديم / الفهرست ص ٨٦

(٢) الكتاب مطبوع - ب (مجلدين) دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٩

١٩٦٠ م بيروت .

له في سنة وفاته مابين (٢٧٨ هـ - ٢٨٤ م هـ) ورجح بعضهم أنها كانت سنة (٢٩٢ هـ) .

وقد ذكر اليعقوبي في هذا الكتاب حوادث وأخبار منذ بدء الخليقة حتى أيام الخليفة العباسي أحمد بن المعتمد على الله أو (حتى أواخر حياته) . والذي يهمنا هنا انه تحدث عن فترة هذا البحث وناقش موضوع الخراج في عهد بعض الخلفاء هذه الفترة .

سابقا : (تاريخ الرسل والملوك)^(١) ويعرف بـ " تاريخ الطبري " لـ أبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الأملى " (ت ٣١٠ هـ) ويقع هذا الكتاب في عشرة أجزاء واضحة الحدود ، وتحدث فيها من بدء الخليقة وينتهي الى سنة (٣٠٢ هـ) ، عن طريق هذا المؤلف عرفنا ما فتح من البلاد صلحا وما فتح منها عنوة ، ليقوموا الجزية والخراج على أساس ما رسمه الاسلام في ذلك من تشريع ، وأن ترتب للأحداث على أساس السنوات ساعدنا على تعيين الأجزاء المراد مراجعتها .

(١) الكتاب مطبوع - راجعت الطبعة الثانية - عدد أجزاءه (١٠) وزيل " زيل المذييل " مطبوع أيضا . وأنظر :
السخاوي / الاعلان بالتصحيح لمن ذم التاريخ ص ١٤٤ .
وابن النديم / الفهرست ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .
وحاجي خليفة / كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٧ .

ثامنا : (كتاب الوزراء والكتاب) (١) لـ " ابي عبد الله محمد بن عبيدوس الكوفي المعروف بالجهشيارى " (ت - ٣٣١ هـ) . وفيه تحدث عن كتاب الوزراء والكتاب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . حتى نهاية عهد المأمون (احد الخلفاء العباسيين) فهو يترجم للمشهورين من الكتاب والوزراء سواء اكانوا في الخراج أو غير الخراج ، وهذا سهل علينا معرفة الكتاب في ديوان الخراج ، وأساليب هؤلاء الكتاب في الخراج ، واستفاد البحث ايضا من ذلك في الفصل الخاص عن ادارة الخراج .

ثاسما : (مخطوطه الخراج وصنعة الكتاب) (٢) لـ " قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي " (ت ٣٣٤ هـ) ، وفي هذا المخطوطه تحدث عن عسدة اقسام ، فتحدث عن الدواوين ، ومنها ديوان الخراج " ادارة الخراج "

(١) الكتاب مطبوع - راجعت الطبعة الاولى - سنة ١٣٥٧ هـ / ١٣٩٨ هـ (مجلد واحد) .

وانظر عنه ابن تفرى بردي / النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٧٩
وصلاح الدين الصفدى / الوافى بالوفيات ج ٣ ص ٢٠٥
وحاجي خليفة / كشف الظنون ج ٢ ص ١٤٦٩ .

(٢) مخطوطه . راجعت نسخة مكتبة كوبر توفى - استانبول - ٨٥٤

عاشرا : (كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) (١) لـ " الحسن علي
ابن الحسين بن علي السمودي " (ت - ٣٤٥ - ٣٤٦ هـ) ، وهو
من الكتب العامة ويغلب عليه الطابع الجغرافي وتحدث عن الخلفاء
الراشدين والدولة الأموية والدولة العباسية وعن سيرهم وأخبارهم وفيه
وردت اشارات الى الأخراج .

حادى عشر : (مشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) (٢) لـ " للقاضي ابن علي
المحسن بن علي التتويحي " (ت - ٣٨٤ هـ) ويعتبر هذا الكتاب من
الكتب النادرة المثال . وقد قضي التتويحي فى تصنيفه عشرين عاما ، وأخرجه
فى أحد عشر مجلدا ، والذي يتعلق بموضوعنا هو حديثه عن العمال
وأصحاب الدواوين والمزارعين وأرباب الأخراج والأرض والأكسوة .

-
- (١) الكتاب مطبوع - راجعت الطبعة الاولى - سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م
دار الاندلس للطباعة والنشر - بيروت .
وانظر ابن النديم / الفهرست ص ١٧١
(٢) الكتاب مطبوع ، راجعت طبعة ، مطبعة امين هندية - القاهرة ،
(١١) مجلدا .
وانظر عنه محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية ص ٥٥١ .

ثاني عشر : (كتاب مفاتيح العلوم) (١) * لابي عبدالله محمد بن احمد بن يوسف (الخوارزمي) * (ت - ٣٨٧ هـ) وهذا الكتاب جليل القدر فهو دائرة معارف مصغره ، وقد اهتم به الباحثون ، ولا سيما المستشرقون وقد افاد منه البحث لانه نحدث في الباب الرابع في الفصلين الاول والثاني عن اسماء الذكور والدقاتر والاعمال المستعمله في الدواوين وعن موضوعات كتاب ديوان الخوارج .

ثالث عشر : (كتاب * تجارب الامم *) (٢) ل احمد بن محمد بن يحيى بن مسكويه (ت - ٤٢١ هـ) ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة في التاريخ ، حيث نجد انه يتبع اسلوب السنين يسرد احداث كل سنه على غرار كتاب * الطبرى * وفي أثناء عرضه للاحداث يعمد للخروج .

- (١) الكتاب مطبوع - مطبعة الشرق - مصر ؟
(٢) الكتاب مطبوع - مطبعة بشركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣١-١٩١٤ م
وانظر عنه يا قوت الحموى / معجم الأدباء ج ٥ ص ٥
ومحمد باقر الموسوى / روضات الجنات ج ١ ص ٧٠

رابع عشر : (كتاب الاحكام السلطانية والولايات الدينية) (١) لـ "ابن
الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي" (ت ٤٥٠ هـ)
وهو من الكتب المهمة في التاريخ والحضارة والفقه وخاصة ما يتعلق بسهولة
الامور ، فقد تحدث في الباب الثالث عشر عند وضع الجزية والخراج ، وفي
الباب الخامس عشر تحدث عن احياء الموات واستخراج المياه .

.....

(١) الكتاب مطبوع - راجعت الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م -
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

وقد استفاد البحث أيضا من بعض المصادر الصعبة التي سهلت
عملية البحث عن الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الطاهرة ومن هذه
الكتب .

كتاب " تفصيل آيات القرآن الحكيم " للعالم الكبير جول لايمون ونقله
للعربية محمد فؤاد عبد الباقي . الطبعة الأولى .
كتاب " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي " أثبته ونظمه لفيف
من المستشرقين ، ونشره الدكتور أ. ي . ونسك "

كما أنه يحز في نفس كل باحث يريد أن يكتب عن " الخراج " حينما
يجد في كتاب الفهرست لابن الفديم ، قائمة صادرة قديمة تختص بـ
الخراج وتحمل هذا الاسم . ومع ذلك لا يجد منها شيئا . وهي حوالي
عشرين كتابا ، لم يصل منها إلا أربعة (١) فقط ، ولو وجدت هذه المصادر
لأعطت صورته أوضح في هذا المضمار .

(١) وهي : كتاب الخراج لابي يوسف - كتاب الخراج ليحيى بن آدم -
مخطوطة الخراج وصنعة الكتابه لقدامه بن جعفر - وكتاب الاستخراج
لاحكام الخراج لابن رجب .

المدخل إلى الخزائن

المدخل الى الخراج

الخراج كلمة ذات مقاصد عدة فقد وردت في القرآن الكريم ^(١) ، وفي الأحاديث النبوية الشريفة ^(٢) ، وتداولها الفقهاء في مباحثهم ، كما عالج اللغويون المصطلح في معاجمهم ، وهي تارة تحمل معنى الأجر ، وتارة تحمل معنى الثواب ، وفي مواضع أخرى ترد بمعنى الغلة (الانتاج الزراعي) وقد استقر المصطلح تدريجيا ليعطى معنى مرتبطا بالأرض التي فتحت عنوة ومياها ، والضريبة أو الرسوم المفروضة عليها ، وذلك ما سأناقشه في الفقرات التالية :

لقد وردت كلمة الخراج * في (القرآن الكريم) في موضعين أحدهما في قوله سبحانه وتعالى * أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ^(٣) وثانيهما في قوله سبحانه وتعالى * فهل نجعل لك خرجا * ^(٤) .

(١) سورة المؤمنين جزء ١٨ ، آية (٧٢) ، سورة الكهف جزء ١٦ آية (٩٤) .

(٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، ج ٢ ص ٧٥٤ .

(٣) سورة المؤمنين جزء ١٨ آية (٧٢) .

(٤) سورة الكهف جزء ١٦ آية (٩٤) .

ومع أن علماء اللغة يؤكدون على أن (الخرج والخراج) بمعنى واحد
فقد حصل خلاف بين علماء القراءات في قراءة اللفظ فقد قرأها (ابن كثير ونافع ^(١))
وأبو عمرو ^(٢) (خرجا) بغير الألف ، نوحين قرأها حمزه ^(٤) والكسائي ^(٥) (خراجا) بالألف
وهما في الحالتين بمعنى الأجر والمال ^(٦) ، " والخرج والخراج واحد وهو شئ لما
يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم " ^(٧) .

يخاطب الله تعالى في الآية الأولى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن
هؤلاء الذين تدعوهم للهداية يقولون ما تسألهم من أجر على الهداية
والتعليم فانك لا تطلب اليهم شيئاً ^(٨) ، ولا تنظر أن يعطونك شيئاً فما يعطيك
ربك أجره ^(٩) وثوابه ^(٩) خير وهو خير الرازقين ، وذكر ابن حبان أن هذا استفهام
توسيح ^(١٠) ، اذن فالآية الكريمة لا تحمل سوى معنى واحد وهو ما ذكرناه آنفاً للكلمة
الخراج وهو الأجر والثواب ، وقد أجمع المفسرون على هذا المعنى عند استعراضهم
لمعنى الخراج وشرحهم لهذه الآية .

-
- (١) ابن كثير : عبد الله بن كثير ، ويكنى أباسم ، من قراء مكة في الطبقة الثانية
أنظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣١ .
(٢) أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي النعيم ، وانتهت اليه رئاسة الاقراء
بالمدينة المنورة . أنظر : ابن النديم : الفهرست ص ٤٥ .
(٣) أبو عمرو زيان بن الحلا بن عمار البصري كان من أعلم الناس بالقراءات .
أنظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .
(٤) حمزة : حمزة بن حبيب الزيات (أحد السبعة في الطبقة الرابعة من
الكوفيين) أنظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .
(٥) الكسائي : علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز من القراء السبعة
من أهل الكوفة . أنظر : ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ ، الذهبي : معرفه
القراء ج ١ ص ١٠٠ .
(٦) ابن الجوزي : زاد المسير ص ٤٨٤ .
(٧) ابن منظور : لسان العرب ج ٣ ص ٢٥١ .
(٨) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٤ ص ٤٠ .
(٩) ابن الجوزي : زاد المسير ، ص ٢٨٥ .
(١٠) ابن حبان : البحر المحيط ج ٦ ص ٤١٤ .

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى " فهل نجعل لك خرجاً " (١) فقد اختلف القراء كذلك في قراءتها فبعضهم قرأها بدون الالف وسكون (السراء) وقد قرأ ذلك " قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة " (٢) وبينما نجد أن عامة القراء الكوفيين قد قرؤوها بالالف وفتح الراء " فهل نجعل لك خراجاً " (٣) وكذلك قرأها " الحسن والاعشى وطلحة وخلف وابن سعدان وابن عيسى والاصهباني وابن جبير والناطكي ومن السبعة حمزة والكسائي " (٤) وبعد هذا الاختلاف الذي رأينا في القراءات فقد ذكر ابن حبان بأن " الخرج والخراج بمعنى واحد كالنول والنوال " (٥) في حين نجد أن الأمام الطبري قد ميز بين القرائتين وقال بأن الأولى أصوب عنده معللاً ذلك بأن " القوم فيما ذكر عنهم إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد ، وقد بين ذلك بقوله (فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً) (٦) ولم يعرضوا عليه جزية رءوسهم " (٧) وعليه فإن المعنى الذي يتضمنه

-
- (١) سورة الكهف جزء ١٦ آية (٩٢)
 (٢) الطبري / تفسير ج ١٦ ص ٢٢
 قراء البصرة والمدينة والكوفة (انظر ابن النديم / الفهرست ص ٣٣)
 (٣) الطبري / تفسير ج ١٦ ص ٢٢
 (٤) ابن حبان / البحر المحيط ج ٦ ص ١٦٤ ، ابن الجوزي / القراءات المشر ج ٢ ص ٣١٥
 (٥) ن ٢٠ م ج ٦ ص ١٦٤
 (٦) سورة الكهف جزء ١٦ آية (٩٥) .
 (٧) الطبري / تفسير ج ١٦ ص ٢٢
 (طلحة والاعشى وابن عيسى من قراء أهل الكوفة ، انظر ابن النديم / الفهرست ص ٣٣) ابن سعدان ابراهيم محمد بن سعدان المصارك مؤلف كتاب القراءات (ابن النديم / الفهرست ص ٣٨ ، ٨٧) خلف بن هشام بن شعلب البزار من أهل بغداد وله كتاب القراءات (ابن النديم / الفهرست ص ٣٤ . الاصبهاني : قتيبة بن مهران من الطبقة السادسة (الذهبي / معرفة القراء ج ١ ص ١٧٤)

اللفظ في هذه الآية هو الاجر وليس الضريبة . فذكر القرطبي " فمـسـل
نعمل لك يا ذا القرنين عطية واجرا فخرجه لك من أموالنا لقاء ان تـمـسـل
ذلك " (١)

.....

(١) القرطبي / الجامع لاحكام القرآن جز ١١ ص ٥٩

وفي السدة النبوية الكريمة وردت احاديث تحطة كلمة * الخراج *
 بمعنى غلة العهد فقال الرسول صلى الله عليه وسلم * الخراج بالضمان * (١)
 بينما نجد بعض رواه الحديث لا يقصرون المعنى على غلة العهد فقط
 وانما يوسعون المعنى ليشمل ما يحصل من غلة العين المبتاعة (٢) ، وهذا
 الشمول في المعنى ينسجم مع الظرف الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم
 الى قول ذلك ، ومثل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها * أن رجلاً
 اشترى عبد فاستغله ثم وجد به عيباً فرده فقال يا رسول الله انه قد استغسل
 غلامي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخراج بالضمان) (٣) وابن
 ماجه يذكر بان النص صريح في أن المعنى هو ما يحصل من غلة العهد وذلك
 في حديث عائشة رضي الله عنها ان الرسول صلى الله عليه وسلم * قضى

(١) ابن ماجه / سنن ج ٢ ص ٧٥٤ ، النسائي / سنن ج ٢ ص ٢٥٥ .

الترمذي / صحيح ج ٥ ص ٢٨٦ .

(٢) يريد بالخراج ما يحصل من غلة العين المبتاعة عبداً كان او امة ، وملكاً
 وذلك ان يشتريه فيستغله زماناً ثم يعثوه على عيب قديم لم
 يطلع البائع عليها ولم يعرف له رد العين المبتاعة واخذ الثمن
 ويكون للمشتري ما استغله لان البيع لو كان تلف في يده لكان غسي
 ضمانه ولم يكن له على البائع شيء والباء في الضمان متعلق بمحذوف
 تقديره الخراج مستحق بالضمان اي سببه - انظر عن ذلك - النسائي

سنن ج ٢ ص ٢٥٥ / ٢٥٦

(٣) ابن ماجه / سنن ج ٢ ص ٧٥٤

أن خراج الصيد بضمان * (١) بهذا المعنى . ويأتي الخراج في الحديث أيضا بمعنى ما يقرره السيد على عبده أن يؤديه اليه كل يوم أو شهر أو نحو ذلك ، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : " احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حججه ابو طيبة فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر . وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجهم " (٢) -

أي بمعنى الأجر . وجاء ذكر الخراج في قول الرسول صلى الله عليه وسلم " هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضرين عليه خراج " (٣) أي بمعنى كل ممن يبيع ويشترى فيه فعلية كذا . وهي أيضا بمعنى الأجر ، من الأحاديث التي ورد فيها أيضا لفظ الخراج ، حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ينه عن المزارعة ، ولكن قال " لأن يمنع أحدكم أرضه خير من أن يأخذ عليها خراجا معلوما " (٤) وجاء في نسخة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران قوله " فما زادت حلل الخسواج او نقصت عن الا وافى فيها الحساب " (٥)

وفي اخبار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، عن عائشة رضي الله عنها " كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان ابو بكر يأكل من خراجهم " (٦) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " وقد رأيت ان احسن الارض بعلوجها وأضع عليهم في الخراج " (٧)

-
- (١) ابن ماجه / سنن ج ٢ ص ٧٥٤
 (٢) الموطأ / ج ٢ ص ٩٧٤ ، مسلم ، صحيح ج ٣ ص ١٢٠٤ ، الترمذی
 صحيح ج ٥ ص ٢٧٨
 (٣) ابن ماجه / سنن ج ٢ ص ٧٥١ سند احمد ج ١ ص ٣٦٥
 (٤) ابی د اود / سنن ج ٢ ص ٢٣١
 (٥) ابویوسف / الخراج ص ٧٨
 (٦) البخاری / صحيح ج ٢ ص ٣١٩
 (٧) الرجی / الرتاج ج ١ ص (ج)

وفى اللغة العربية نجد كذلك اختلافا بين اللغويين وبين أهل التأويل حول جمع كلمة الخراج فاللغويين يميزون جمع كلمة (خرج وخرجوا) بينما نجد أن أصحاب التأويل لا يميزون جمع هاتين الكلمتين على أساس كونهما مصدران " وجمع أهل اللغة " الخرج " اخرج " وجمع الخراج اخرجته كزمان وأزمته واخرج " (١) ونقل الأمام الطهرى عن أهل التأويل قولهم " واصل الخراج والخرج " صدران لا يجمعان " (٢) وكذلك نجد أن بعض اللغويين يؤكدون مصدرية كلمة خرج ولكن كلمة الخراج تعتبر اسم لما يخرج قال الزجاج " الخرج مصدر والخراج اسم لما يخرج " (٣) فالخراج فصي اللغة اسم للغة استخدمه علماء اللغة بمعنى واسع ، اذا استخدموه مع (الارض) للدلالة على ما تنتج ، ومع (المبد) للإشارة الى أجره ، ومصنع (الحيوان) لتوضيح قيمة ما نتج عن استخدامه او تأخيره ، فذكر الذبيدى " الخراج اسم ما يخرج من الارض ثم استعمل فى منافع الاملاك كبيع الارض وغلّة المبيد والحيوانات " (٤) .

وهذا يمكن بشكل واضح التوسع الكبير والحرية والواسعة لاستعمال

-
- (١) محمد السراى / مختار الصحاح ص ١٩٠ ، الجوهرى / الصحاح ج ١ ص ٣٠٩
 (٢) الطهرى / تفسير ج ١٨ ص ٤٣
 (٣) ابن منظور / لسان العرب ج ٣ ص ٢٥١ ، ابن حبان / البحر المحيىط ج ٦ ص ١٦٤ الذبيدى / تاج المروس ج ٢ ص ٢٨
 الزجاج : (ابواسحاق ابراهيم بن سهل) / عالم النحو واللفظة ، وكان فى فتوته يخرط الزجاج (ياقوت الحموى / معجم الأدباء ج ١ ص ٥٤)
 (٤) الذبيدى / تاج المروس ج ٢ ص ٢٨

هذه الكلمة . اضيف الى ذلك ان بعض علماء اللغة اشاروا بأن كلمة الخسراج
هذه تعنى الاتاوه مثل " الخرج والخراج الاتاوه " (١) او الضريبة طمس
الدخل او على الروءوس * (٢) وما يؤخذ من أموال الناس * (٣) وقد يأتي
الخراج بمعنى الخلة مثل قول الازهرى * والخراج ان يؤدى اليك المبد
خراجه اى غلته ، والرعية عتوهى الخراج الى الولاة * (٤) وقد قبل الرافعى *
هذا القول فذكر بـأ ن * اصل الخراج ما ضربه السيد على عبده ضريبه
يؤديه اليه فيسمى الحاصل منه خراجا * (٥) اما الزجاج فقد اضاف
معنى آخر الى جملة معاني الكلمة وهو الفى * بقوله * الخراج الفى * ، والخراج
الضريبة والجزية * (٦) ومن المعانى التى وردت عند اللغويين عن كلمة

-
- (١) محمد السوازى / مختار الصحاح ص ١٩٠ ، الجوهرى / الصحاح
ج ١ ص ٣٠٩ ، ابن منظور / لسان العرب ج ٣ ص ٢٥١
(٢) احمد رضا / معجم سنن اللغة ص ٢٤٧ .
(٣) ابن منظور / لسان العرب ج ٣ ص ٢٥١ / الذبيدى / تاج المصروس
ج ٢ ص ٢٨ .
(٤) الازهرى / تهذيب اللغة ج ٧ ص ٤٨
* الرافعى : عبدالكريم بن محمد عبدالكريم ابوالقاسم الرافعى القزوينى
فقيه ، من كبار الشافعية (فوات الوفيات - الكتبى ج ٢ ص ٧ ،
السبكى / طبقات الشافعية ج ٥ ص ٩٥٤
(٥) الذبيدى / تاج المصروس ج ٢ ص ٢٨
(٦) ابن منظور / لسان العرب ج ٣ ص ٢٥٢ ، الزبيدى / تاج
المصروس ج ٢ ص ٢٨ .

الخراج " انه الخراج بالضمان يريد بالخراج ما يحصل من غلة القهيسند
المبتاعه عبدا كان او امة او ملكا " (١) وهذا ما يشير الى ان الكلمة قد استعملت
بمعنى الضريبة ايضا . وذكر الماوردي " والخراج في لغة العرب اسم
للكراء " (٢) وهي هنا بمعنى آخر هو الكراء .

.....

(١) ابن الاثير / النهاية ج ٢ ص ١٩
(٢) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٦

يبدو أن الرواد الأوائل من مؤلفي كتب الفقه الأولى قد تسامحوا في استعمالهم لبعض المصطلحات في دراسة النظام الاقتصادي فقد استعمل بعضهم لفظي خراج وجذية بحرية تدعوا إلى الشك في أنها بمعنى واحد ولعل من المناسب من أجل فهم دقيق لجوانب الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي في معاني المصطلحات المستعملة خلال تلك الحقبة فلقد جرى استعمال لفظ الخراج بمعنى الجزية ومثل هذا جاء في كتاب الخراج ل يحيى بن آدم القرشي فقد ذكر بأن الخراج بمعنى الجزية من أسلم من أهل الصلح رفع الخراج عن رأسه وعن أرضه " (١)

ومن التداخل الحاصل في معاني الخراج والجزية جاء عند البعض من حديث عامر الشعبي قال " أول من فرض الخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض على أهل هجر على كل محتلم ذكر أو أنثى . . (٢)

أضف إلى ذلك أنه حينما قدم أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه حصا بعد فتح الشام فصالحه أهلها " على أن آمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدنياتهم . واشترط الخراج على من أقام منهم " (٣) ولعل من هذه الأمثلة يمكن أن تساق دليلا على حصول البدايات التي أسهمت في حصول التداخل في الألفاظ . كما أن هذا يدل على الحرية الكبيرة التي مارسها الفقهاء المسلمون الأوائل في استعمالهم المصطلحات والألفاظ

(١) يحيى بن آدم القرشي / الخراج ص ٢٩

(٢) أبو يوسف الخراج ص ١٣٩

(٣) البلازى / فتوح البلدان ج ١ ص ٥١

في حين ان الفقهاء المتأخرين قد ميزوا بين تلك المصطلحات بحيث ان كلا منها كان يوحي معنى خاصا به ، وهكذا جرى التميز الدقيق بين الخسراج والجزية كما نوقشت اوجه الشبه ووجه الاختلاف بينهما ، ان تبين انهما يتشابهان في ان كل منهما مأخوذ من شرك صفارا له وذلك كما انهما من الامسوال التي تصرف في اهل الفي ، اصف الى ان كل منهما يتحقق بحلول الحصول ولا يستحقان قبله . (١) في حين ان اوجه الاختلاف كما ناقشها الفقهاء ، فتتخلص في ان الجزية نص وان الخراج اجتهاد ، كما ان اقل الجزية مقدار بالشرع واكثرها مقدار بالاجتهاد في حين ان اقل الخراج واكثره مقدار بالاجتهاد ، اصف الى ذلك ان الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الاسلام في حين ان الخراج يؤخذ مع الكفر والاسلام . (٢)

ومع ان مصطلحي الخراج والفي يتميزان من الناحية اللفظية واللفوية علي الأقل عن بعضهما فان البعض استعملها بمعنى واحد فابو يوسف مثلا يذكر في خطابه للخليفة هارون الرشيد " فلما الفي " ~~يا ميمر~~ المؤمنين فهو الخراج عندنا " (٣) وقال كذلك في موضع آخر " ~~الخسراج~~ في جميع المسلمين " (٤) لان الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه العزيز " ما انا الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم " (٥) في حين

(١) الماوردي / الأحكام السلطان ص ١٤٢

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢

(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٢٥

(٤) المصدر السابق ص ٨٢

(٥) سورة الحشر الجزء ٢٨ آية ٧

أنا نجد أن البعض الآخر من الفقهاء من كتب في "خراج" وقد ميزوا بين المصطلحين كما أنهم أفردوا لكل منهما فصلا قائما بذاته . (١) ومن الملاحظ بجانب ذلك أن لفظ " صدقه " او صدقات قد استعمل في حالات معينة بشكل متداخل مع مصطلح الخراج بالرغم من أن فقهاء القرن الثاني قد ميزوا بشكل دقيق بين المصطلحين وما يعكس التداخل اطلاق مصطلح ارض الصدقة على الاراضي الخراجية في حين ان هناك فرق واضح بين الخراج والصدقة من جهة ومن جهة ثانية فقد انقلب بعض الاراضي الخراجية التي ملكية بعض الافراد المسلمين مما توجب عنه انتقالها الى العشر ، وخلال اجراءات الحجاج ابن يوسف الثقفي وجهوده في سبيل استعادة السواد لمستوى وارداته من الخراج بادر الحجاج * فردها الى الخراج ثم رد ها عمر بن عبد العزيز الى الصدقة ، ثم رد ها عمر بن هبيرة الى الخراج ، فلما ولي هشام بن عبد الملك رده بعضها الى الصدقة ، ثم ان المهدي امير المؤمنين جعلها كلها من اراضي الصدقة . (٢)

ولعل ذلك ما أدى الى تلك الحرية الواسعة في استعمال لفظي الخراج والصدقة بمكان متداخله او حتى بمعنى واحد أحيانا . كما أن هذا يشير الى الفرق الواضح في المعاني ، بحيث ان الصدقة هي زكاة الاموال

-
- (١) انظر مثلا الطوردي / الأحكام السلطانية ص ١٢٦ و ص ١٤٢
(٢) ارض من اراضي الفرات اخذت من اصحابها الى قوم مسلمين بهبهات وغير ذلك انظر البلازي / فتوح البلدان ص ٤٥٢
(٣) نفس المصدر السابق ق ٢ ص ٤٥٢

في حين ان الخراج يمثل الضريبة المفروضة على الأرض الزراعية التي انتقلت ملكيتها الى عموم المسلمين . وهناك (أمثلة) تساوق على ذلك منها حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عرب تغلب انه ضعف لهم الصدقة بدل الخراج فقال " سلموهم لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن اضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من موالهم " (١) وكذلك نجد أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه " انه ضعف على نصارب تغلب عوضا عن الخراج " (٢)

وبيدوانه في حدود منتصف القرن الثاني الهجري قد استقرت معاني هذين المصطلحين وجرى التمييز الدقيق بينهما وذلك ما يمكن من في قول ابي يوسف " فان مال الصدقة لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج " (٣)

.....

(١) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك، ج٤ ص ٥٥ ، ٥٦ (ط لا يدن)

٢٥٠٩/١ .

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ١٣٠

(٣) المصدر السابق ص ٨٦

الفصل الأول

مصطلح الخراج

- ١- أرض الخراج
- ٢- مياه الخراج
- ٣- قانون الخراج
- ٤- إدارة الخراج

الفصل الأول

مصطلح الخراج

أرض الخساج :

قال تعالى * وفي الأرض من قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع (١) وتمتبر أرض السواد بالعراق من الأراضي الخراجية فمنها ما فتح عنوة ومنها ما صولح عليها أهلها ويدفع خراج محين ولكن قبل الخوص في هذا التفصيل لا بد لنا أن نحدد تلك الأرض حتى يتضح الموقع والحدود للقارى الكريم .

فحدود السواد من العراق خلال القرنين الأولين للهجرة النبوية كان هناك جدل طويل بين الفقهاء ، حول مسألة ملكية الأرض وبالتالي حول حدود أرض الصلح من أرض العنوة وأخيرًا التركيز حول حدود السواد والعراق ولقد تركز الاهتمام في المناقشات حول تلك الأقسام من أرض السواد التي تم فتحها عنوة وتميزها عن تلك الأراضي التي صولح عليها . ومن وجهه نظر الفقهاء ، فإن من المهم أن تتضح هذه المسألة لها من علاقة بمسألة السلطة والملكية . ففي حالة الأراضي التي فتحها عنوة فقد ، اعتبرت فيثا وهي من الناحية الفقهي والناحية الشرعية . تعتبر ملك مشترك لجميع المسلمين وقد اطلق عليها اسم (أرض الخراج) .

ومن هذه المسألة تفرعت أمور أخرى تتعلق بحقوق الزراعة وكميات الضرائب التي ينبغي أن تجبي منها . ومن الناحية الأخرى فإن الأراضي التي تم خضوعها للدولة الإسلامية بعد موافقة أهلها على ذلك وفق شروط الصلح

(١) سورة الرعد جزء ١٣ آية ٤ .

[illegible]

ان الحدود المثبتة هي حدود فقريلية
فقلنا عن الاسد المنشور في كتابنا زراعتنا المرق
للكون حسام الدين السامري بعد ترجمته
من الانجليزية



الذي عقد في حينه اعتبرت أو أطلق عليها اسم (اراضي الصلح) حيث استمرت حقوق الملكية مرتبطه باصحابها الاصليين الذين تعهدوا بدفع ماصولحوا عليه والذي حددته عادة وثيقة الصلح . (١)

لقد اختلفت وجهات نظر الفقهاء ، فيما يتعلق بتحديد وتعريف اراضي الخراج و اراضي الصلح مما يستلزم ضرورة توضيح هذه المسألة اضافة الى التركيز على توضيح حدود العراق ، ومن حسن الحظ فان الجغرافيين المسلمين قد اولوا هذه المسألة عنايتهم الكبيرة ولعل ذلك ناجم عن احساسهم الدقيق بطبيعة هذه المشكلة .

وعند الخوض في مسألة تحديد معنى (الحدود) كما عبر عن ذلك الجغرافيون المسلمون فانها تشير الى (نهايات منطقة معينة) (٢) وانها يا اقليم من الاقاليم (٣) و اصف الى ذلك فان هناك مسألة تحديد نوعية المياه التي تعتمد عليها مقاطعات الاراضي في الارواء النزاعي ولعل ذلك هو السبب الذي هدى بالكثيرين من ان يقدموا معلومات تفصيلية كثيرة عن العراق . فحتى الجغرافيين المسلمين قد تبنا وجهات نظر مختلفة

-
- (١) الطبري / اختلاف الفقهاء ص ٢١٨ ، ٢٢٢ ، البلازى / فتوح البلدان ص ٤٤٢ ، ٤٤٨ ابو يوسف / الخراج ص ٩٥ ، ابو عبيد كتاب الاموال رقم ١٤١ ، يحيى بن آدم / الخراج ص ٦ - ٧
- (٢) ابن خرداذبه / المسالك والممالك ص ١ ط ١ لايدن (
- (٣) ابن حوقل / المسالك والممالك ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ط (لايدن) وانظر يا قوت معجم البلدان ج ٣ ص ١٣٥ حيث يشير الى انه سلا المنطقة التي لا يصح لعمال الضرائب القيام بالجباية بعدها او خارج عن حدودها .

حول مسألة اراضي الصلح وراضي العنوة وحدودها عن بعضها على ان هذا الاختلاف يمكن ان يمكن اختلاف وجهات النظر الحاصلة بين الفقهاء ، حول هذا الامر والتي سبق وأشسونا اليها آتفا . وفي حين يعتبر كل من - الاصطخري والصابي ^(١) والخطيب البغدادي ارض سواد الكوفة ، مثلا ارض خراج فان المقدسي ^(٢) قد اصر على اعتبارها ضمن اراضي الصلح .

لقد قسم الجغرافيون المسلمون ما يعرف الآن بالمراق الى قسمين رئيسيين فأطلقوا اسم (الجزيرة) على القسم الشمالي منه في حين ان القسم الجنوبي الذي يتألف من سهول غرينية خصبة ، والذي كان يعرف قسي القديم اسم اقليم بابل فقد أطلقوا عليه اسم (المراق) غير أن المصـاـدـر لم تقدم معلومات دقيقة لمتابعة التحديد المحلي الدقيق لهذه المناطق بشكل تام . على ان مصطلح السواد قد استعمله هؤلاء المؤلفون كمصطلح بديل في الاقلب للكلمة أو مصطلح المراق . ^(٣)

وفي الحقيقة فان السواد يحنى الاراضي الخصبة التي تشتمل تقريبا على أغلب حدود (المراق) وفق التحديد المشار اليه آتفا على ان مصطلح

(١) الاصطخري ص ٨٠ ، الصابي ، الوزراء ص ٣٠٩ والزيادة المعلومات انظر الدوري تاريخ المراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري

ص ١٩١ .
(٢) المقدسي / أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٣٣ .

(٣) ابن خردادبه ص ١٤ ، ابن رسته / الأعلاق النفيسة ص ١٠١ - ١٠٥ ،

الاصطخري ص ٧٨ ، ٧٩ السعدي / التبيه والأشرف ص ٣٨ ،

ابن حوقل ص ٢٣٤ .

(المتوفى سنة ٢٢٢ هـ، ٨٩٢٤ م)

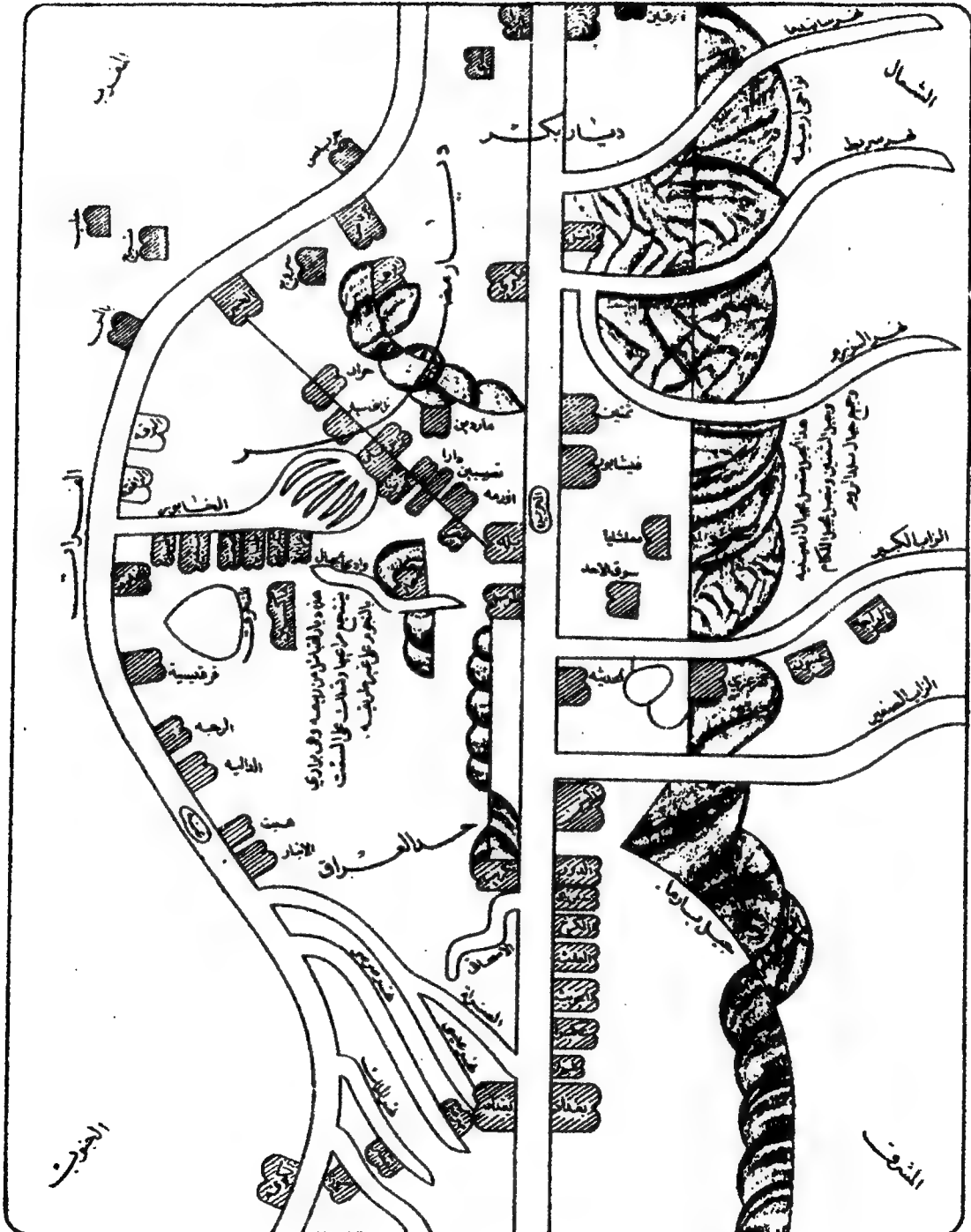
عن ميلبر، المارقات العربية، ج ٢، الموع ١٣



صورة الجزيرة

المقسّم رقم ١٤
عن كتاب صورة الأرض

لا بن جوقل (۵۲۶۷، ۶۷۷۲م)



عن كتاب الشريف الادريسي - في الجغرافيا العربية - للدكتور أحمد سوسة

السواد كغيره من المصطلحات في اللغات الحية قد ظهر استعماله فاصبح يطلق على المنطقة الزراعية المحيطة باحدى المدن وهنا يشير الجغرافيون المسلمون الى سواد بغداد وسواد البصرة ، وسواد الكوفة وسواد واسط وسواد الانبار والراجح أن هذا المصطلح قد جرى استعماله لتمييز الاراضي الزراعية التي تحيط بمدن العراق حيث لم يستخدم مع المدن الاخرى خارج هذه المنطقة .

ويذكر ابن خرداذبه (المتوفى ٢٥٠ هـ - ٨٦٤ م) وأبو عمرو بن الخطاب بمسح السواد وطوله من العلت وجري الى عبادان وهو مائى وخمسة وعشرون فرسخا وعرضه من عقبه حلوان الى العذيب وهو ثمانون فرسخا فبلغ جريانه من ستة وثلاثين الف الف جريب^(١)

ان هذا التحديد للسواد كان مقبولا عند الجغرافيين المسلمين في القرون التالية حيث انهم حددوا (العراق) بنفس حدود السواد استثناء الحدود الشمالية . (٢) وقد ذكر المسعودى بان حدود السواد تتطابق مع حدود العراق ما يشير الى ان نفس الاقليم قد اطلق عليه هذين الاسمين^(٣)

اما الاصطخرى المتوفى (٣١٨ - ٣٢١ هـ - ٩٣٠ - ٩٣٣ م) فانه يذكر " وأما العراق فانه في الطول من حد تكريت الى حد عبادان على

(١) ابن خرداذبه ص ١٤

(٢) الاصطخرى ص ٧٨ ، ٧٩ ابن رسته ١٠٤ - ١٠٥ ، المسعودى ٣٨

ابن حوقل ٢٣٤

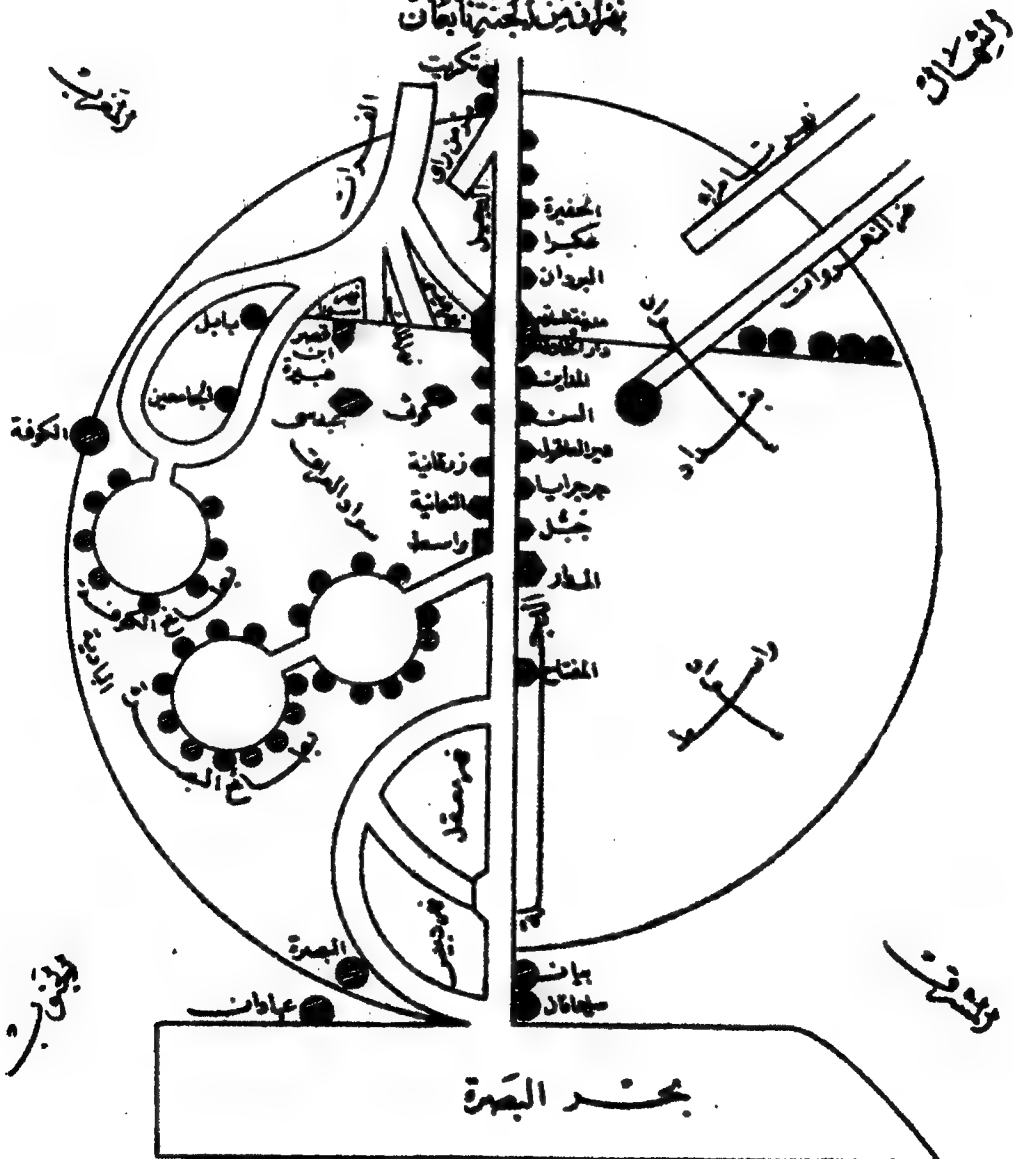
(٣) المسعودى / التنبيه ص ٣٨

صُورَةُ الْعَبْدِ الْقَمَلِ

لِلْبَلَدِ (المتوفى سنة ٢٢٢ هـ - ٩٢٤ م)

الرقم رقم ٣٤ عن ميلاد : الحارثات العربية ، ج ٢ الجزء ١-١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

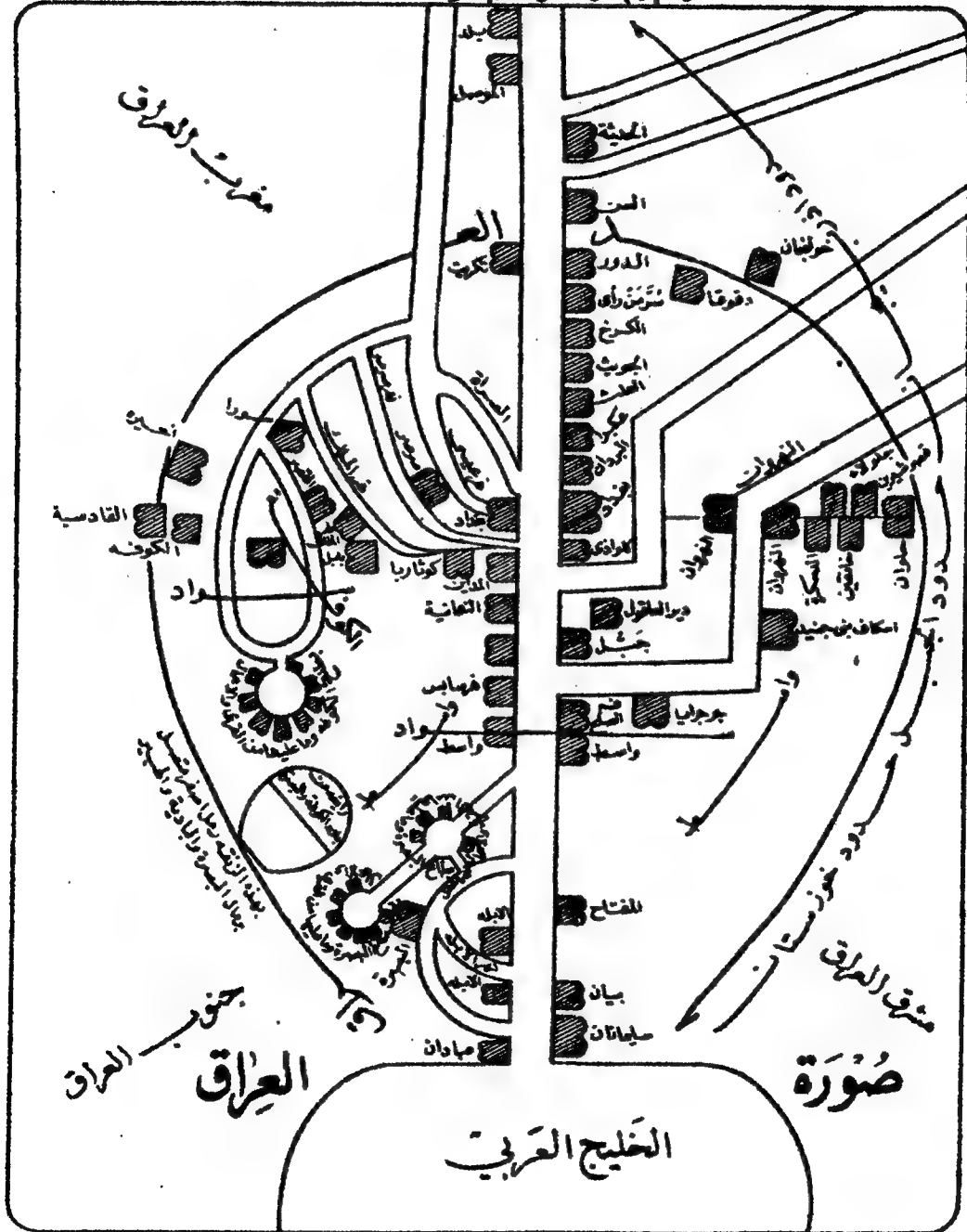


عن كتاب الشريف الاديسى - فى الجغرافيا العربية - للدكتور أحمد سوسة

صُورَةُ الْعِرَاقِ

لابن حوقل (٨٣٦٧) - (٩٧٧)

المسمر في ٤١ عن كتاب صورة الارض



عن كتاب الشريف الادريسي - في الجغرافيا العربية - للدكتور أحمد سوسة

بحر فارس ، وفي الموضع عند بغداد من قادية الكوفة الى حلوان ، وعرضه بواسط الى قريب الطيب . وعرضه بالبصرة - من البصرة الى حدود جبي ، والذي يوطف بحدوده من تكريت ما يلي الشرق حتى يجوز بحدود نهـر زور ، ثم يطوف على حدود حلوان وحدود السيوان والصيـره وحدود الطيب وحدود السوس ، حتى ينتهي الى حدود جبي ، ثم الى البر فيكون في هذا الحد من تكريت الى البحر تقويس ، ويرجع الى حد الفرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة ويطأها الى واسط ، ثم على سواد الكوفة ويطأها الى الكوفة ، ثم على ظهر الفرات الى الانبار ثم من الانبار الى حد تكريت بين دجلة والفرات ، وفي هذا الحد من البحر الى تكريت تقويس ايضا فهذا المحيط بحدود العراق * (١)

أما ابن حوقل (المتوفي ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م) فانه قد كور المعلومات التي اوردھا الاصطخري عند تعريفه لحدود العراق . (٢) في حين ان المقدس (المتوفي ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) اختلف عن ذلك التحديد بـقـمـينه حدود العراق الشـمالـيـه بشكل مختلف فقد ذكر انها تمتد من الانبار على الفرات حتى السن على دجلة . (٣)

ومن البحث في الحدود الفاصله بين العراق والجزيره فالراجـح انها كانت تختلف نسبيا عند مختلف الباحثين فقد ذكر ابن خردادويه

(١) الاصطخري ص ٧٩

(٢) ابن حوقل ص ١٥٨

(٣) المقدسي ص ١٣٤

لكثرة الزرع فيها على ما اعتادت العرب استعماله في هذا المجال فالناظر اليها من بعيد أو من حافة الصحراء الطريق فان يراها كقطعة من الليل من شدة تشابك اشجارها وهذا ما عناه ابن الجوزي في قوله " انما سمي السواد سوادا لان العرب لما جاؤوا ونظروا الى مثل الليل من النخيل والشجر والماء فسموه سوادا . (١)

ناقش الفقهاء ، عند تعرضهم لبحث الفتوح وانضمام الاراضي الجديدة الى جسم الدولة الاسلامية المسائل المتعلقة بحقوق التملك والاستغلال بشكل دقيق وفصلوا في ذلك كثيرا ، والذي يحنينا هنا هو مصطلح ارض الخراج ولقد عرفت الارض التي فتحت صلحا من قبل الفقهاء بانها ارض الخراج قال ابو يوسف " وكل ارض من اراضي الاعاجم صالح عليها أهلها وصاروا ذمه فهي ارض خراج " (٢) دون أي اعتبار حول ما اذا كانت الارض قد فتحت صلحا على شيء سمي او انها فتحت صلحا على قدر طاقتها ، غير أن هذا المصطلح " ارض الخراج " قد جرى تطوير استعماله في كتابات الفقهاء المتأخرين ان حصلت حرية واسعه في اطلاقه على الاراضي التي فتحت عنوة والتي اصطلح على تسميتها ابتداء " ارض الفسي " .

فالارض الخراجيه صارت تشمل ارض الصالح وارض المنصوبه

(١) ابن الجوزي / تاريخ عمر ص ١١٣

(٢) الخراج ص ٧٥

سويه وان كانت الصيغة الشرعية للتطوى على اختلاف كبير كما سلاحظ
والغريب انه بعد الاضطرابات التى حصلت فى السواد فى اواخر
العصر الاموى ونتيجة لفقدان ٧١ من والاستقرار وكذلك لاهداث الثورة العباسيه
وتشكيل الدوله الجديده وما تبع ذلك من صراع اثرت فى زوال الحدود الفاصله
بين ارض الصلح وارض الخراج وادت الى الجدل حول طبيعه الارض فى
كل منطقه فى نهاية هذه العجلة نظر الفقهاء الى مصطلح ارض الخراج
بمعنى مقابل الى حد بعيد الارض المئونة ، وقال بعضهم كانا اقر بالصفار
فقال فى ذلك يحيى بن آدم * من اقر بالطمى فقد اقر بالصفار * (١) وهنا
ايضا جرى الاستشهاد بحديث روى عن معاذ انه قال * من عقد الجزية
فى عنقه فقد بوى * ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * حتى ان ابنا
يوسف ذكر بشكل واضح بأن * ايما دار من دور الاعاجم قد ظهر عليها
الامام وتركها فى ايدي اهلها فهي ارض خراج * (٢) ونفس الشي يمكن
ملاحظته فى كتابات الفقهاء المتأخرين فالماوردى يذكر * ما ملك من
المشركين عنوة وقهرا * (٤) فهذه ارض المئونة .

.....

-
- (١) يحيى بن آدم / الخراج ص ٥٣
الطمى : ما يوضع على الارض من خراج (يحيى بن آدم / الخراج ،
ص ٥٣ هامش .
(٢) ابن داود / سنن ج ٣ ص ٢٤٢
(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٧٥
(٤) الماوردى / الاحكام السلطانية ص ١٤٧

مياه الخراج :

بعد أن استعرضنا مصلح ارض الخراج في منطقة سواد العراق ،
وسيننا موقعها وابعادها وعلاقاتها ، فان من المهم ان نخرج للحد يـسـت
عن (مياه الخراج) .

يقصد بمياه الخراج ، مياه الري في الاراضي التي فتحت عنـسـوه
حيث تعتمد الزراعة في هذه الاراضي كليا أو جزئيا على هذه المياه .
وقد اشار الفقهاء الى ان مياه الخراج هذه ينطبق عليها الى حد بعيد
ما ينطبق على الارض الخراجيه من أحكام ، فهي بمثابة تلك المأم الموقوف
لجميع المسلمين من كان قد شارك في الفتح ومن لم يشارك ومن يأتي بعدهم
الى قيام الساعة فهم جميعا شركاء فيها منذ عصر الفتوحات والى الابد . وقد
لمبت المياه الخراجيه دورا كبيرا في تثبيت الحقوق في ارض الخراج ، وقد
ذكر الرحيبي . في ذلك حين ناقش هذه المسألة فقال :

• والأرض الخراجيه هي التي تسقي بماء الخراج (١) اصف السي
ذلك فان الفقهاء لم تتفق وجهات نظرهم حول حكم اراضي الخراج التي
ليس فيها ماء والتي لا يمكن ان يساق اليها ماء الخراج ، فقال بعضهم بأنه
لاخراج عليها ، في حين ان البعض الآخر قد اقر الخراج ، فالقريب
الاول وعلى رأسهم الامام ابو حنيفة (المتوفي سنة ٥٠ هـ) رحمه الله ،

قد أوضح بأن "الخراج يجب على أرض السواد على العامر اذا نالـه الماء" ^(١) ، وقد رجح هذا الرأي يحيى بن آدم (المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) الذى ذكر بأنه "اذا كان يبلغها ماء أنهار الخراج فهي من أرض الخراج" ^(٢) فى حين أن أولئك الذين لم يوافقوهم قد تسكوا برأى الامام أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١ هـ) رحمه الله فى قوله "يمسح العامر والجبال وان لم يبلغه الماء ، ماء السماء يناله" ^(٣) ، وقد بين بعض الفقهاء مواضع المياه الخراجية فحصروها فى الأنهار الكبيرة كما هو الحال فى أرض السواد فقال الرحبي "ماء الخراج وهو ماء الأنهار التى خرفها الأعاجم كسيحون وجيعون ودجلة والفرات" ^(٤) ولعل ذلك ما دفع ابن خرداذبة ^(٥) وغيره مــــمن

(١) ابن رجب/الاستخراج ، ص ٥٤ .

(٢) ابن آدم/ الخراج ص ٢٥ .

(٣) ابن رجب/الاستخراج ، ص ٥٤ .

(٤) الرحبي / الرتاج ج ١ ص ٣٥ .

(٥) ذكر ابن خرداذبة مثلاً عن حديثه عن سقى السواد الأعلى فيقول : "يمر نهر الفرات بهيث والانباء فيتجاوزها فينقسم قسمين منها قسم يأخذ نحو المغرب قليلاً السلى المسمى بالعقل ، الى أن يصير الى الكوفة وقسم مستقيم ويسمى سوراً حتى يمر بمدينة سورا الى النيل وما يتصل بها فيسقى كثير من أعمال السواد ويخرج من أسفل الانبار نهر يسمى بالدقيل يحمل منه نهر عيسى الذى يأخذ الى بغداد ويصب الى السور بغداد ويصب الى دجلة بها ويمر جطة ما يهقى من ماء الفرات بعد ما يتفرق فى الانهار الى سقى أعمال السواد فيصب الى دجلة أسفل واسط وطول الفرات منذ يطلع من بلاد الاسلام الى أن يأتى بغداد وستمائة وثلاثة وعشرون ميلاً . أنظر :

ابن خرداذبة / المسالك والممالك ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

الجغرافيين على ان يعطوا تفصيلا دقيقا عن مجارى الانهار وشروعاتها
والمواضع التى تسير فيها او تستفيد من مياهها ، وقد بين البلازرى بلسان
أنهار الخراج ليست قاصرة على ما حفرها الاعاجم بل هناك أنهار حفرها
المسلمون مثل نهر ابن عمر الذى جرى حفره فى زمن يزيد بن الوليد
وكان عامه على العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز حيث كتب له يزيد
" ان بلغت نفقة النهر خراج العراق ما كان فى ايدينا فانفقه عليه " (١)

لقد اكد الفقهاء على مسؤولية الدولة فى كرى الانهار العظام
وكذلك ما يأخذ منها من الروافد مثل ما يتفرع من دجلة والفرات ، وان تكون
النفقة على ذلك من بيت المال ومن أهل الخراج ، اما الانهار الفرعية
الثانوية والمجارى الخاصة الصغرى فانها مسؤولية اصحاب الارض المستفيدين
منها ، وهذا ما يمكن ان يفهم من النص الذى ورد فى كتاب الخراج
لابي يوسف حيث ذكر " اذا احتاج اهل السواد الى كرى انهارهم
العظام التى تأخذ من دجلة والفرات كريت لهم وكانت النفقة من بيت
المال ومن أهل الخراج ولا يحمل ذلك كله على أهل الخراج " (٢)

وهكذا فان الانهار الصفار التى يجريها أهل الارض الى اراضيهم
يكون الانفاق عليها مسؤولية اصحابها المستفيدين من مياهها . فقد
ذكر ابو يوسف ذلك فى قوله " وأما الانهار التى يجرونها الى اراضيهم
ومزارعهم وكرومهم ووطائبهم وساتينهم ومباقلهم واشبه ذلك فكريها عليهم
خاصة " (٣)

(١) البلازرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٤٥٥

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ١١٩

(٣) ابو يوسف / الخراج ص ١١٩

لأن نفع كل نهر خاص بصاحبه ، وضابط ذلك ان ما يحتاج من هذه
الانهار الى الاتفاق وان كان نفعه للجميع ، دون أن يتأثر به احد مثل
دجلة والفرات فهنا النفقة عليه من بيت المال فقط . وقد ناقش الفقهاء
مسألة طريقة تتملق بمعدل الاتفاق على الانهار المشتركة وذلك انه اذا كان
نفعه لقوم دون غيرهم مثل نهر الملك ونهر عيسى فالنفقة عليه من بيت
المال بنسبة ما يجي اليه منه فان كان يجي منه الربح فربح النفقة على بيت
المال ، وكذلك الخمس والسدس مثلا لان المعونة على قدر المؤنة ونسبه ،
والباقي من النفقة على أهل الخراج * (١) . والآبار العظام * التي
تبني في شاطئ دجلة لتسقي منها الاراضي الخراجية فهذه تبقى ، اما
اذا وجد منها ضرر لانها قد تتكسر بها السفن ، وقد تمنع مرور الناس على
الشاطئ ، وقد رأى ابو يوسف ، مثل هذه الآبار عندما تحقق هذا
الضرر فانها ينبغي ان تتحى فقد ذكر في كتاب الخوارج موجهها حديثه
الى الخليفة هارون الرشيد * وسألت عن الفروب التي تتخذ في دجلة
وفي ممر السفن التي تمر الى دجلة وفيها نفع وضرر فان كانت تضر بالسفن
التي تمر في دجلة نحيث ولم يترك اصحابها واعادتها الى ذلك الموضع ،
وان لم يكن فيها ضرر تركت على حالها * (٢) . اصف الى ذلك ان ما
يصيب المزروعات والاراضي الزراعية من اضرار تجم عن الفيضانات حينها
ونقص المياه حينها آخر ، فان اصلاحها ينبغي ان يكون من بيت مال
المسلمين ، ويسرى هذا ايضا على البشوق التي تحدثها المياه في اوان

(١) الرجعي / الرجاج ج ٢ ص ٢٦
المقصود هنا المواضع التي تبني فوقها الدواليب والنواعير والبكرات
(٢) ابو يوسف الخراج ص ١٠١

جموعها على ضفاف الأنهار * (١)

أما الحدود التي وضعت على الآبار والعيون وتعنى وغيرها فهي
بشابه المناطق المحرمة ولذلك فقد أطلقوا عليها اسم الحريم * السقي
يجب على كل واحد الا يتجاوز حدودها والتعدى عليها لأنها ملك للغير
أو أنها تحفظ ملك الغير وتحقق له الانتفاع بملكه ، ويبدو أن هذا المصرف
قد جرى العمل به استنادا الى ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في
قوله * من حفر بئرا كان له ما حولها اربعون ذراعا عطنا * لماشيته * (٢)
وقال صلى الله عليه وسلم * حريم البئر البد * خمسة وعشرون ذراعا وحريم
البد * العادية * خمسون ذراعا وحريم العين السائحه ثلاثمائة ذراع وحريم
عين الزرع ستائة ذراع * (٣) وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم * حريم
العين خمسمائة ذراع وحريم البد * الناضج * ستون ذراعا وحريم الطمن

(١) الرحبي / الرتاج ج ٢ ص ٢٦

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ١٠٩

(٣) ابو عبيد / الأموال ص ٣٦٩

* الطمن : الطمن للابل كالوطن للناس يحيى بن آدم / الخراج ص ١٠٠
والطمن بئر لماشية التي تسقى منه ولا يسقى منها الزرع (الرحبي /

الرتاج ج ١ ص ٦٧

* البد : معناها البئر الجديد المبتدأ (ابو عبيد / الأموال ص ٣٧٠

* المادة : يعنى القديم نسير الى عاد (ابو عبيد / الأموال ص ٣٧٠

* الناضج : التي يسقى منها الزرع والابل (الرحبي / الرتاج ج ١ ص ٦٦٨

أرىهمون ذراعا * (١) حيث يظهر من ذلك ان البئر اذا كانت للمشيمة فان حريمها ارىهمون ذراع ، واذا كانت للنائج فحريمها ستون ذراعا اما وان كانت عينا فان حريمها خمسائة ذراع ، والراجح ان هذه المسافات المحرمة الحافظة لحقوق اصحاب الاملاك كانت ملزمة للجميع ، ولا ينبغي لاحد ان يتجاوزها ولا يحق له ان يحفر بئرا فيها ان يصبح من حق صاحب البئر واليمين ان يمنعه لان الشرع اعطى لصاحب البئر ذلك الحق الذي لا يمكن ان يحثوره شك او نقص ، حتى لو ان البعض حاول ان يبنى او يزرع في هذه المناطق المحرمة ان لصاحب البئر ، ان يمنعه وقسود بين ذلك ابو يوسف حين ذكر * وليس لاحد ان يدخل في حريم بئر هذا الحافر ولا في حريم عينه ولا في قنائه ولا يحفر فيه بئر فان حفر لم يكن له ذلك . وكان لصاحب البئر ان يمنعه من ذلك * (٢) فان الحريم يكون ما حولها .

أما بالنسبة لحريم الانهار فقد كانت معتبرة لدى الفقهاء ، وقسود أشار اليها ابو يوسف حين ذكر * فاذا ظهر الماء وساح هلى وجه الارض جعلت حريم كحريم النهر * (٣) في حين أن ابا عبيد اشار الى استمرار العمل بالحريم بشكل يوحى بالديمومة فقد ذكر * فاحريم الانهار فلم نسمع فيه شي * موقت * (٤)

-
- (١) ابو يوسف الخراج ص ١٠٩
(٢) ابو يوسف / الخراج ص ١٠٩
(٣) المصدر السابق / الخراج ص ١٠٩
(٤) ابو عبيد / الأموال ص ٣٧١

ويبدو ان جباية الخراج لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية
كما ينمكس ذلك من مناقشات الفقهاء ، حول هذا الموضوع . كما ان اثرها
لا بد أن يكون كبيرا في الضرائب وبالتالي في واردات بيت المال .

.....

قانون الخراج :

لقد استعمل مصطلح " الخراج " بحرية واسعة ابتداءً من القسرون الاول الهجري ، وان كان معناها قد تضمن معنى الضريبة . ومع ان فصوص الخراج وقواعد جبايته الخاصة قد بدأت من الايام الاولى لعصر حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، فان معدلات الضريبة وطرائق تجميعها وجبايتها قد وضحت بشكل كبير من خلال تطبيقات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في اعقاب فتح الجيوش الاسلامية للصراق .

ولقد جرى خلال الفترة السابقة لتولي عمر بن الخطاب الخلافة التركيز على التطبيق الحرفي لقوله تعالى " واعلموا انما غنمتم من شيء " فان الله خمس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (١) الآية . ان كانت الاراضي المفتوحة تعامل معاملة الاموال المنقولة تخمس وتوزع بعد ذلك على المشاركين في الفتح . وعند استمواض اجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في حالة خيبر بعد فتحها ، فقد ذكر يحيى بن آدم " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر غنوة بعد قتال ، وكانت خيبر ما افاه الله علي رسوله فخمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من اهل خيبر علي

(١) سورة الانفال : ج ١٠ آية (٤١) .

الجلال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاينة الارض (١) وكذلك حديث ابن عمر * ان النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشروط ما يخرج منها من تمر أو زرع * (٢) وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم ضريبة تعادل ٥٠ ٪ من مجموع الانتاج السنوى فقد زارع عليها بالمناصفه .

ان المقارنه الظاهرية لاجراءات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد توهى عند غير المتخصصين بانه سار فى طريق مبتكر استحدث بموجبه اجراءات مفايزه لما سار عليه المسلمون فيما سبق غير ان الدراسه الجاده المستنده الى النصوص الثابتة تشير الى انه سار على خط موحد وانه حصيلة اجراءات لا تختلف مطلقاً عن سبقه .

انه بالامكان الى تصنيف اعمال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى هذا الاطار الى مجموعتين اولاهما تتعلق بالاجراءات ، وثانيهما تتصل بفرض الضريبة ومعاينة اهل الارض المفتوحة .

وفى ما يتعلق بالمجموعة الاولى فمن الثابت ان عمر رضى الله عنه قصد استهل اجراءاته بما يتطابق مع اجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم فسعى

(١) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢١

(٢) الترمذى / صحيح ج ٦ ص ١٥٣

فى خير ان أنه عمل على تخميس الأرض وتوزيع الباقي بين المقاتلين المشاركين كما أنه من الثابت تاريخيا تطبيق هذه الاجراءات فقد ذكر أبو يوسف " أنه أراد أن يقسم السواد بين المسلمين فأمر بهم^(١) وأضف الى ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد أعطى بجيلة ربع السواد ثلاث سنوات ، ثم بعد ذلك استرجعه أمير المؤمنين منهم فقال " يا جرير أنى قاسم مسئول ، لولا ذلك لسلمت لكم ما قسمت لكم ، ولكنى أرى أن يرد على المسلمين فردة جرير ، فأجازه عمر رضى الله تعالى عنهم^(٢) بشانين دينارا^(٣) ، غير أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وبعد تدقيق وتمحيص لمصلحة الأمة ومستقبلها على ضوء الظروف الجديدة وسمعة الأراضى المفتوحة والرمال المرجوة للأمة دعت الى أن يتوقف وأن يعيد النظر على ضوء كتاب الله الكريم ، والثابت أنه استرشد بآراء عدد من كبار الصحابة رضى الله عنهم ثم نظر فى كتاب الله واستخرج منه آيات استند اليها فى ما اتخذ من اجراءات ، وعلى ضوء وهدى القرآن مرجحا مصلحة الأمة وتوجهاتها وأهدافها وما يؤمل لها على مصلحة زائلة للأفراد ، فالآيات التى استتبطها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من القرآن الكريم^(٣) ، وكذلك كان هناك حوار بين أمير المؤمنين وبين بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم حول التقسيم ، بعضهم

(١) أبو يوسف / الخراج ص ٣٩ .

(٢) أبو يوسف / المرجع السابق ص ٣٤ .

(٣) سورة الحشر ، جزء ٢٨ ، آية (٨ ، ٩ ، ١٠) .

يرى أن يكون فيثا لجميع المسلمين ، (١) وأخيرا انتهى هذا الحوار الذي
عدم تقسيم الأرض ، وأن تصبح ملكا مشتركا ، وأن سكانها من الممكن أن -
يصيحوا عبيد الوقسم ، ولكن بعدم التقسيم أصبح سكانها هم أهل
الأرض يزرعونها على أن يؤدوا خراجها ، وفي رقابهم الجزية (بسـدل
المتق) وقد عتقوا بها وعلى الأرض الخراج وهي لأهلها فذكر قدامه . . .
وان لم يقسمها وتركها للمسلمين كافة فعلى رقاب أهلها الجزية وقد عتقوا
بها وعلى الأرض الخراج وهي لأهلها * (٢)

أما بخصوص المسألة الثانية وهي تحديد نسبة الضريبة فقد اتخـذ
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك يتحوط شديد وتدقيق فيما يحقق مصلحة
الأمم في مستقبلها و (مصلحة بيت المال) من جهة ومصلحة المزارعين
من جهة أخرى على ألا يرهق أهل الأرض وأن تكون الضريبة في إطار ٣ لطاقـة
أو " المغو " أو " الفضل " الزائد عما يحتاجون إليه . وهذا ما يوضحه
قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للجنة المكلفة بمسح السواد المكون من
عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان " انظروا لا تكونا حملتا الأرض مالا تطيق " (٣)
وان جباية الضريبة على أساس جباية نسبة من الانتاج من وحدة المساحة
في الأرض الزراعية تمثل استقرارا ووحده في معدلات الجباية بشكل شامل
في جميع مناطق السواد ، وهذا ما عمل به عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

(١) ابو يوسف / الخراج ص ٣٩ ، ابو عبيد / الأموال ص ٧٤ ، ابن عساكر

تاريخ دمشق ١ ص ٥٧٥

(٢) قدامه بن جعفر / كتاب الخراج ورقه ٣٨ ٢

على ضوء قرار اللجنة المكلفة ، فان تطبيق ذلك باستمرار في الموحدة التالية ينطوي على الكثير من الصعوبات ، كما أن الفقهاء على ما يظهر قد أولوا هذه المسألة عنايتهم ويندر أن نجد أحدا منهم يتجاهل ضرورة الأخذ بمظهر الاعتبار عن فرض الضريبة ، مسائل متنوعة منها قرب الأرض ومحددها من المياه والاسواق ومدى خصوبة التربة ووفرة المياه وغير ذلك من الأمور التي تدخل في حساب الكلفة في الانتاج الزراعي ، وما أن الضريبة تكون على نسبة الانتاج ، ولذلك فالضريبة الخراجية لم تكن محدودة القيمة أو ذات قيمة نقدية موحدة ، بل كانت تختلف باختلاف الأرض ، والمؤن والسنن فالأرض إذا كانت جيدة ، وذات تربة جيدة يختلف زرعها عن زرع أرض ذو تربة رديئة فذكر الماوردي* ما يختص بالأرض من جودة يذكرونها زرعها ، أو رداءه يقل بها ريعها* (١) ولا تحمل الأرض فوق طاقتها .

وضريبة الخراج تتفاوت لتفاوت المؤن ، في حين أن بعض الزرع يحتاج الى جهد كبير ويحتاج الى مؤن فخراجه يكون الأقل وفي هذا الصدد ذكر الرحبي* " لاحتياجه كل سنة الى البذور والحرق والحصاد التي غير ذلك كان خراجه الأقل " (٢) في حين أن بعض الزرع لا يحتاج الى جهد ومؤن مثل الكرم فخراجه أكثر* ولما كان الكرم أقلها مؤن لا يسقط يبقى على الأبد بلا مؤن : كان خراجه الأكبر* (٣) وبعض الزرع وسط يحتاج الى جهد أقل ومثل ذلك الرطب فذكر الرحبي* لأنها تبقى أعواما

(١) الماوردي / الأحكام السلطانية ص ١٤٨

(٢) الرحبي / الرناج ج ١ ص ٢٧٠

(٣) الرحبي / المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٠

لكن لا تدوم دوان الكروم كان خراجها وسط بينهما " (١)

ويقصد بالوسط ، بأنها بين الزرع الذي يحتاج الى جهد وبين الزرع الذي لا يحتاج الى جهد .

كما ان المياه لعبت دورا كبيرا في تقدير الضريبة الزراعية (الخراجية) فقد قسم الماوردي ، شرب الزرع والاشجار الى أربعة أقسام فذكر القسم الاول ، ما سقاء الادميون بغيره كالمسيح من الميرون - والانهار يساق اليها فيسبح عليها عند الحاجة ويمنع عند الاستفناء ، وهذا اوغر المياه منفعة واقلها كلفه " (٢) أما القسم الثاني فهو اكثر موءنه واشققها عملا فقال : " ما سقاء الادميون باله من نوضح ودواليب او دوالي وهذا اكثر موءنه واشققها عملا " (٣)

اما القسم الثالث " ما سقته السما بطراوثلج ، وظل ويسمى الحذى " (٤) .

اما القسم الرابع " ما سقته الارض بنداوتها واما استكن من الماء فسي قرارها فيشرب زرعها وشجرها بمروقه ويسمى البعل " (٥) ثم بين الفهسل فقال " وهو ما شرب بالقناه فان ساح فهو من القسم الاول وان لم يسح فهو من القسم الثاني (٦) والكظام " فهو ما شرب من الابار فان نضح منها

(١) المصدر السابق ، الرتاج ج ١ ص ٢٧٠
انظر من (١) الى (٦) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٩

بالفروب فهو من القسم الثاني ، وان استخرج من القناه فهو غيل يلحق
بالقسم الاول (١) وهذه الصوره تبين ان السقى والمياه يوتر على
الضريبة الخراجيه .

.....

ان اراضي الدولة الاسلامية تشتمل على انواع من الملكية دون ان يكون هناك خطوط واضحة تميز بينها ، وهناك كثير من التنوع في شروط الملكية في كل نوع ، وكانت الاراضي المسجلة في ديوان الخراج المركزي في العاصمة ، كما أنها كانت مسجلة في دواوين الخراج المحلية في اقليمها ، حيث انه يوجد بها اقليم من اقاليم الدولة (ديوان خراج) خاص به يقوم مقام خزانة الدولة . وعند تتبع الجذور التاريخية لنظام الخراج فان من الميسر التعرف على اصوله التي تعود الى عصور ما قبل الاسلام ، وان ان من الثابت تاريخيا ان هذا النظام كان يطبق في السواد خلال العصر الساساني وحتى الفتح الاسلامي للعراق ، وقد ذهب الجهمشيارى الى ان " لهراسب بن فنوخا بن كيمنش اول من دون الدواوين وحضر الاعمال والحسابات وانتخب الجنود وجد في عمارة الارض وجباية الخراج لارزاق الجيش " (١)

والراجع أن الإدارة الفارسية في العصر الساساني قد استندت إلى
أربعة قواعد ، كان الخراج وحدها منها فذكر الجهميشاري " كـ" أن
للاسلطه أربعة خواص ، فكان على خاتم الحرب والشوط : الأمانة ،
وعلى خاتم الخراج والمصارف : التأييد ، وعلى خاتم البريد : الوفاء ،

وعلى غاتم المظالم العدل^(١) وذلك يشير الى أهمية الخراج كركن أساسى من أركان استقرار النظام ، والواقع أن توفر الأموال فى خزانة الدولة يعتبر من عوامل الاستقرار ، كما أنه يلعب دورا بارزا فى تطوير الحياة العامة . وينبغى أن نشير هنا الى حقيقة مهمة وهى أن التطبيق الاسلامى لنظام جباية الضريبة الزراعية ، وتطبيق نظام " الخراج " قد بدأ ، بعد أحداث الفتح الاسلامى للعراق ، وبالتحديد فى عصر الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه حيث تم فتح العراق كلها الا غراسان والسند وافتتح الشام كلها ومصر والافريقية^(٢) فمن المتوقع والحالة هذه أن يؤخذ النظام الساسانى السابق بنظر الاعتبار عن التوجه نحو وضع نظام جديد للخراج لفرض أن يطبق فى كل دول الخلافة الاسلامية ، وهذا ما حصل فعلا ان تأثرت أصول الدواوين المالية فى الدولة الاسلامية بالتنظيمات الساسانية الى جانب التطور الطبيعى الناجم عن الرغبة فى مقابلة الحاجات ، والمشاكل التى عاشها المجتمع الاسلامى . ولعل ذلك ما دفع ابن خلدون الى تأكيد تلك الحقيقة بقوله " وأما ديوان الخراج والجبايات فبقى بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل ، ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية^(٣) .

-
- (١) الجهمشيارى / الوزراء ، ص ٢
(٢) أبو يوسف / الخراج ، ص ٣٠
(٣) ابن خلدون / المقدمة ، ص ٢٦٨

والثابت انه لم يكن في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ديمـيـوان للخراج مع ان المصادر الاسلامية المتخصصة بالسيره النبوية العظيمة قد استهبت في الحديث عن اجراءات متعددة تتصل بالارض والعلاقات الزراعية التي تتصل بها كالمزارعة والمساقاة والكراء* والمزابنة . ولهذه علاقة وطيدة بالخراج لان العلاقة تدور حول الارض والزرع والشجر ، ونصرف ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعطى خير اليهود على ان يحطوها ويزرعوها ولهم شطر ما خرج منها . وكذلك نصرف ان هناك خلاف بين الفقهاء حول نهى عن الكراء والمزابنة فذكر ابن حزم ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن المزابنة . (١) فهذا يحتاج الى عالم لكن بخصوص في هذا المضمار . غير ان تنظيم مثل هذه العلاقات قد تركت للافساد واصحاب المصلحة وعلى اساس احكام الشريعة الاسلامية ، كما ان الدولة لم تكن قد توسعت بعد لتشمل اراضي زراعية واسعة . كما هو الحال

= المزاعه : اكثره العامل لزرع الارض ببعض ما يخرج منها (انظر الامام النووي / روضة الطالبين ج ٥ ص ١٦٨ ،
* المساقاة : هي ان يحامل انسان (انسانا) على شجرة ثم يحمدها بالسقي والترية ، على ان مارزق الله تعالى من الثمرة يكون بينهما (الامام النووي / روضة الطالبين ج ٥ ص ١٥٠) .
(انما سمي ذلك المقد مساقاة على انه متعلق بفهر السقي ايضا لا معظم ما يتعلق به المقد (قوله وما الحق به) اي كالنخل والزرع المقناه ونحوها (انظر احمد الدرديـه / حاشية الدسوقي على شرح الكبير ج ٣ ص ٤٧٣)
(١) ابن حزم / المحلى ج ٨ ص ٢١٢

فى عصر الفتوحات ما لم يظهر الحاجة الى اقامة مثل هذه المؤسسات ،
وتبدو ان الاوضاع سارت على نفس النسق فى عهد ابى بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه ان جسامه الأحداث المتوالية على الامه ابتداءً بوفاء
الرسول صلى الله عليه وسلم ومرورا بظهور الخلافة ومشاكل الدولة
المتتلة باحداث الردة وهروبها ، واعتناء بمباشرة اعمال الفتوحات
الاسلامية لم تبلور الحاجة الى تأسيس ديوان الخراج فى المرحلة المبكرة
والمتتلة فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه .

وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه
اتسمت رقعة الدولة الاسلامية ، وخرجت من اطارها السابق ، فالتحقت
بها اراضي زراعية شاسعة ، وقد استلزم تلك التطورات تأسيس عدد من
الداوين الرئيسية للاشراف والتنظيم وهكذا اقيم كل من ديوان الجند
وديوان بيت المال ، وديوان الخراج . (١)

لقد أقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ،
بعد فتح العراق على تشكيل لجنة متخصصة كلفها بمسح السواد ، وتضم
هذه اللجنة كل من حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف رضى الله تعالى
عنهما ، وقد ذكر ابو يوسف * كان عثمان عالما بالخراج فسمحها اساحبة

الديباج ، واما حذيفه فكان أهل جوخي قوما مناكير فلعبوا به في مساحه^(١) وكان مسح عثمان مسحا دقيقا ، ويبدو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد اقام التنظيمات الجديدة وفق المعدلة الاسلامية غير انه لم يستبعد امكانية الاستفادة من الخبره والتنظيمات الساسانية ولذلك فانه ارسل الى حذيفة * ان ابعث الى بدهقان من جوخي ، ومعث الي عثمان بن حنيف : ان ابعث الى بدهقان من قبل المراق ، فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ، ومعه ترجمان من أهل الحيرة فلما قدموا على عمر رضى الله عنه قال : كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضهم ؟ قالوا سبعة وعشرون درهما فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لا ارضيهم بهذا منكم^(٢) وتعرف ان الفرض ضريبة الخراج من الناحية المحلية ، وانما استدل من هذا الاشارة الى استعانة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالدهاقين لتقرير الضريبة المفروضة على الارض المفتوحة ، ولا أهمية هذا المورد للدولة الاسلامية نجد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه استخدم بعض كبار الصحابة لتنفيذ النظام الضريبي المقترح فقد عين ابا موسى الاشعري عاملا على البصرة ويذكر اليعقوبي بان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد كتب الى ابي موسى الاشعري بان يضع على أرض البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة^(٣) .

(١) ابو يوسف الخراج ص ٤١

(٢) نفس المصدر ص ٤٠ ، ٤١

(٣) اليعقوبي / تاريخ ٢م ص ١٥٢

وعلى هذا التنظيم سار بقية الخلفاء الراشدين واهتم على كرم الله وجهه بتنظيم الخراج ليس من أجل الجباية فقط بل انه ايضا يروى أن في اصلاحه صلاح العراق . ولهذا كتب الى ابن عمه عبدالله بن المبراس رضى الله عنهما " اما بعد فاعلمنى ما اخذت من الجزية ومن اين اخذت وأينما وضعت " (١) فهذا يد على حرص الخلفاء الراشدين على ضمان مصالح المسلمين ، وعدم التفريط بها . بقدر حرصهم على تحقيق العدالة في الجباية . ولا بد من الاشارة بشكل واضح الى أن اقامة وانشاء الديوان قد تم في عصر الراشدين وابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . (٢) قال ابن رسته في الاعلاق النفيسة ج ٢ / ١٩٩ انه اول من دون الدواوين .

ولقد حصل نقاش طويل بين عدد كبير من الباحثين حول أصل كلمة ديوان ، فمن قائل أن أصل الكلمة عربي مشتق من الفعل (دَوَّنَ) وآخر يقول بأن الأصل من القيد " فالشعر ديوان العرب " ومن قائل بأن الأصل من مجالس العرب (دواوينها) . ثم إن البعض رد وأصل الكلمة إلى الفارسية ، واعتبارها اشتقاق من كلمة (ديفانه) ، فقد جاء على لسان كسرى " حينما نظر يوما إلى كتاب ديوانه وهم

(۱) جرجي / تاريخ ج ۴ ص ۴۷

(٢) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

يحسبون على انفسهم كانوا يحادثون ، فقال ديوان ، ومعناها بلغمسة
الفرس هو "لا" ، مجانين فسمى موضعهم بذلك " (١) ثم ان كثرة الاستعمال
حذفت الهاء فاصبحت تلفظ ديوان ، وايضا من معانية الفارسية "اسم
للشياطين" بالفارسية ، سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهمهم
الامور ووقوفهم على الجلى منها والخفي وجمعهم عاشت وغرق ثم نقل السي
مكان جلوسهم " (٢)

وعلى هذا بن البستاني بدليل على الاصل الفارسي لكلمة ديوان ،
فاشار الى جملة امور "اولها : ان لفظ ديوان ، اوديوان معناها الجن
بالحقيقة والافرنج يكتبونها بدقة اوديقاس . . ثانيها : انه ليس في
لغة العرب مادة يرجع اليها معنى هذا اللفظ ، ثالثها : انه ليس
في لغتهم اسم على وزن فما اوفيمال فما ورد منه من مثل ديوان ودينار
وقيثار وكيوان وايوان ونيشان ونيسان وغير ذلك فلا بد ان يكون محروسا .
رابعها : ان اعمال الديوان لم تكن موجودة عندهم وانما يظهر انهم
اقتبسوها من الفرس " (٣) وقد ورد في دائرة المعارف الاسلاميه ان كلمة
ديوان " مشتق من كلمة ايرانية افترض وجودها وهما ديوان ، وتمست

(١) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٤٣

(٢) ابن خلدون / المصدر المأثور ص ٢٤٣

(٣) البستاني / دائرة المعارف ج ٨ ص ٢٥٦

هذه الكلمة بسبب لـ " ديبه " اى الكاتب ، ويقول انه ريانس
ان لهما صلة بكلمة دب الاشورية " (١)

ولا يهنا فى الواقع فى هذه الدراسة تتبع الاصل التاريخى لمصطلح
الديوان بقدر ما يهنا تتبع نشأة وتطور " ديوان الخراج " على اعتبار
أن الديوان المختص بالاشراف على الارض الخراجيه ومراعاة مصالحها وضمن
مصالح المسلمين فيها .

وعمل هذا الديوان كما يذكر ابن خلدون " ان هذه الوظيفة من
الوظائف الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة
فى الدخل والخرج واحصاء المساكن باسمائهم وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم (٢)

وبعد أن عرفنا ان مالديوان الخراج من الاهمية المعظمي فى تنظيم
جباية الضرائب والعمال ، حتى انه يعتبر بمثابة العمود الفقرى للنظام
الادارى والمالى " (٢) ثم انتقال الخلافة الى بنى أمية ، وظهور الدولة
الاموية على مسرح الاحداث حيث اتسعت حدودها ، وزادت مشاكلها
هذا ما زاد من اهمية الخراج وديوانه . (٤)

(١) دائرة المعارف الاسلامية ٩م ص ٣٧٨

(٢) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٤٣

(٣) المدوى / النظم ص ٢٣٤

(٤) المصدر السابق / النظم ص ٢٣٤

وقد حفظ لنا التفويض قولاً جاء فيه على لسان أحد الوزراء : من صلح للخراج
صلح للوزارة . (١) ومن شروط وزير التفويض أن يكون ملماً بالخراج فذكر
الماوردي * أن المعرفة أمرى الحرب والخراج معتبره في وزارة التفويض * (٢)
وهذا يشير إلى مدى اتساع وأهمية هذا الديوان ، وبالنظام اللامركزي الأموي
نجد أن دواوين الخراج في الولايات كما ذكرها المدوي أنها غيران -
دواوين الخراج في الولايات ظلت تجري في الشطر الأول من العصر
الأموي على نفس القواعد التي جرت عليها زمن الراشدين وخاصة من حيث
احتفاظها باللغة العربية * (٣) وفي فترة حكم الخليفة الأموي عبد الملك
بن مروان (٦٥ هـ - ٨٦ هـ) تم تعريب الدواوين حيث كان يوجد
بعض الدواوين محتفظه باللغة التي كتب بها مثل الفارسية والرومية .
واليونانية ، والقبطية وقد حدث هذا التعريب نتيجة لضرورات التنسيق
والوحدة الإدارية في الأمة الإسلامية ، ولحل حذق العرب وموالمهم فسي
الكتابة ما شجع على سلوك هذا الاتجاه إذ صدر أو الخليفة بنقل الدواوين
إلى العربية ، وكان ذلك في حوالي سنة ٨١ (٤) وقد أشار المقرئ السي
أن * كان ديوان الشام بالرومية ، وديوان العراق بالفارسية وديوان
مصر بالقبطية فنقلت دواوين الأماص إلى العربية * (٥) وتتحدث المصادر

(١) التنوخي / مشاور المحاضرة ج ٨ ص ١٦ ، ١٨ ، السامرائي / المؤسسات

ص ١٩٨ هامش ٦

(٢) الماوردي / الأحكام ص ٢٧

(٣) المدوي / النظم ص ٢٣٤

(٤) المدوي / المصدر السابق ص ٢٧٦

(٥) المقرئ / الخطوط ج ١ ص ١٧٥

عن ديوان الخراج بالشام الذي نقله من الرومية الى العربية ابو ثابت سليمان بعد سمد غير ان المصادر لم تتفق حول مسألة تاريخ بتنفيذ ذلك فقد رجح بعضها أنه قد تم في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان في حين أن مصادر أخرى اشارت الى ان التعريب قد تأخر في ديوان الشام الى عصر هشام بن عبد الملك وهذا ما ناقشه المقرئ (١) أما ديوان الخراج بحصر فقد نقله من القبطية الى العربية امير مصر في تلك الفترة عبد الله بن عبد الملك بن مروان * كان اميرها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين (٢) أما ديوان الخراج بالعراق فقد نقله صالح بن عبد الرحمن كانت الحجاج من الفارسية الى العربية . (٣) وكان صالح يجيد الكتابة بالعربية والفارسية ويبدو أنه تعرض على ذلك على يد (زادان فروخ ، كاتب الحجاج قبله) (٤)

وقد اشار بعض المؤرخين الى أن تعريب دواوين الخراج قصد هياً للولاة العرب فرصة الاشراف المباشر على تفاصيل ما يورد الى الديوان خاصة الى مباشرتهم لا دارة ولا ياتهم * (٥) كما نجد أن في تعريب الدواوين

(١) المقرئ / الخطط ج ١ ص ١٧٥

(٢) المصدر السابق / الخطط ج ١ ص ١٧٥

(٣) " " " " " "

(٤) ابن خلدون / مقدمه ص ٢٦٨

(٥) العدوى / النظم ص ٢٧٦

قد قضى عبي تلاعب وجشع وتوزيع العمال وخاصة في السجلات الذين كانوا قد اطمأنوا الى عدم امكان كشف أمرهم .

وينبغي ان نشير الى أن حركة التعريب لم تشمل بالضرورة جميع دواوين الخراج بالدولة الاسلامية حيث أن بعض الدواوين هذه قد ظهرت اصلا باللغة العربية ، وعند حديث الجيهشيارى عن هذه المسألة فان ذكره بانه " لم يزل بالكوفة والبصرة ديوانا : احدهما بالعربية ، لاخصاصا" الناس واعطياتهم وهذا الذى كان عمر قد رسم ، والآخر لوجوده الامسوال بالفارسية وكان بالشام مثل ذلك احدهما بالروسية والآخر بالعربية . فجزر الامر على ذلك الى عبد الملك بن مروان " (٢) فهذا يوضح ان الادارة الاسلامية قد نظمت الامور من البداية بشكل يؤمن التعرف على تجسروى بن الدواوين وينظم علاقات الافراد بالسلطة وعلى ذلك فان مهمة التعريب انما قصد بها تمريب الاقسام الخاصة بوجوده الاموال التى كانت تكتب كما جرت العادة باللغات الاجنبية وذلك ما حصل اذا انصب التعريب على هذه الجوانب .

وهنا ينبغي الاشارة بشكل واحد الى ان أول من دون الدواوين باللغة العربية اصلا انما هو امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى السنوات الاولى لحكمه ، وتذكر النصوص عن فتره الراشدين بسلان

(١) المدوى / النظم ص ٢٧٦

(٢) الجيهشيارى / الوزراء ص ٣٨

أبا هريرة رضي الله عنه قدم من البحرين ومعه مال كثير ، نقل الجهميشاري
نص جعلها " خمسين مئة الف الف درهم " (١) فخطب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بالقوم بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال " أيا الناس ، قد جاءنا
مال كثير ، فإن شئتم كناه كيلا ، وإن شئتم أن نعد عدا . فقام إليه
رجل فقال يا أمير المؤمنين ، قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدنون ديوانا لهم .
قال : دونوا الدواوين " (٢) ومن هنا يتضح أن كتابة الدواوين باللغة
العربية كانت بدايتها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه . ثم نجد أن بعض خلفاء بني أمية استعملوا لكتابة ديوان
الخارج نصرانيا مثل سرجون بن منصور الرومي وابنه منصور ، وقد استعمله
معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية وكذلك استعمله يزيد بن معاوية ،
كما استعمله أيضا كل من معاوية بن يزيد ، مروان بن الحكم . (٣)

بينما أمير العوالمين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد تشدد
فى الأمر ان رفض ان يحين ذميا حين كتب له ابو موسى الاشعري يستأذنه
فى استخداه ، ان امره بعزله رغم محاولة ابو موسى باغواء الخليفة من اجل
تعيينه ومبيناه اهميته بقوله " ان البلد لا يصلح الا به " (٤) فما كان جواب

(١) الجبهيشارى / الوزرا' ص ١٦

(٢) المصدر السابق / الوزراء ص ١٢

• ۳۳، ۳۲، ۳۱، ۲۴ ص. " " " (۳)

(۴) ابن ابی حدید / شرح نہج البلاغہ ج ۱۲ ص ۷

أمير المؤمنين الى ابي موسى " مات النصراني والسلام " (١) وقد ذكر ابن
ابي حديد ايضا قال " قيل لعمر : ان هاهنا رجلا من الاحبار نصرانيا
له بصر بالديوان ، لو اتخذته ، فقال : لقد اتخذت اذا بطانه ممن
دون المؤمنين " (٢) ثم بين رضى الله تعالى عنه الأسباب فقال " ليس
لنا أن نأثمهم وخونهم الله ، وان نرفعهم وقد وضعهم الله ، ولا أن -
نستصحبهم فى الدين وقد وترهم الاسلام ، ولا ان نعزهم وقسده
أمرنا ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (٣)

وقد حصل تطور ادارى جديد خلال العصر الاموى ذلك أن ادارة
الدولة اخذت تعتمد الى تكليف احد العمال بمسؤولية الجباية فسي
اقليمين فى وقت واحد وخاصة الاقاليم التى تشكل وحده متجانسة
أو متكاملة ، فقد ذكر الطبرى مثلا " ولى الوليد بن عبد الملك " يزيد
بن ابي كبشه على الحرب والصلاه بالمصريين : الكوفة والبصرة ، وولسى
خراجها يزيد بن ابي مسلم " (٤) وقد يفسر هذا الاجراء بأنه تعبير عن
الثقة التى اولاها الخليفة لهؤلاء الاشخاص ، ولعلها ايضا اشارة الى
قلة اصحاب الخبرة بمثل هذه الاعمال بين حاشية الخلافة .

-
- (١) المصدر السابق نهج البلاغه ج ١٢ ص ٧
(٢) ابن ابي حديد / نهج شرح البلاغه ج ١٢ ص ١٦
(٣) المصدر السابق / نهج شرح البلاغه ج ١٢ ص ٧
(٤) الطبرى / تاريخ ج ٦ ص ٩٤ ١٢٦٨/٢

ومما هو جدير بالملاحظة . ان الادارة الاسلامية في العصر
العباسي قد منحت حكام الاقاليم اختصاصات واسعة . ولعل ذلك ناجم عن
الرغبة في سرعة الاستجابة للمتغيرات او رغبة في تسيير الامور وتسهيلها .
وقد انعكس ذلك في اجراءات ابي العباس السفاح (حكم من سنة ١٣٢ -
١٣٦ هـ) الى ان يقيم ديوانا مركزيا للخراج يشمل ماتحته من دواوين
الاعمال . (١) وديوان الخراج المركزي هذا والذي مقره العاصمة يتألف
من المجالس التالية :

مجلس الانشاء والتحرير . (٢) يقوم بانشاء وتحرير الكتب التي تصدر
عن ديوان الخراج " (٣) ويذكر قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي مجلسا
قيما لهذا المجلس وهو مجلس النسخ والذي كان يتولى نسخ الكتب الصادرة
عن الديوان بنسخ متعددة وبعد ان يحتفظ باحدها يقدم النسخة
الاصليه الى الجهة التي وجهه الكتاب اليها و اما بقية النسخ فتُرسل
الى الدواوين ذات العلاقة (٤)

ويعتبر مجلس الاسكدار من المجالس الادارية المهمة فـي
الديوان ، واصل الكلمة فارسية الاصل كما يظهر وهي تتركب من ثلاث

-
- (١) جرجي زيدان / تعدن ج ١ ص ٢٣١
(٢) قدامه / الخراج ورقم ١ ب ١٢
(٣) السامرائي / المؤسسات الادارية ص ١٩٦
(٤) المصدر السابق ص ١٩٦
(٥) قدامه / الخراج ورقم ١ ب ، ١٢ ، الجهمشيارى / الوزراء ص ١٩٩

مقاطع هي كى دار وترجمتها بالعربية " من اين تسك " واختصاص المجلس هو ضبط الكتب والحمول السفاتج الواردة الى الديوان باعطاء ثبوت ارقاما وامالات وكذلك ضبط الكتب والحمول والسفاتج الصادرة عن الديوان الى مختلف المصالح والداوين ولعل اقرب ما يشبهه فى اعمال الادارة المعاصرة هو اعمال ادارة الاتصالات (الصادر والوارد) من الكتب الرسمية . (١) ومن الذين عطلوا فى هذا المجلس احمد بن المدبر حين قال " كنت اتقصد مجلس الاسكدار فى ديوان الخراج وكانت نفسى تنازعنى عن اشياء لم تكن تنالها . (٢)

ومن المجالس التى يتألف منها ديوان الخراج " مجلس الحساب (٣) واختصاصاته مهمة او تشمل أعماله القيام بوضع قوائم للحسابات المتعلقة لكسل صنف من الاصناف من الاموال الواردة الى ديوان الخراج وتأشير الجهة التى احيلت اليها ، فقد كانت تصل الى ديوان الخراج جميع اموال الضرائب عينيه كانت او نقديه ، ثم يقوم هذا الديوان بوضع بيان فى الاوجه التى وجهت اليها . (٤) ومن ضمن المجالس التى تتفرع عن ديوان الخراج فى المصير المباسى ، مجلس ما فتح من اعمال المشرق ومجلس ما فتح من اعمال

(١) الجبهشيارى / الوزراء ص ١٩٩

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة

(٣) قدامه بن جعفر / الخراج ورقة ١٢

(٤) نفس المصدر السابق ورقة ١٢ ، وانظر السامرائى / المؤسسات

الادارية ص ١٩٢ .

المشرق ومجلس ما فتح من اعمل المغرب وهذان المجلسان يتألف من مجموعتهما ما يشرف عليه ديوان الخراج خلال العصر العباسي الاول ومن اختصاصات ، ويبدو ان تطورا قد حصل بعد ذلك اذ ان الخليفة المعتضد بالله الذي حكم من (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) - (٨٩٢ - ٩٠٢ م) امر بتوحيدهما باسم ديوان الدار * (١) ويذهب قدامه بن جعفر السي القول بان عمل مجلس التفصيل بديوان الخراج يشبه تماما عمل مجلس المقابل بديوان الجيش فقد ذكر (فاما ما يجري في مجلس المقابلة فهو النظر في الجرايد وتصفح الاسماء ، ومنازل الارزاق ، والاطماع ، واخراج الخلاف فيها يرد من رنوع المتفقين ويصدر ويرد من الكتب (اليهم ومنهم) ويجري هذا المجلس في ديوان الجيش مجرى مجلس التفصيل من ديوان الخراج * (٢) وقد اشار قدامه ايضا الى ان مجلس الجيش في ديوان الخراج كان يتولى الاشراف على تنظيم (رسوم الرجال في الأطماع والشهور مافيه الكفاية) (٣) اما مجلس الجبهة * ، في ديوان الخراج فقد كان من المفروغ ان يتولى سوء وليه في آن واحد فهو يقوم بالاشراف على مجلس الحساب وتدقيق اعماله كما أنه يقوم بالسيطرة على مافي الخزائنة من أموال نقديته وعينية * (٤) أما مجلس الاصل فانه يتولى سوء وليه

- (١) الجهمشارى / الوزراء ص ٢٨١
(٢) قدامه بن جعفر / الخراج ورقه ١٣ - ٢ ب
(٣) نفس المخطوطة السابقة ورقه ٢
(*) الجبهة سوف يأتي تفصيلا لها .

الاشراف على سير الاعمال في المجالس الاخرى بالديوان وتنسيقها ، ثم ان يحتفظ بسجلات للاراضي الخراجيه " (١) ولا همية هذا المجلس يذكر ابن مسكويه ان المتولى لهذا الديوان احد ثقات الوزير . (٢) وجميع هذه المجالس تشكل وحده واحده متماسكة يتألف منها ديوان الخراج المركزي في العاصمة ، ويتولى ديوان الخراج ايضا قضاء ديون من لهم من الخليفة امر فذكر الجهمشاري " وحضر ديوان الخراج في ايام الرشيد شيخ مسن قدما الكتاب معه توقيع الرشيد بقضاء دين عليه . (٣) ومن اعمال ديوان الخراج يتولى الاشراف على الاروا وادامة وسائل الري والسدود ، وما شابهها هذا بالاضافة الى مسؤوليات اخرى في هذا المجال . (٤) كما كان يديوان الخراج يحمل اعداد كبيرة من المتخصصين بشؤون الاروا فكان هؤلاء يرسلون الى حيث تظهر الحاجة اليهم ، وكانت الحاجة الى (المساحين) كبيرة لوضع التصاميم لحفر القنوات الجديدة وكذلك الحال مع (المهندسين) المتخصصين ببناء السدود والنواظم وغيرهم . وكذلك كانت الحاجة ماسة الى عدد من الخبراء الى جاتب هذا العدد الكبير من الفنيين من اجل دراسة المنازعات التي تحصل حول الاراضي ومياه الاروا وكذلك الى اولئك المختصين بتوسيع وتعميق قنوات الري القائمة ، وانشاء قنوات جديدة .

(١) مسكويه / تجارب ج ٥ ص ٥٨ ، السامرائي / المؤسسسات

الادارية ص ١٩٨ .

(٢) مسكويه / تجارب ج ٥ ص ٥٨

(٣) الجهمشاري / الوزراء ص ٢٧٠

(٤) الصابئ / الوزراء ص ٢٥٦/٢٥٧

وكان البعض من هؤلاء يحطون كخبراء على الاشراف على مشاكل كرى الانهار ، وكذلك المراقبين الذين يديعون مراقبة السدود ، والضعاف من الجبل ضمان سلامتها باستمرار . (١) ويجتنب هؤلاء الفنيين ، فلقد كان عددا كبيرا من المهندسين المختصين بشئون الارواء (مهندسو الماء) في ديوان الخراج ، فقد ذكر الجاحظ ان الخليفة المعتصم بالله قد جلب من الصين عددا من (مهندسي الماء) عند مدينة سري راي . (٢)

وقد استمر هذا النوع من التخصص فحتى اواخر القرن الثالث كما ذكر الصابي عند حديثه عن عصر المعتضد . (٣) ويقوم ايضا ديوان الخراج استأجار اعداد كبيرة من العمال للقيام باعمال مختلفة ، وكذلك يتولى دفع اجور او تموين خدمات هذا العدد الكبير من العمال الا أنه في حالة كونه العمل ليس من اختصاص الديوان او انه ليس من سوء وليمة الدولة ، فان مجموع النفقات التي تصرف على اي مشروع تحد وتجبى من المزارعين المستفيدين منه . (٤) وايضا من مهام ديوان الخراج كما بين قدامه عطية تثبيت الحدود . (٥) ومن اعمال الديوان ايضا وفروعه ارسال " رسائل يومية الى الخليفة وكان اكثر المهتمين بها الخليفة

- (١) الجاحظ / التبصر بالتجارة ص ٣٣ ، ٣٤
(٢) الجاحظ / التبصر بالتجارة ص ٣٣ ، ٣٤ ، اليحقيق / البلدان ص ٢٦٤
(٣) الصابي / الوزراء ص ٢٥٦ - ٢٥٧
(٤) الطبراني / تاريخ ج ٣ ص ٥٣ ، ابو يوسف / الخراج ص ١١٩
(٥) قدامه بن جعفر / الخراج ورقة ١١٨ .

ابن جعفر المنصور في ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م حيث تتضمن هذه الرسائل
امورا متعددة . (١)

ومن الامور الجديدة في ديوان الخراج خلال العصر العباسي الاول
انهم استصدروا امرا يجعل يوم الخميس للكتاب يستريحون فيه اضافة الي
الجمعة وهو يوم العطلة الرسمية في الدولة الاسلاميه ، وكان هذا زمن
خلافة المهدي فذكر الجهميشاري ان (الوزير عسرين مطرف يتقصد للمهدي
ديوان الخراج فاعصل بالمهدي ان ابا الوزير احتجم ، فأمر ان يجعل يوم
الخميس للكتاب يستريحون فيه ، وينظرون في امورهم ولا يحضرون الي
الديوان ، ويوم الجمعة للصلاة والعبادة * (٢) وكان الخليفة بهذا الاجراء
مدفوعا بتنظيم العمل في الديوان .

(١) الطبري تاريخ ج ٣ ص ٤٣٥
(٢) الجهميشاري / الوزرا ص ١٦٦

الفصل الثاني

الخزاج في عصر الرسالة والخلفاء الراشدون

- ١- الخزاج في القرآن الكريم .
- ٢- الخزاج في السنة النبوية المطهرة .
- ٣- الخزاج وجبايته في عهد الخلفاء الراشدين
 - أ- عمر وأحكام أرض الخزاج
 - ب- سياسة عمر الإدارية مع عمال الخزاج
 - ج- تحديد مقدار الخزاج في عهد عمر
 - د- سياسة عثمان الإدارية مع عمال الخزاج
 - هـ- سياسة علي الإدارية مع عمال الخزاج

الخراج فى عصر الرسالة والخلفاء الراشدين

الخراج فى القرآن الكريم :

يحتل القرآن الكريم مكان الصادرة فى الفكر والتشريع الاسلامي ، فهو المصدر الاول من مصادر التشريع ، ومن هذا المدخل ، تظهر أهمية دراسة معنى كلمة الخراج ومشتقاتها من خلال ورودها فيه ، ولا شك ان القرآن يربى المسلم الكامل ، وان ما اولاه القرآن لتنظيم الناحية المالية من اهتمام ينعكس فى احكامه بهذا الخصوص ، فالمال عنصر مهم فى حياة الافراد والامم ، وفى الشريعة الاسلامية حيث ان الوسيلة جزء من الهدف فينبغي ان يجمع وفق الاحكام الشرعية ، ومع أن نظام الخراج واحكامه لم تذكر بشكل صريح فى القرآن الكريم ، فان السنن النبوية من تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، واجراءات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والذى سارت وفق (اجماع الامة)

لقد ورد لفظ "خراج" و "خرج" فى القرآن الكريم بمعنى خاص ، وقد جاء ذلك فى موضعين من الكتاب الكريم اولهما فى سورة "المؤمنون" حيث ورد قوله تعالى (ام تسألهم خرجا فخرج ريك خير وهو خير) (الرازقين) (١) اما الموضع الثانى فى سورة الكهف فى قوله تعالى : (قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم اسدا) (٢) ، وعند الرجوع الى

(١) سورة المؤمنون ، جزء ١٨ ، آية (٧٢) .

(٢) سورة الكهف ، جزء ١٦ ، آية (٩٤) .

تفسير هاتين الايتين تبين ان الخراج فى الاية الاولى ، قد جاء بمعنى
الاجر وايضا بمعنى الجعل . (١) ، وقد تضمنت الاية اسلوبا استفهاميا
ان خاطب رب العزة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ام تسألهم
اجرا على محاباتهم من الايمان والهداية والتعليم وان هؤلاء الذين
تقوم على هدايتهم وتعليمهم يفرون ما تسألهم من أجر * (٢) فما عند الخالق
من عطاء كثير وخير . (٣) اى ما يؤتيك الله من أجر خير .

وفى الموضع الثانى الذى وردت فيه كلمة * خرجا * فى القرآن الكريم
كان معناها ايضا الاجر وجعلا . (٤) حيث نجد ان القوم عرضوا على
نبي القرنين ان يبنى لهم سدا فى وجهه ياجوج وماجوج الذين يهجمونهم
من وراء الحاجزين ويغيرون عليهم فيميتوا فى ارضهم فسادا ، ولا يقصدون
على دفعهم وصددهم . وذلك مقابل خارج اى يجمعوا له من بينهم مالا
يمطونه اياه . (٥) وذلك فان معنى الخراج هو الاجر من المال او غيره .

- (١) ابن كثير / تفسير ج ٣ ص ٢٥٠
(٢) سيد قطب / فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٤٧٥
(٣) الزمخشري / تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٩٤
(٤) الزمخشري / تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢١٨
(٥) ابن كثير / تفسير ج ٣ ص ١٠٤ ، سيد قطب / فى ظلال القرآن م ٤
ص ٢٢٩٢ .

غير ان القرآن الكريم قد تعرض بجانب ذلك الى مسائل مالية كتيمة ، بعضها له ارتباط مباشر بفكرة الخراج وبعضها يعتمد عنه . قال الله تعالى (يستلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ^{صلى الله عليه وسلم} فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ، ان كنتم مؤمنين) (١) في هذه الآية الكريمه بين الله سبحانه وتعالى حكمه في الانفال وهى الفنائم التى يفتنها المسلمون فى جهادهم فى سبيل الله (٢) وذكر الزمخشري ان " ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه " (٣) فقد وضع جسداً بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها ، فسئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم " هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء " (٤) وذكر ايضا ابن كثير " عن ابن عباس انه قال الانفال الفنائم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وليس لاحد منها شي " (٥) ويلاحظ فى الآية " يستلونك " ان الله سبحانه وتعالى صرف نظر المسلمين عن الانفال الى ما هو اهم وهو تقوى الله واصلاح ذات البين .

-
- (١) القرآن الكريم سورة الانفال جزء ٩ آية ١
(٢) سيد قطب / فى ظلال القرآن م ٣ ص ١٤٧١
(٣) الزمخشري / تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢
(٤) الزمخشري / المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢
(٥) ابن كثير / تفسير ج ٢ ص ٣٠٣

أما قوله تعالى (واعلموا انما غنتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذوي القربى واليتيم والمساكين وابن السبيل ان كنتم انتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) (١) فإن هذه الآية الكريمة تتصل بموضوع قسمة الفنائم بصفة عامة . وقد حصل اختلاف وجدل بين العديد من الفقهاء حول هذه المسألة وخاصّة أن بعض ما نصت عليه الآية من أسهم . ونلاحظ أن هذه الآية كانت جواباً للإيه السابقه بقوله تعالى " واعلموا " الآية . أما الخلاف الحاصل بين الفقهاء ، فقد ناقش العلامة ابن كثير ، ولا اختلاف المفسرين حول نصيب الله سبحانه وتعالى من الخمس فقال بعضهم له نصيب من الخمس يجمع في الكعبه . قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرياحي " قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئتي بالفنيمة فيخمسها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبضه كفله ، فيجعله للكعبه وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة ، لهم فيكون لهم للرسول ولهم لذوي القربى ولهم لليتامى ولهم لابن السبيل " (٢)

١) القرآن الكريم سورة الأنفال ج ١٠ آيه ٤١

٢) ابن كثير / تفسير ج ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١

وقال آخرون ان ذكر الله ههنا استتاج كلام للتبرك وسهم الرسول عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية ففتموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمس ، ثم قراء (واعلموا فاعنتم من شئ ما ان له خمسة وللرسول) فان لله خمسة مفتاح كلام . فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحد (١) اي ان سهم الله ورسوله واحد . وان ما نصت عليه الاية من اسهم يحتاج امر التصرف فيها الى توضيح واستبيان وبخاصة كيفية انفاق ما نصت عليه الاية من حقوق لله سبحانه وتعالى وكذلك ما خصص للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهل انه خاص به وهل ينتقل لمن بعده ، وكذلك نصيب اولي القربي اهو باحد في قرابة الرسل صلى الله عليه وسلم ، وما المقصود بالقربي هنا هل هم خاصة اهل بيته ونسائه ام انه يشتمل الى عبد المطلب ام يتسع ليشمل عموم بني هاشم كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ام يرجع الى الامام يتصرف فيه ؟ (١) على ان الخوض بمثل هذه التفاصيل والجزئيات في هذا الاطار قد يخرج بالبحث عن هدفه ، ولكن من المرجح ان يكتفي بماله علاقة مباشرة او غير مباشرة بموضوع البحث وهو ما اشتملت اليه الاية الكريمة وهي التي جرى اعتمادها في تقسيم غنائم الحرب الستة تحقيقا معارك النصر الاسلامي . (٢) والغنائم هي المال المأخوذ من الكفار بايجاف الخيل والركاب (٣)

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن م ٣ ص ١٥١٨
(٢) سيد قطب / المصدر السابق م ٣ ص ١٥١٩
(٣) ابن كثير / تفسير ج ٢ ص ٣١٠

وقد تحدث القرآن الكريم عن ارض الفبي* ، فقد بين ما الفبي*
ومنتصفته وما حكم في قوله تعالى (وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم
عليه من قبل ولا ركاب ولكن الله يسلط ارسله على من يشاء* ، والله على كل
شيء قدير) (١) قال في* : ما اخذ من الكفار من غير قتال ولا يجاف خيل
ولا ركاب كما مال بن النضير هذه* فاء فاء الله على رسوله صلى الله عليه
وسلم وله التصرف فيه كما شا* . (٢) وبذلك فهي تختطف عن الغنيمة
كما عرفنا ، وبينما بين ابن كثير ان بعض العلماء يطلق الفبي* على ما تطلق
عليه الغنيمة وهذا يحزوا بهم ان ايه (واعلموا ان ما غنمتم] التي زلت
في اهل بدر نسخت هذه الايه التي نزلت في بن النضير واعتبر ابن كثير
امام وداد فذكر* وهذا الذي قاله بعيد لان هذه الايه (واعلموا انسي
غنتم) نزلت بعد وقعت بدر وطك (وما افاء الله على رسوله منهم)
الايه نزلت في بني النضير (٣) وفي الايه وما افاء الله . .) الايه بيان
حكم الله تعالى في اقوال بن النضير بعد ان اجلاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث اعتبرت اموالهم فيئا خالصا للرسول صلى الله عليه وسلم
وذلك لان المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا مجال اي لم يجرى فتحها

- (١) سورة الحشر جزء ٢٨ ايه ٦
(٢) ابن كثير / تفسير ج ٢ ص ٣٣٥
(٣) المصدر السابق / تفسير ج ٢ ص ٣١٠

بالقوة القاهرة ولذلك فإن حكمها يختلف عن حكم الفنائم ، فقد نصبت
الآية الكريمة على اعتبارها فيثا لله والرسول ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل . وان الرسول صلى الله عليه وسلم هو السدى
يتصرف بها وفي ريعها . (١)

أما قوله تعالى (ما آتاكم الله على رسوله من أهل القرى ، فليس
والرسول ولذى القربى واليتامى ، والمساكين وابن السبيل كي لا يكون
دولة بين الأغنياء ، منكم . وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واتقوا الله ان الله شديد العقاب) (٢) فالحكم فيها هو تأكيد لحكم
الآية السابقة وعلى هذا الأساس وضمت القواعد الشريعة الكبرى فـ
التنظيم المالي في قوله تعالى (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) (٣) ،
وقد بين سيد قطب بأن الاسلام أقام نظامه على أساس هذه القواعد ،
ففرض الزكاة وجعل حصيلتها في العام اثنين ونصف في المئة من أصل
روءوس الاموال النقدية ، وعشرة أو خمسة في المئة من جميع الحاصلات
وما يعادل بذلك في الانعام . وجعل الحصيلة في الركاز وهو كنوز
الأرض المصروفة عند الفقهاء بـ " دفين الجاهلية " مثلها وهي تسبب
كبيرة ، ثم جعل أربعة أخماس الخنيفة للمجاهدين فقراء وأغنياء ، بينما
جعل الفىء كله للفقراء ، وجعل نظام المختار في ايجار الارض وهو
المزارعة ، اى المشاركة في المحصول الناتج بين صاحب الارض وزارعها . (٤)

(١) سيد قطب / في ظلال القرآن ٦م ص ٣٥٢٣

(٢) سورة الحشر جزء ٢٨ آية ٧

(٣) " " " "

(٤) سيد قطب / في ظلال القرآن ٦م ص ٣٥٢٤

وقد أشار المؤلف الى اختلاف وجهها النظر حول بعض جزئيات هذه الامور
فيرانه على ما بين ورجح ما اشرنا اليه آنفا .

والقاعدة الثانية التي استخلصها سيد قطب من قوله تعالى
* وما اناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * (١) وهي تطبيق
الشريعة من مصدر واحد وبين أنها تمثل النظرية الدستورية الاسلامية (٢)

وعند ما ننتقل الى بحث * الصدقات * تطالعنا آيات كريمه
تختص في الزكاة والصدقات وهي ما تقارب ثلاثا وستين آية غير ان الغرض
في هذا البحث ليست هدف هذا البحث وعليه فمن المعقول ان نعرض
للاشارة الى الآيات التي تتصل بموضوع بحثنا دون تعدد البحث الشامل
ضمانا للموضوعية والدقة العلمية . لقد فرض الله تعالى على ابناء الأمة
الاسلامية ومع الصدقة على ما يملكون من اراض الطل اذا توفت فيها
شروط معينة ناقشها الفقهاء ، ابرزها حصول النصاب وحلول الحول
ستين في ذلك الى قوله تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * (٣) فقد
أمر الله سبحانه وتعالى رسول صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ من اموالهم
صدقة يطهرهم ويزكهم بها وهذا عام (٤) ، وان اعاد بعضهم الضمير

(١) سورة الحشر جزء ٢٨ آية ٧

(٢) سيد قطب / في ظلال القرآن ٦٢ ص ٣٥٢٤

(٣) سورة التوبة جزء ١١ آية ١٠٣

(٤) ابن كثير / تفسير ج ٢ ص ٣٨٥

في أموال جماعة تخلفت من الرسول صلى الله عليه وسلم في فزوة تبسوسوك
وبعد اعلان توبتهم والقضاء في امرهم نزلت هذه الآية * (١)

فالمال علة صعبة لأن المرء لا يستطيع ان يحصل عليها بسهولة
بل يبذل الجهد الكبير من أجل الحصول عليه ، ولذلك نجد المرء شديد
الحرج عليه ، فلذلك اوجد الله سبحانه وتعالى العقوبات المالية على
المرء فقال تعالى * لن تتألبوا البر حتى تنفقوا ما تحبون وما تنفقوا من
شيء فان الله به عليم * (٢)

ما يشير الى تخطيط الهي كريم هو أن يكون الانفاق من المال
الذي حبه الله تعالى الى النفس البشرية (٣) لكي يكون دفع الفسوس
كبير وان تطيب بها النفس ما تكون زكاة وطهارة لها من الدنس والذنوب .
ثم قال تعالى * هذا المفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين * (٤)

وقد اختلف المفسرون حول المقصود بمعنى العفو ، فالبعض

-
- (١) سيد قطب / في ظلال القرآن م ٣ ص ١٧٠٩
(٢) قرآن كريم سورة آل عمران جزء ٤ آية ٩٢
(٣) قال تعالى * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة * سورة آل عمران جزء ٣ آية ١٤
(٤) سورة الاعراف جزء ٩ آية ١٩٩

قال انها تعنى خذ ما هالك من أموالهم وما أتوك به من شئ فغذه ،
وانفق الفضل فهو لا * اخذوا عن ابن عباس (١) وبعضهم قال * ضد الجهد
اى اخذ ما هالك من افعال الناس وأخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير
كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد ، وما يشق عليهم حتى لا ينفرو (٢)
والمقصود بالمعفو هو الفضل وما تسهل من صدقاتهم ، ولقد ناقش المستشرق
لوك جارد في كتابه (٣) ، مفهوم مصطلح على قدر الطاقة مقترحا بانها كانت
تجى اعتمادا على الحد الاعلى للقدرة وقال بان هذا يشمل ايضا مفهوم
(المعفو) و (الفضل) والتي يجب ان تحسب على اعتبارها اعلى أرقام
جباية ممكنة أو استطاعة كما ناقش أصل هذه الضرائب ستنتجا (على قدر
الطاقة) كانت أصلا مرتبطة بما يجرى فتحه من الاراضي عن طريق القسوة
دون عقد معاهدة فقد رفض المستشرق كستير مقترحات وآراء لوك جارد وقال
بأن (المعفو) و (الفضل) و (الطاقة) انما هي مستلزمات تأخذ
بنظر الاعتبار التطورات الاقتصادية في ظروف دافعي الضرائب وانهم
تلتزم جباة الضرائب بان تكون مطالبهم محتلة او ما يطيقه دافعو الضريبة (٤)

(١) ابن كثير / تفسير القرآن ج ٢ ص ٢٧٧ ، يحيى بن آدم / الخراج

(٢) الزمخشري / تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٢٢

(٣) لوك جارد / الضريبة الاسلاميه ٦ Islamic Taxation

ص ٢٩ ٨٠٠

(٤) كستير / مقاله عن الظروف السياسية والاجتماعية في ثلاثة

احاديث من كتاب الخراج ليحيى بن آدم مجلة Arabice

ص ٢٢٨ •

واضافة الى ذلك رفض كستيمر رأى لوك جارد الخاص بأهل الضريبة وقال بأن الممكن قد يكون صحيحا . كما رفض كستيمر ما توصل اليه لوك جارد في هذا النطاق وقال بأن الاشخاص المتعاقدين في محاولة الصلح كانوا يفضلون الدفع (على قدر الطاقة) على ان يدفعوا وفق شروط تلزمهم الدفع (على شي * مسمي) (١) أما الباحث الباكستاني مياح فقد أشار الى ان المبادئ التي طبقت على أراضى الخراج و (المعفو) وعلى اغلب اراضى الصلح كانت ضمن حدود الضريبة المستطاعه (٢) ، ان هذه النظرة الفاضله التي قدمها مياح والتي تخص القدرة القصوى للدفع قد تتداخل مع وجهة نظر لوك جارد التي مر ذكرها . وقد ذهب المستشرق اجنيدس (٣) الى أن الطاقة هي مبلغ يفرض على دافع الضريبة وفقا لطاقتها الحالية بعد الاخذ بمنظور الاعتبار احتياجاته الحياتيه وما يؤمله للاستمرار في نشاطه التجارى (٤) . وقد ميز أبو يوسف وعدد آخر من الفقهاء

(١) كستيمر / مقالة الظروف السياسية والاجتماعية مجله Arabice

ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

(٢) مياح / عصر المتوكل ص ٢٤٥ ، د . السامرائي / الزراع ص ١٤٩

(3) Agnides , Mohammed Theories of Finence P.407 .

(4) Agnides , Mohammed Thearics of Finence P.407 .

بين الضرائب التي تجبي من اراضي الصلح وتلك التي تجبي من اراضي
المنوة (١) وهذا بالاضافة الى ان ابا يوسف ذكر بأن في مقدور الامام
(الخليفة) ان يصير مبلغ الجباية على اراضي الصلح وفق معاهدة (علي
قدر الطاقة) غير انه لا يملك الحق بان يجبي الضرائب بما يتجاوز طاقة
اولئك الذين يزرعون هذه الاراضي والذين يمثلون الطرف الثاني في هذه
المعاهدة .

(١) ابو يوسف / الخراج ص ٤٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، قدامه //
الخراج مخطوطة ورقه ص ٢٩٤

الخراج في السنة النبوية المطهرة :

تعتبر السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني لاصول الشريعة الإسلامية وأحكامها ، ولقد ورد ذكر " الخراج " في السنة المطهرة ان وردت احاديث تدل على وقوعه وتقريره ، وكذلك جاءت احاديث اخرى تدل على كراهية الدخول فيه بالنسبة للمسلمين . عند استعراض الاحاديث التي وردت ، دالة على وقوعه وتقريره . نشير الى ما رواه ابو هريرة - قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيظها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر ادردها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم شهد على ذلك لحم ابى هريرة ودمه " (١) ومن الاحاديث التي تضمنت وقوع الخراج واقاراره ، ما رواه عروة بن رويم " قال جاء نفر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا كنا حديثي عهد بجاهلية فكنا نصيب من الايتام والربا فاردنا ان نحبس انفسنا في بيوت نعبد الله حتى نسوت قال فسر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال . انكم ستجسدون اجنادا ويكون لكم نمة وخراج وستفتح لكم ارضون على سيف البحر منها مدائن وقصور فمن ادرك ذلك عنكم فاستطاع ان يحبس نفسه في مدينته

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٧٥
يراد من هذا الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر القفيظ والدرهم قبل ان يضعه عمر على الارض ولم تكن هذه فتحت فسي
عصر النبوة (يحيى بن آدم / الخراج) ص ٦٨ .

من تلك المدائن او قصر من تلك القصور حتى يموت فليفعل " (١) ، ومن هذا الحديث يمكن ان نخلص اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بوقوع الخراج وتقريره ، وعن الحلاء الحضرمي قال : " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البحرين ، والى هجر . فكنت آتي الحائط يكون بين الاخوة يسلم احدهم ، فأخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الخراج " (٢) أى أن ضريبة الخراج تسقط بالاسلام .

وبما أن يصدد وقوع الخراج وتقريره فلا بد ان نتتبع ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال وهنا يمكن ان نلاحظ أنه بعد فتح خيبر ، افا الله تعالى على رسوله ارضها واموالها ، فانسه صلى الله عليه وسلم قد قسم الغنائم . وذكر ابن هشام " حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر فى حصينهم الوطيج والسالام ، حتى ايقنوا بالهلكة ، سالوه ان يسيرهم ، وان يحقن لهم دماءهم ففعل ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حاز الاموال كلها : الشق ونطاسة ، والكتيبه وجميع حصونهم ، الا ما كان من زنيك الحصين فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يسيرهم ، وان يحقن دماءهم ، ويخلوا له الاموال ففعل " (٣)

- (١) ابن رجب / الاستخراج / ص ٦٥٥
(٢) ابن ماجه / سنن / ج ١ ص ٥٨٦
(٣) ابن هشام / السيرة النبوية / ج ٣ ص ٣٥١ ، ٣٥٢

فهذا من بين فتح الرسول صلى الله عليه وسلم عن خيبر ، أما بالنسبة
لاجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر ، فانه قسم الغنائم ستسه
وثلاثين سهما ، حيث جمع كل سهم من مئة سهم ، وعزل نصفها لثوابه
وما ينزل به وقسم النصف الباقي بين المسلمين (١) ، وان هذه المقاسم
على الشق ونطاة والكتيبة ، فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين ،
وكانت الكتيبة خمس الله ، وسهم النسي صلى الله عليه وسلم ، وسهم
ذوى القربى واليتامى والساكنين ، وطعم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ،
وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فسدك
بالصلح ، منهم محيصة بن مسعود . . (٢)

أما أرض خيبر وهي محور بحثنا هنا ، فان الرسول صلى الله
عليه وسلم قد ابقاها بيد أهلها (اليهود) ولم يبقها في أيديهم
على أساس علاقة الملك السابقة قبل الفتح وانما على أساس تعاقد جديد
للعمل في الأرض التي انتقلت ملكيتها منهم بحكم الفتح ، ولا تدخل
ضمن الخراج ، وحينما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم أرض خيبر

(١) ابو عبيد / الاموال ص ٧١ ، البلازى / فتوح البلدان

ق ١ ص ٢٨ .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٣ ، ٣٦٤

لأهلها (اليهود) ليحطوا فيها سلقاة ، وذلك انهم أكثر خبيثة
وأقدر على فلاحتها ، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * يا محمد
نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها (فساقاهم) * رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبير * (١) وعلى ذلك صالحهم الرسول صلى الله
عليه وسلم (مناصفا) وقال لهم * على انا اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم
فصالحه أهل فدك على مثل ذلك * (٢) فخيبر تعتبر غنيمة بين المسلمين ،
وانما فدك فهي خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لانهم
لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

فتتجلى حكمة ما استهدفه الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة
حين استفاد من جهد خصوم الدعوة الاسلامية في الانتاج اضافة الى توفير
الجهد المسلمين لغرض الاسهام في نشر الدعوة وحمايتها . اضاف السي
ذلك ان المسلمين الاوائل كانوا حديثي عهد الاسلام ، وقد خرجوا
لتوهم من حمية الجاهلية ، ولذلك فقد كانت من الحكمة عدم اشغالهم

* ساقى فلان فلانا نغله او كرمه اذا دفعه الله واستعمله فيه علي
على ان يعمر وسبقه ويقوم بمصلحته من الارار وغيره ، فما اخرج الله
منه فللعامل لهم من كذا وكذا سها عما نغله والباقي لما لك
النخيل (لسان العرب ج ١٩ ص ١١٨) .

(٢) الواقدي / المغازي ، البلازري / فتوح البلدان ق ١ ص ٢٥
ج ٢ ص ٦٩١ .

عن تلقى هادى الاسلام والالتفاف حول رساله . ومن المحتفل ان يكون
عدم اتخصص اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فى فنون الزراعة
احد العوامل التى نجم عنها تلك الاجراءات ، وقد ذكر ابو عبيده مثلاً
بانه " لم يكن له من المال ما يكفون عمل الأرض " (١) لقد اسهب الفقهاء
المسلمون فى مناقشة مسألة فتح خير واجراءات الرسول صلى الله عليه
وسلم فاتخذها بعضهم الاساس الذى يعتمد عليه فى اقرار المزارع والمساقاة
غير ان ابا حنيفة رضى الله عنه رد على ذلك بقوله ان خير انما " كانت
بطريق الخراج على وجهه المن عليهم والصالح " (٢) وكما انه اوضح
ان النزاع يتصل فى ان يوظف فى جواز المزارع والمعاملة وخراج المقاسمة
مثل " ان توظف الامام فى الخارج شيئاً مقدراً عشرة أو ثلثاً ، وبعدها
ويترك الاراضى على ملكهم منا عليهم فان لم تخرج الارض شيئاً فلا شيء عليهم (٣)
ولا يتصرف فى رقابهم اوراق اولادهم ، وبعد ان دفع الرسول صلى الله
عليه وسلم خير اليه أهلها مضافة (مساقاة) بمثل اليهم عبد الله
ابن رواحه لكي يقوم بخرص* التمر وجعله نصفين وخيرهم ان يأخذوا ايهما
ساوا فقالوا بهذا قامت السموات والارض " (٤)

-
- (١) ابو عبيد / الاموال ص ٧١
(٢) الصينى / عمدة القارى ج ٥ ص ٦٦٠
(٣) ن ٥٠ م ج ٥ ص ٦٦٠ ، ٦٦١
* الخرص : تقدير غلات النخل والكروم خاصة . (الخزاززمي / مفاتيح
العلوم ص ٤١)
(٤) البلازى / فتوح البلدان ق ١ ص ٣٠

وأما وادى القرى فان النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتحها عامل
ارضهم على ما عامل أهل خيبر (١) وبقيت كذلك حتى عهد عمرو بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه .

أما بالنسبة لأهل نجران ، فقد كتب لهم النبي صلى الله عليه
وسلم كتابا جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران وإذا كان عليهم حكمسة
فى كل شرة وفى كل صفراء وبيضا ، ورقيق فافضل ذلك عليهم وترك ذلك كله
لهم على الفى حلة من حلل الا واقى فى كل رجب الف حلة وفى كل صفر
الف حلة مع كل حلة اوقية من الفضة ، فمازادت على الفراج ، او نقصت
عن الا واقى فبالحساب " (٢) ويضيف ابو عبيد اشيا " فيقول "
ان فى كل سوداء ، وبيضا ، وحمراء ، وصفراء ، وشمره ورقيق . (٣)
ويتضح بذلك بأن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الى أهـل
نجران انما كان وثيقة تماقديه ترك النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران
أموالهم وحريرتهم فى التصرف التام فى مقابل ان يدفعوا له " جزية "
مطلوهم أو انهم قد صالحوا على شىء مسمى ، وهو الفى حلة من الحلل ..

-
- (١) البلاذرى / فتوح البلدان ، ق ١ ص ٣٩ .
(٢) ابو يوسف / الفراج ص ٧٨ ، البلاذرى / فتوح البلدان ق ١
٧٧
(٣) ابو عبيد / الاموال ص ٢٤٤

والفي أوقيه من الفضة ، وقد نص المتعاقد على ان المدالبة في تصحيح الحساب ملزمة للطرفين المتعاقدين بحيث انه اذا حصلت زيادة في تعداد الحلل ، او وزن الفضة حين جبايتها فانها لا تذهب هدرا وانما تجسدى المراجعة عليها من أجل تصحيح الحساب .

وأما بالنسبة لاهل البحرين ، فقد قدم الى النبي صلى الله عليه عليه وسلم في آخر عهده آخر مال منها وكان يبلغ حوالي " ثمانمائة الف درهم " (١)

وهناك امر مهم جديد بالملاحظة ، ذلك ان عددا من الفقهاء قد كرهوا الدخول في ارض الخراج اسنادا الى احاديث نبويه ، منها ما ذكره ابو الدرداء * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أخذ ارضا فقد استقال هجرته ، ونزع صفار كافر من عنقه فجعله في عنقه فقد ولي الاسلام ظهوه " (٢) فذكر ابن رجب ان خالد بن معدان ما ان سمع بهذا الحديث وقراه ترك ما في يده من الارض. (٣) ونظرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الارض الخراجيه ، عن ابن عباس . انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لان يمنح يمنح احدكم اخاه الارض خيسر له من اى يأخذ خراجا معلوما (٤) وعن رافع بن خديج قال لهنائسا

-
- (١) ابن الجوزي / تاريخ عمر ص ١١٩
(٢) ابى داود / سنن ج ٣ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣
(٣) ابن رجب / الاستخراج ص ٦
(٤) ابن ماجه / سنن ج ٢ ص ٨٢٣ ، مسلم / صحيح ج ٥ ص ٢٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر كان لنا نافعاً اذا كانت لاحدنا
ارض ان يخطبها ببعض خراجها ، ويدراهم وقال : " اذا كانت لاحدكم
ارض فليمنحها اخاه او يزرعها . (١)

وقد نهى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن اقتناء الارض
الخراجية فقد جاء قوله " لا تشتروا رقيق أهل الذمة فانهم أهل خراج ،
وارضهم فلا تبتاعوها ، ولا يفرن أحدكم بالصفار بعد ان نجاه الله منه " (٢)

ومن هذا النص يتبين ان أهل الذمة يؤدون الجزية للمسلمين
فبعد أن يصبحوا للمسلمين وجبت عليهم الجزية ، وان ارضهم ارض خراج
وخراجها يؤدى للمسلمين فمن اشتراها وجب عليه خراجها ، وبهذا
قبل لنفسه الذل والهوان ، ولذلك نهى عنه حتى لا يقبل المسلم لنفسه
الذل والهوان .

وقد اوضح ابن تيمية سبب الكراهية فى شراء الارض الخراجية
" لان المشتري الذى يشتريها يرفع عنها الخراج ، وهذا استغلال لحق
المسلمين ، واذا قطعت منفعة عن المسلمين صار ظلماً لهم ، وان هذا
الحمل بمنزلة من نصب طريق المسلمين او بنى فى منى ونحوها من المنافع
المشتركة بين المسلمين على التأييد " (٣)

(١) الترمذى / صحيح ج ٢ ص ١٥٥

(٢) ابو عبيد / الاموال ص ٩٩

(٣) ابن تيمية / مجموع الفتاوى ج ٢٩ ص ٢٠٤

الخراج وجبايته في عهد الخلفاء الراشدين :

لقد أهتم الخلفاء الراشدين في تطبيق الاحكام الاسلامية ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ، ومن اهتمامهم رضوان الله عنهم " بالخراج " فقد سار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، على اجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث ابقى الارض ، كما هي ، مع أهل خير المناصفه * (١) ومسح أهل فدك (٢) ووادي القرى (٣) وأهل نجران حيث يعتزج الخراج بالجزية (٤) ، ومع أهل البحرين وغيرهم .

وهذا يرجع الى ان خلافة رضى الله تعالى عنه كانت نبهة وسد تيسر فقصر المدة وقيام حروب الردة ، وكون خلافته بداية الفتوحات ، جعلته يوجه معظم جهوده الى تلك الامور ، وهذا لا يعنى انه لم يهتم بالامور الاخرى .

وبعد أن آلت الامور الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، أخذت تتسع اراضي الدولة الاسلامية وزادت الاموال

- (١) الواقدي / المنازى ج ٢ ص ٦٩١
- (٢) البلازى / فتوح البلدان ق ١ ص ٣٣
- (٣) المصدر السابق / فتوح البلدان ق ١ ص ٣٩
- (٤) " " " " ق ١ ص ٧٧

التي يحصل عليها المسلمون بسبب الفتوحات ، فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه ألا تهدر هذه الاموال وخاصة الاراضى منها ، وعند فتح العراق والشام ومصر في عهده ، اصاب المسلمون أموالا كثيرة وكان يرغب في بداية الفتح تقسيم السواد بين المسلمين ، وذلك حينئذ طلب منهم أن يحصوا الفنائم * (١) ولكن أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه رأى أن هذه الاموال كثيرة عن حاجة الفرد المسلم الذي يحمل على عاتقه مسئولية الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام ، وان هذه الاراضى والاموال قد تشنيه عن هدفه ومسئوليته ، وبعد مشاورة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرر أن تكون فيئا لجميع المسلمين ولمن جاء بعدهم ، فاجراءت عمر رضي الله تعالى عنه ثل حضارة قائمة بذاتها ، مبنية على الحضارة المستخلصة من الكتاب والسنة ، فوضع الخراج على الشام ومصر والسواد (العراق) الذي كان الخراج موضوعا عليه قبل الاسلام ، وذلك منذ عهد ملوك الفرس قال يحيى بن آدم " واماسوانا هذا فانا سمعنا انه كان في ايدي النبط ، فلما ظهر المسلمون على أهل فارس وتركوا السواد ومن يقاتلهم من النبط والدهاقين على مالهم ، ووضعوا الجزية على رؤوس الرجال ، ومسحوا عليهم ما كان في ايديهم من الارض ، ووضعوا عليها الخراج ، وقبضوا على كل ارض - ليست في يد احد فكانت صوافي الى الامام * (٢)

(١) ابو يوسف / الخراج ص ٣٩ ، ابو عبيد / الاموال ص ٧٤

(٢) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٢

وبعد أن تم فتح السواد والشام في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فقد دار بينه رضي الله تعالى عنه وبين بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم حوار حول تقسيم أرض إقليم (السواد) - بالعراق والشام بين الفاتحين . والحوار كان منحصرا في تقسيم أرض السواد والشام ، وفي رقاب الأسارى ، وكما عرفنا أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استشار أصحابه .

وظهر اتجاهان :

الأول : يرى أن تقسم الأرض بين الفاتحين ، وكان أشدهم في ذلك " بلال بن رباح " والزبير بن العوام " (١) ويضيف أبو يوسف أن " رأى عبد الرحمن بن عوف أن يقسم " (٢) . وهم يستندون إلى ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل خيبر وغيرها ، واعتبروا أن أرض السواد مثل أرض خيبر فتحت عنوة ، وقد قال الله سبحانه وتعالى " واعلموا أنكم غنتم من شيء " فإن لله خمسة وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل أن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير " (٣)

(١) ابن عساكر / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٧٥

(٢) أبو يوسف / الخراج ص ٣٨

(٣) سورة الانفال جزء ١٠ آية ٤١

أما الاتجاه الثاني فكان يرى أن تبقى أرض السواد فيئسا لجميع المسلمين ولمن جاء بعدهم ، وهو لا يقررون بالتقسيم " فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل الى انها وقف على المسلمين لا تقسم بينهم من غلب عليها من الفاتحين " (١) ويضيف ايضا ابو يوسف " ان رأى عثمان وعلي وطلحه رأى عمر رضي الله تعالى عنهم " (٢) وكذلك " رأى ابن عمر رضي عنهما رأى عمر " (٣) وايضا من الذين وافقوا على رأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الانصار ، حينما اجتمع عمر رضي الله تعالى عنه الى عشرة منهم خمسة من الاوس ، وخمسة من الخزرج (٤) وشرح لهم المراد فقالوا له " الرأى رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت " (٥) ، فسي حين نجد أن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه هما من اشار على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعدم التقسيم وهما يؤيدان هذا الرأى . فحينما قدم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الجباية ، فاراد ان يقسم الارض بين المسلمين ، فقال لـ

-
- (١) ابن عساكر / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٧٥
(٢) ابو يوسف / الخراج ص ٣٨
(٣) المصدر السابق / الخراج ص ٢٧
(٤) " " " " (٤)
(٥) " " " " (٥)

معاذ بن جبل * والله اذن ليكونن ما تكره ، انك ان قسمتها صار الربيع
العظيم في ايدى القوم ، ثم يبيدون ، فيصير ذلك الى الرجل أو المرأة
ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون من الاسلام سدا ، وهم لا يجدون شيئا
فانظروا سرا يسع اولهم وآخرهم * (١)

وايضا حينما اراد ان يقسم السواد ، وامرهم ان يحصوه ، فقال
له على بن ابي طالب كرم الله وجهه ، دعهم يكونوا مادة للمسلمين * (٢)

وهكذا اخذ عوررضى الله تعالى عنه بالرأى القائل بعدم التقسيم ،
وكان ذلك ناتج عن اقناع تام ، بعد أن وجدرضى الله تعالى عنه سبيلا
فى عدم التقسيم ، ثم انه يستنتج الحجة فى عدم التقسيم من القرآن الكريم ،
فالدولة الاسلامية لم تعد بذلك الحجم الضيق ، ثم ان حرب المسلمين
مع الفرس والبيزنطيين والقبط وغيرهم لم يكن كحربهم مع الوثنيين (٣)

- (١) ابو عبيد / الاموال ص ٧٥ ، ابن رجب / الاستخراج ص ١٠٠٩
الهلازى / فتوح البلدان ق ١ ص ١٧٩
- (٢) ابو عبيد / الاموال ص ٧٤ ، ابو يوسف / الخراج ص ٣٩ ، ابن
رجب / الاستخراج ص ٩ يحيى بن آدم / الخراج ص ٤٠
- (٣) كل ارض من اراضي العرب اذا فتحت عنوة وقهرا واهلها من عبدة
الاوثان فاسلموا بعد الفتح وترك الامام الاراضى عليهم عشرين
(انظر شيخ نظام / الفتاوى الهندية م ٢ ص ٢٣٧)

الاسباب التي دفعت بأمر المؤمنين في عدم التقسيم ، نجد أن استنتاج
الدلة من القرآن الكريم في عدم تقسيم الارض بين الفاتحين / فقد ذكر
ابو يوسف قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه " قد وجدت حجة
في تركه وان لا اقسم " (١) فقرأ عليهم من سورة الحشر ، قال الله
تعالى " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله وأولئك هم الصادقون . والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في
صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوقد شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا بعدهم يقولون ربنا
أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم " (٢) ومن هذا يظهر كما أسلفنا انه
اجتهد وبنى راية على الشورى . فهذه الاسباب جميعها التي دفعت
بأمر المؤمنين رضي الله تعالى عنه الى التمسك ، برأى عدم التقسيم ،
وقال للمعارضين " قد أشرك الله الذين يأتون بعدكم في هذا الفسسي"
فلو قسمته لم يبق بعدكم شيء . ولئن بقيت ليلفن الراعي بمنملا
نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه " (٣) ثم هنا نقطة يجب الإشارة

(١) ابو يوسف / الخراج ص ٣٨

(٢) سورة الحشر جز ٢٨ آيه ٩٤٨ ، ١٠٠

(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٢٥

الإشارة إليها ، أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لو استند إلى آية صريحة من كتاب الله لما وجد من يعارضه في ذلك ، وفي نفس الوقت لو وجد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه آية صريحة فسي وجوب التقسيم لما تهاون في التقسيم ، وإنما كان ذلك استنتاج واجتهاد .

وكان عمر رضى الله تعالى عنه يفضّل لهذا الاجتهاد إذا كان في طريق الحق والمصلحة المسلمين ، فبرغم الحاج بلال وأصحابه رضى الله عنهم ، في تقسيم القرى التي افتتحتها عنوة ، فإنه رفض القسم ، حتى أنه غضب لذلك وقال " اللهم اكفني بلال وأصحابه " (١) وذكر أبو عبيد أن " ما حال الحول ومنهم عين تلطف " (٢) ولذلك كان حرصه شديداً على عدم التقسيم في توجيهاته إلى ولايته في البلدان المفتوحة ، ونذكر توجيهاته إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه بعد فتح السواد " أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما آفاه الله عليهم . فإذا أتاك كتابي هذا فانظر ما أجلب الناس عليك

- (٢) المصدر السابق / الخراج ص ٢٨ ، أبو عبيد / الأموال ص ٧٣ (ويضيف . . بلال وزيه) نفس الصفحة .
- (٢) أبو عبيد / الأموال ص ٧٣ ، ويضيف أبو عبيد (لا تظن أن عمر رضى الله عنه دعا بلال وأصحابه بالموت كيف وهو الذي يقول في شأن بلال (أبو بكر سيدنا اعتق سيدنا) يعني بلال ولكن الله أراد بذلك أن يكفيه الله خصومتهم معه) أبو عبيد / الأموال ص ٧٣ .

به العسكر من كراع ومال ، فاقسم بين من حضر من المسلمين واترك الارضيين
والأنهار لعمالها ليكون ذلك فى اعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بينهم
من خسر لم يكن لمن بعدهم شيء * (١) ومن كتابه لسعد يتضح انه كان
حريصا على تطبيق مآراه صوابا ويحقق مصلحة المسلمين ، فى ان تنقسم
هذه المناطق فيئا للمسلمين ولمن بعدهم ويصبح وفقا عليهم .

ومن اجراءات عمر رضى الله تعالى عنه ، فى ارض العراق (السواد)
والشام ومصر استنتج انه ، ان قسم الارض بين من غلب عليها كانت عشيرة
واهلها رقيق ، وان لم يقسمها وتركها بين اهلها فعلى رقاب اهلها
الجزية وقد عتقوا بها وعلى الارض الخراج ، وهذا الاستنتاج اورده قدامه
بن جعفر وغيره من الفقهاء ، فذكروا * فان قسم الامام الارض من من غلب
عليها صارت عشيرة واهلها رقيق وان لم يقسمها وتركها للمسلمين كافة فعلى
رقاب اهلها الجزية وقد اعتقوا بها وعلى الارض الخراج وهي لاهلها
وهو قول ابى حنيفة * (٢) .

وهنا يجب ان نشير الى نقطة ان عمر رضى الله تعالى عنه فسي
عدم تقسيمه للارض عمل كرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر يحيى بن آدم
* ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد وقف بعض ما ظهر عليه مسنن

- (١) ابو يوسف/ الخراج ص ٢٦ ، البلازى/ فتوح البلدان ق ٢ ص
٣٢٥ ، ٣٢٦
(٢) قدامه بن جعفر/ الخراج مخطوطه ورقه ١٣٤ ، ابو يوسف/ الخراج
ص ٣٠ و ص ٣٨ ، البلازى/ فتوح البلدان ق ٢ ص ٥٤٦ .

من الارضين فلم يقسمها وقد قسم بعض ما ظهر عليه * (١)

احكام الارض الخراجيه :

وبعد ان وقفنا على الخلاف الذي حصل حول ارض المنوة ، وما يجب ان يسيروا عليه المسلمون اذا ما صادفتهم ارض فتحوها عنوة فينبغي ان نتعرض وجهات نظر الملماء في ذلك فنجد ان الملماء اختلفت وجهات نظرهم في قسمة الارض المفتوحة على ضوء الاهداف السابقة ، حيث ان كل واحد اوجمعة ، استندت الى رأى ووجدت له البررات ، فمنهم من رأى ان تخمس ويقسم الباقي (٢) بين الفاتحين ، وفي هذه الحالة تكون الارض عشريه وان سبيلها سبيل الفتيمة وهذا على رأى الشافعي رحمه الله (٣) وذكر ابن عساكر رأى الشافعي في ذلك * انه ليس للامام ان يقفها بل يلزمه ان يقسمها * الا ان يتفق على وقفها المسلمون ويرضي بذلك من غنمها * (٤) وقد استندوا الى موقف الزبير وبلال الى انها ملك للفاتحين حيث قالوا له عندما فتح السواد * اقسم بيننا انا فتحنا * عنوة

- (١) يحيى بن آدم / الخراج ص ١٩
(٢) قدامه / الخراج ورقة ١٣٥
(٣) الطبري / الاحكام السلطانية ص ١٤٧
(٤) ابن عساكر / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٧٦

بسيوفنا " (١) وعلى هذه الامور استند العلماء الذين يزون في وجوب التقسيم ، ومن العلماء من رأى ان تبقى الارض المفتوحة فيئا للمسلمين جميعا ولمن جاء بعدهم ، وهذا رأى مالك بن انس ، فقد ذكر ابو عبيد رأى مالك " ان الارض المفتوحة لا تقسم بل تبقى وقفا يقسم خراجها فسي صالح المسلمين من اعطيات المقاطع . وبناء القنطرة الساحية " (٢) ويتضح من ذلك انه ليس للامام اختيار ، وان الارض تصير وقفا بنفس الاغنام واصحاب هذا الرأى في عدم التقسيم استندوا الى اجراءات امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في سواد العراق ، والشام وهو حيث انه رضي الله تعالى عنه ، لم يقسم الارض بين الفاتحين بمسـ ان اشار عليه بعض الصحابة بذلك ، حيث تجرى غلتها عليهم وعلى من بعدهم من الخلفين ، الى ان يوث الله الارض ومن عليها وهو غيـ الوارثين فقال عمر رضي الله تعالى عنه " اخاف ان قسمته ان تتفاسدوا بينكم في المياه " (٣) ومن هذا نرى اصحاب رأى عدم التقسيم ، ان الارض تصير فيئا للمسلمين بمجرد الاستيلاء عليها .

ثم نجد ان فريقا من العلماء المسلمين يرى ان الامام مخير بين الامرين ، ان شاء قسمها بين الفاتحين وان شاء لم يقسمها وتبقى لعموم المسلمين ، وهذا رأى ابو حنيفة وسفيان الثوري كما ذكر ابن عساكر

(١) البلازري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٢٩

(٢) ابو عبيد / الاموال ص ٧٥ هامش

(٣) ابو عبيد / الاموال ص ٧٢ ، البلازري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٢٩

" ذهب ابو حنيفة وسفيان الثوري وهما من العلماء الكبار الى ان الامام
فى ذلك بالخيار ، ان شاء وقفها ، وان شاء قسمها ووزعها على ما يسره
بين من غنمها . (١)

ثم نلاحظ ان اصحاب رأى التقسيم (اى تقسيم الارض المفتوحة
عنوة) اختلفوا هل نخمس اذا قسمها ام لا ؟ فهم على قولين ، القول
الاول ان " الارض الى الامام ، ان رأى ان يخمسها ويقسم اربعة اقسامها
للذين ظهروا . عليها فعل ذلك ، وان رأى ان يدعها فيئا للمسلمين
على حالها ابدأ فعل " (٢) ويرى ابن رجب بناء " وعلى هذا فلا يجوز
أن ترد على أهلها تطليكا بخراج ولا غيره " (٣) وهناك من يقول ان يكون
التحيز بين قسمتها وأهلها بين الفانين ، وبين اقرارها أهلها عليها ،
وفرض عليهم وعليها الخراج ، وبذلك تكون ملكا لهم وهذا قول ابن حنيفة (٤)
ويرى ابو حنيفة ايضا " انه شاء ايضا صرف عنها أهلها ونقل اليهم
قوما بالخراج وليمن له عنده وقفها " (٥) ويذكر ايضا ابن رجب ان طائفة

(١) ابن عساكر/ تاريخ دمشق م ١ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦

(٢) يحيى بن آدم/ الخراج ص ١٩

(٣) ابن رجب / الاستخراج ص ١٦

(٤) المصدر السابق / الاستخراج ص ١٦

(٥) " " " "

قالت " يخير بين أربعة اشياء الوقف والقسمه وقرار اهلها على ملكهم بالخراج والجزية وان يجلي اهلها عنها وينقل اليها قوم لذلك " (١) وهذا الآراء التي استعرضها ابن رجب ، وضحت مدى الأهمية ، في قسمة الارض وعدم قسمتها وموقف اهلها من هذه الاحكام .

وأما أصحاب القول الثاني الذين يرون عدم التخميس عند التقسيم لانهم اعتبروها في لجميع المسلمين ، وانه ليس في الفي ، فذكر يحيى بن آدم قول بعض الفقهاء ، قال " الارض لا تخمس لأنها في وليس بفنمية ، لان الفنمية لا توقف ، والارض ان شاء الإمام وقفها وان شاء قسمها كما يقسم الفي ، فليس في الفي خمس ولكنه لجمع المسلمين " (٢) فكيف يقسم الفي ؟ والمشهور ان الفي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا استندوا الى قول الله تعالى " ما أفاء الله على رسوله من أهل القسرى الى قوله تعالى " والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم " (٣) وبعد هذا الاستعراض لأحكام الارض المنسوبة ، نجد ان بعض العلماء اعتبروا الارض داخله في اية الفنائيم ، والبعض الآخر

-
- (١) ابن رجب / الاستخراج ص ١٦
(٢) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٠
(٣) سورة الحشر جزء ٢٨ آية ٧ ، ٨ ، ٩

ضمها ضمن آية الفى ، حيث ان الغنيمة والفى لكل واحد منهما حكمهم يختص به ، ومن الملاحظ أيضا أن الفى خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو حالة فريدة لا تشمل غيره الا أن يحكم حكمها على أساس القياس .

فقال طائفة الأرض داخله فى آية الغنيمة فالله سبحانه وتعالى قال " واعلموا ان ما غنمتم من شىء فان لله خمسة وللرسول " (١) لانهم يرون ان (شىء) تكرر فى سياق النفى كل ما يسي شيئا . (٢) ومن هذا القول انطلق بعض الفقهاء ان الارض يتعين قسمتها بين القائمين بينما ترى طائفة ان الأرض داخله فى آية الفى ، وكما يذكر ابن رجب ان هذا قول اكثر العلماء وانهم صرحوا بذلك " (٣) وان السواد فى ان الله سبحانه وتعالى قال " ما افا الله على رسوله من اهل القسرى فله وللرسول " (٤) الاية . الى قوله تعالى " والذين جؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان " (٥) ففى هذه الاية يذكر الطبرى فى تفسيره ، ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال " قد استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ، فليس أحد الا له الحق " (٦)

-
- (١) سورة الانفال جز ١٠ آية ٤١
(٢) ابن رجب / الاستخراج ص ١٧
(٣) نفس المصدر / الاستخراج ص ١٧
(٤) سورة الحشر جز ٢٨ آية ٧
(٥) سورة الحشر جز ٢٨ آية ١٠
(٦) الطبرى / تفسير ج ٢٨ ص ٣٧

ثم قال " لئن عشت لياتين الراعي وهو يسير حمرة نصيبه ، لم يحرق فيها جبينه " (١) ومن هذه الآية نجدهم حصروا الفيء في ثلاثة اصناف هم " المهاجرون والانصار والذين جاءوا من بعدهم " (٢) .

فذكر الشيخ الزواوي * انه قيل ان آية الحشر ناسخة لا يسه الانفال لان النبي صلى الله عليه وسلم بين بفعله في ارض خيبر انهم على عمومها في جميع الغنائم من الارض وغيرها فنسخت آية الحشر من ذلك الارض خاصة " (٣) ويضيف ايضا " ان آية الحشر مخصصة لآية الانفال ومفسره لها ومبينه ان المراد بها ما عدا الارض من الغنائم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قسم ارض خيبر لان الله وعد بها أهل بيته الرضوان " (٤)

ومن هذا يجد المسلم ان القرآن الكريم والسنة النبوية تحمّل في سطورها احكاما وتشريعات ، فأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سار على هذه الاحكام ، وأجتهد ايضا فانبتق عن ذلك تنظيمات

(١) المصدر السابق / تفسير ج ٢٨ ص ٣٧

(٢) ابن رجب / الاستخراج ص ١٨

(٣) ابن مالك / المدونة الكبرى ج ١ ص ٣٨٦

* الشيخ عيسى بن مسعود الزواوي (المدونة الكبرى ج ١ ص ٣٨٦)

(٤) نفس المصدر السابق / المدونة الكبرى ج ١ ص ٣٨٦

حضارية اسلامية رائحة ، ومن هذا المنطلق نجد اجتهاده في عسـسـم
التقسيم ، استتج الادلة المقنعة ، وكذلك البررات التي اقنعت الصحابه
رضوان الله عليهم ، وحين يجتهد رجل مثل عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه ويصنع احكاما منهقة من الشريعة الاسلامية وقد قال فيه الرسول
صلى الله عليه وسلم : " ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو
الفارق فرق الله به بين الحق والباطل " (١)

فهذا فضلا عن ان عمر وافق ربه في عشر آيات .
ومادنا بصدد الحديث عن الارض الخراجية ، فلا بد ان تلقى نظرة
على اقسام الارض بصورة عامه ، وقبل ان نخوض في ذلك يجب ان نضع
نصب اعيننا ان الارض نوطان ارض عشرية وارض خراجية " (٢) وتنقسم الارض
الى أربعة اقسام (٣) في حين ان البعض يجعلها (٤) لان بعض الاقسام
لها ضربان فتحسب بقسمين :

القسم الاول : مملك عن المشركين والكفار عنوة وقهرا ، وهذا
القسم تكلمنا عنه آنفا ، في الحديث عن اجراءات عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ، وبينا آراء الفقهاء فيه .

القسم الثاني : ما استأنف المسلمون احياء من المـمـمـم
من الارض ، والموات عند الشافعي شيخان احدهما (موات كان عامرا

-
- (١) ابن سعد / الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٧٠
(٢) الشيخ نظام / الفتاوى الهندية / ٢٣٧ ص ٢٣٧
(٣) الطوردي / الأحكام السلطانية ص ١٤٧ ، ابو يعلى / الأحكام السلطانية ص ١٦٢
(٤) ابن قيم الجوزية / أحكام أهل الذمة ج ١ ص ١٠١ .

لاهل معروفين فى الاسلام ثم ذهبت عمارته فصار مواط لا عطرة فيه * (١)
 والموات الثانى عند الشافعى * مالم يملكه احد فى الاسلام بحرف ولا عماره ،
 ملك فى الجاهلية ، وشم يملك فذلك الموات (٢) ثم يذكر الماوردى عن
 ابي حنيفة ان الموات * ما بعد من العامر ولم يبلغه الماء * (٣) وقال
 ابو يوسف * وانما لم يكن فى هذه الارض اثر بناء ولا زرع ولم تكن فيئاً
 لاهل القرية ولا مسرحاً ولا موضع مقبره ولا موضع محتطبهم ولا موضع موعى
 دوابهم واغنامهم ، وليست بملك احد ولا فى يد احد فهى موات * (٤)
 واحياء هذه الارض من الموات يكون * بشق الانهار واستخراج العيسون
 والابار والفرس والتجوير ونحو ذلك ، ولا يحفر بئراً حيث يضر بئر غير * (٥)
 واضاف الماوردى فان اراد احياء الموات للسكن كان احياؤه بالبناء والتسقيف
 لانه اول كمال الصطارات التى يمكن سكناها * (٦) والفقراء التى كانت

-
- (١) الشافعى / الام ج ٤ ص ٤١
 (٢) المصدر السابق / الام ج ٤ ص ٤١
 * العامر : هو الذى يزرع بالفمل (انظر ابو عبيد / الاموال ص ٨٨)
 (٣) الماوردى / الاحكام السلطانية ص ١٧٧
 (٤) ابو يوسف / الخراج ص ٦٩
 (٥) ابن عسكو / ارشاد السالك ص ٨٩
 (٦) الماوردى / الاحكام السلطانية ، ص ١٧٧

محور خلاف الفقهاء في احياء الارض الموات تتمثل في احياء الارض الموات بان اذن الامام او يدين اذنه ، والذي يدل على انه ملك الموات محتبـــــر بالا حياء دون اذن الامام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من احيى ارضا ميتة فهي له " (١) في حين ان ابا حنيفة يرى انه لا يجوز احياءها الا بان اذن الامام مستندا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ليس لاحد الا ما طابت به نفس امامه " (٢) وهنا يفسر ابو يوسف حجة ابي حنيفة بسان الاحياء لا يكون الا بان اذن الامام فقال " رأيت رجلين اراد كل واحد منهما ان يختار موضعا واحدا وكل واحد منهما منع صاحبه ، ايهما احق رأيت ان اراد رجل ان يحيى ارضا ميتة ففنا . رجل وهو مقران لاحق لــــه فيها فقال لا تحبها فانها بفناني وذلك يضرني " (٣) وهنا يبين ان اذن الامام في احياء الارض الموات يكون اذا وجد خلاف بين الناس . ورأى ابو يوسف في ذلك انه قال " اما انا فأرى اذا لم يكن فيه ضرر على احد ولا لاحد فيه خصومة ان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم جائز الى يوم القيامة فاذا جاء الضرر فهو على الحديث " وليس لعرق ظالم حق " (٤) ويتضح من رأى ابو يوسف ان من احياء ارض ميتة فهي له الى يوم القيامة

-
- (١) ابو داود / سنن ج ٣ ص ٢٤٠
(٢) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٧٧
(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٦٩ / ٧٠
(٤) ابو يوسف / الخراج ص ٧٠

الا اذا جاء الضرر فعلى الامام الفصل بين الناس ، فان شاء الامام واذن له ان يحييها فذلك الاذن جائز ، وان منع الامام ، كاف ذلك المنع جائز فلا سلام حدد للانسان المدة التي يمكن ان تكون الارض المواتي في حوزته دون احياها ثلاث سنوات ، فاذا احياها كانت له ، واذا لم يحييها فهي هذه المدة فعلى الامام اخذها منه وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " عادى الأرض لله وللرسول ، ثم لكم من بعد فمن احيا أرضا ميتة فهي له وليس لمخبر حق بين ثلاث سنين " (١)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " من احيا أرضا ميتة فهي له ، وليس لمخبر حق بعد ثلاث سنين " (٢) وذلك ان رجالا كانوا يحتجسون من الارض ما لا يملكون . وطى هذه الارض الموات يضرب عليها العشور او يضرب عليها الخراج فقال الماوردي " وما احيا من الموات معشور لا يجوز ان يضرب عليه خراج سواء سقي بماء العشر او بماء الخراج " (٣) ، وقال ابو حنيفة " ان ساق الى ما احياه ماء العشر كانت ارض عشور ، وان ساق اليها ماء الخراج كانت ارض خراج " (٤) ومثل هذه

(١) ابو يوسف/ الخراج ص ٧٧

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ٧١

(٣) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٧٨

(٤) المصدر السابق / الاحكام السلطانية ص ١٧٨

* المحتجز : هو ان يجي الرجل الى ارض موات ، فيخطر عليها حظيره ولا يعمرها ولا يحييها فهو احق بها الى ثلاثة سنين (انظر

ابو يوسف/ الخراج ص ١١٠)

رأى أبو يوسف (١) . ونجد في الفتاوى الهندية ان ذلك يختلف بالنسبة

(١) أبو يوسف / الخراج ص ٧١
" ان كانت الارض المحياة على انهار حفرتها الاطام فهي ارض
خراج ، وان كانت على انهار اجراها الله عز وجل ، كدجلة
والفلات ، فهي ارض عشر . وقد اجمع العراقيون وغيرهم على
ان ما احيط من موات البصرة وسباخها ارض عشر . اما على قول
محمد فلان دجلة البصرة ما اجراه الله من الانهار وما عليها من
الانهار المحدثه فهي محياة احتقرها المسلمون في الموات . اما
على قول ابن حنيفة . فقد اختلف اصحابه في تعليق ذلك على
قولين فجعل بعضهم لعله فيه : ان ماء الخراج يفيض في دجلة
البصرة ، وفي جزرها وارض البصرة تشرب من مدها والمد من
البحر وليس من دجلة والفرات . وهذا التعليل قاصد ، لان
المد يفيد الماء المذهب من البحر . ولا يمتزج بطئه ولا تشرب وان
كان المد شربها الا من دجلة والفرات ، وقال آخرون من اصحابه
منهم طلحه بن آدم : بل الصلة فيه ان ماء دجلة والفرات يستقر
في البطائح ، فينقطع حكمه ويحول الاشفاق به ، ثم يخرج السي
دجلة البصرة فلا يكون من ماء الخراج ، لان البطائح ليست من
انهار الخراج . وهذا تعليل فاسد ايضا . لان البطائح
بالعراق انبطحت قبل الاسلام ، فتفريق حكم الارض من صارت مواتا
ولم يعتبر حكم الماء ، انظر ابو يعلى ، الاحكام السلطانية
ص ٢١١ .

لمحي الارض فذكر " من احيا ارضا مواتا فان كانت من حيز ارض الخراج فهي خراجيه ، وان كانت من حيز ارض العشبة فهي عشريه وهذا اذا كان المحي لها مسلما ، اما اذا كان ذميا فهي خراجيه وان كانت من حيز ارض العشر والبصرة عندنا عشريه باجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم " (١)

والقسم الثالث : ما اسلم عليه اربابه فهم احق به ، وهي علسي ثلاثة اغرب ، احدها ان الارض عشريه ولا يجوز ان يوضع عليها الخراج ، وهذه على مذهب الشافعي " (٢) .

وقد اخذ بهذا الرأي كثير من العلماء ، فيذكر ابو يوسف " فان دماءهم حرام وما اسلموا عليه من اموالهم فلهم وكذلك ارضهم لهم وهي ارض عشر " (٣) ونلاحظ انه استند الى ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع اهل المدينة والطائف والبحران واهل البادية فقال " هذا بمنزلة المدينة حيث اسلم اهلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت ارضهم ارض عشر ، وكذلك الطائف ، والبحران وكذلك اهل البادية " (٤) ويأخذ كذلك ابو يعلى برأي الشافعي فيذكر " انها ارض عشر ، ولا يجوز

(١) شيخ نظام / الفتاوى الهندية م ٢ ص ٢٣٧

(٢) الشافعي / الام ج ٤ ص ١٨١

(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٦٨ ، ابن عساكر / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٩١

(٤) المصدر السابق / الخراج ص ٦٨ .

ان يوضع عليها خراج * (١) وهنا ربما يراد برأى الشافعي والذين اخذوا به ، ان اصحاب الارض اسلموا بغير قتال فيذكر ابو يعلى في رواية حسوب ما يؤيد ذلك فقال * ارض العشر الرجل يسلم بنفسه من غير قتال وفي يده ارض ، فهي عشر * (٢)

ونذكر في الفتاوى الهندية ايضا مثل ذلك * كل ارض اسلم عليها اهلها طوعا فانها تكون عشريه * (٣)

١- الضرب الثاني واصحابه يرون أن من اسلم وارض عنوة ~~بـ~~ يـ عنها الخراج ، اذا اقام بها فبين ذلك يحيى بن آدم حين ذكر عن اهل الذمة * من اسلم منهم فهو حر مسلم يطرح الجزية عن رأسه ، ولـ الخيار في ارضه ، ان شاء اقام فيها يؤدى عنها ما كانت تؤدى ، وان شاء تركها فقبضها الامام للمسلمين مع ما في يديه ، ما كان في ايدي اهل فارس * (٤) واما اذا ابقى في ارضه ، فان عليه ان يؤدى الخراج وهذا ما اجراه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، مع دهاقته انهر الطك *

(١) ابو يعلى / الاحكام السلطانية ص ١٦٣
(٢) المصدر السابق / الاحكام السلطانية ص ١٦٣ ، ابن رجب / الاستخراج

ص ١٢ *
(٣) الشيخ نظام / الفتاوى الهندية م ٢ ص ٢٣٧ ، الشيباني / شرح السيد الكبير ج ٥ ص ٢١٣٧ ابو عبيده / الاموال ص ٧٠
(٤) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٢ ، ٢٣ الشيباني / شرح السيد الكبير

*
نهر الطك ، كورة واسعة ببغداد بهند نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية على عدد ايام السنه ، قيل ان اول من حفره سليمان بن داود ، عليهما السلام ، وقيل ان حفره الاسكندر لما ضرب السواد قيل حفره اقفور شاه بن بلاش (انظر يا قوت الحموى / معجم البلدان م ٥ ص ٣٢٤)

التي اسلمت في عهده فكتب الى سعد وعمار " ادفعوا اليها ارضها تؤدى عنها الخراج " (١) ويضيف الشيباني ان عمر رضي الله تعالى عنه قال " وسواد الكوفة انما اخذ عنوة ، نهر الملك وغيره لله والموفق " (٢) وهذا شاهد ايضا على أن امير المؤمنين عمر رضي الله عنه لم يأمر ببسالة العشر مع الخراج وفي رواية لحنبل قال " من اسلم على شي فهو له ، ويؤخذ منه خراج الارض " (٣) فهذا يدل على ان من كان بيده ارض من ارض الخراج فلا يسقط اسلامه .

أما الضرب الثالث : وأصحابه وعلى رأسهم ابو حنيفة يرون أن يترك ذلك لاذن الامام ، وانه مخير فيها ان شاء جعلها عشريه ، وان شاء جعلها جراجيه حيث لا يمكن تحويلها بعد ذلك فقد ذكر الطوردي عن ابن حنيفة قال " الامام مخير بين ان يجعلها خراجا ، أو عشرا ، فان جعلها لم يجز ان تثقل الى العشر ، وان جعلها عشرا جاز ان تثقل الى الخراج " (٤) ثم توضح الفتاوى الهندية انه حتى يكون الامام مخيرا ذكر " وكل بلدة فتحت عنوة واسلم اهلها قبل ان يحكم الامام فيهم بشي "

-
- (١) ابو عبيد / الاموال ص ١١٢
 (٢) الشيباني / شرح السيرة الكبيرة ج ٥ ص ٢١٣٨
 (٣) ابو يعلى / الاحكام السلطانية ص ١٦٣
 (٤) الطوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٧

كان الامام فيها بالخيار* (١) في حين ذكر ابن رجب فقال " ما اسلم اهلها عليها ولم يكن ضرب عليهم خراج قبل الاسلام فهذه لا خراج عليها* (٢)

والقسم الرابع : ما صلح عليه المشركون من ارضهم ، وقال ابو عبيد " وارض افتحت صلحا على خرج معلوم فهم على ما صلحوا عليه لا يلزمهم اكثر منه " (٣) وهذه الارض على نوعين ، احدهما ذكره الطوردي حين قال " ما خلا عنه اهلها حصلت للمسلمين بغير قتال فتصير وفقا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج ، ويكون اجرة تقرر الى الابد ، وان لم يقدر يحده لنا فيها من عموم المصلحة ولا يتغير اسلامه ولا ذمة ، ولا يجوز بيع قابها اعتبارا لحكم الوقف . " (٤)

اما النوع الثاني ما اقام فيه اهلها ، وصالحونا على اقراره فسي ايديهم بخراج يضرب عليهم ، وهذا النوع على ضربين احدهما ، ان يندلوا عن ملكها لنا عند صلحنا ، فتصير هذا الارض وفقا على المسلمين فقال ابو يوسف " وايا قوم من اهل الشرك صالحهم الامام على ان يندلوا على

-
- (١) الشيخ نظام / الفتاوى الهندية م ٢ ص ٢٣٧
(٢) ابن رجب / الاستخراج ص ١١
(٣) ابو عبيد / الاموال ص ٦٩
(٤) الطوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٧ ، ابو يحلى / الاحكام السلطانية ص ص ١٦٣ - ١٦٤

الحكم والقسم وان يومدوا الخراج فهم أهل ذمة وارضهم ارض خـراج
ويؤخذ منهم ما عولحوا ويوفى لهم ولا يزداد عليهم * (١)

وهذه الارض بمثابة ما انجلي عنه أهله ، وأما خراج هذه الارض
فيذكر الماوردي * ويكون الخراج المضروب عليهم اجرة لا تسقط باسلامهم
ولا يجوز لهم بيع رقابها ، ويكونون احق بها ما أمكنوا على صلحهم
ولا تنتزع من ايديهم سوا * أقاموا على شركهم أم اسلموا * (٢)

أما الضرب الثاني : ان يستبقوها على املاكهم ولا ينزلوا عن
رقابها ويصالحونها عنها بخراج يوضع عليها . وأما خراج هذا الضرب
فقد ذكر الماوردي * فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما اقاموا على شركهم
وتسقط عنهم باسلامهم ، ولا يجوز أن لا يؤخذ منهم جزية رقابهم * (٣)

أما بالنسبة لارضهم فذكر ابو يعلى * ويجوز لهم بيع هذه الأرض
على من شاءوا منهم ، أو من أهل الذمة ، أو من المسلمين ، فإن
تبايعوها بينهم كانت على حكمها في الخراج ، وان بيعت على مسلم
سقط عنه خراجها ، وان بيعت على ذمي أحتمل ان لا يسقط عنه خراجها

-
- (١) ابو يوسف / الخراج ص ٦٨ ، ٦٩
(٢) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٧
(٣) المصدر السابق / الاحكام السلطانية ص ١٤٧

خراجها لبقا كفرة واحتمل ان يسقط لخروجه بالذمة من عقد من صولـخ
عليها * (١) وفي الجملة بالنسبة للقسم الرابع المتضمن ارض الصلح الذي تحدثنا
عنه . انه يثبت الخراج بحسب ما صولحوها عليه ، وهذا كله مجمع عليه ،
ولا خلاف فيه ، الا ان يحيى بن آدم ذكر عن شريك قوله " انما ارض الخراج
ما كان صلحا على خراج يومئذونه الى المسلمين . قلت له : فما بال
سواد الكوفة ؟ قال هذا اخذ عنوة فهو في * ، ولكنهم تركوا فيه ووضع
عليهم شي * ، وليس بالخراج * (٢) ، فهذا تفسير جديد لشريك حيث ميز
بشكل دقيق بين ارض العنوة (الفي *) وبين ما اسماء الصلح التي يؤخذ
عليها (الخراج) وقد افترض ابن رجب علي مأخذ شريك في ذلك فقال "
ان الخراج ما وضع على الكفار على وجه الصفار عليهم والذلة ، وهذا انما يكون
فيما وضع على ارضهم بسبب الكفر كالجزية الموضوعة على رؤسهم بسبب الكفر ،
وسمي الجزية خراجا كما سبق ذكره بخلاف ما وضع على ارض المسلمين فان ليس
موضوعا على وجه الصفار ، وانما هو الحقيقة كالأجرة ، له وهذا نزاع
لفظي لا يترتب عليه حكم شرعي * (٣) ، ولماذا هذا العرض السريع للأرض ككل
وعرفنا اقسامها . فنستخلص منها ان الأرض الخراجية نوعان (٤) احدهما
الأرض التي فتحت عنوة ولم يقسمها الامام بين القائمين كما فعل امير المؤمنين

(١) ابو يعلى / الاحكام السلطانية ص ١٦٤

(٢) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٨

(٣) ابن رجب / الاستخراج ص ١٢ ، ١٣

(٤) المصدر السابق / الاستخراج ص ٣٩

عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العراق (السودان) والشام ومصر ، ويسير على منوالها اجراء كل ارض فتحت عنوة ، أما النوع الثاني من الارض - الخراجيه فهي ارض الصلح ، وتعتبر هذه الارض كثيره " واذا قدرنا كثرة الاراضي التي فتحت صلحا دون فقال امكنا ان نتصور المقدار الهائل من الأموال التي دخلت الخزينة الاسلامية " (١) ومن هذا يتضح ان ارض الصلح اكثر الاراضي التي تدور على الدولة الاسلامية الاموال . وبالمقارنة بين ارض الصلح وارض المنوة ، نجد أن ارض الصلح ماباع أهلها منها شي فهو جائز لهم فذكر ابو يعلى " ويجوز لهم بيع هذه الارض على من شاءوا منهم " (٢) والسبب فذلك كما ذكر القرشي " لأن أهل الصلح من اسلم منهم كان احق منهم بارضه وماله . . . وأهل الصلح انما هم قوم امتنعوا ومنعوا بلا عم حتى عالجوا عليها ، وليس عليهم الا ما صالحوا عليه " (٣) اما بالنسبة لارض المنوة والذين اهلها ، اخذوا عنوة " ولا يجوز بيع رقابها " (٤) وكذلك لا يجوز بيع شي ما تحت ايديهم من الارض لان " أهل المنوة غلبوا على بلادهم وصارت فينا للمسلمين " (٥)

-
- (١) د . صبح الصالح / النظم ص ٣٦٠
(٢) ابو يعلى / الاحكام السلطانية ص ١٦٤
(٣) القرشي / فتوح مصر واخبارها ص ١٥٥
(٤) ابو يعلى / الاحكام السلطانية ص ١٦٣
(٥) القرشي / فتوح مصر واخبارها ص ١٥٥

فهى بذلك تصبح وفقا لعموم المسلمين . وبصفة عامة فان أهـل الأرض الخراجية الذين اقروا بالخراج فهناك شروط يتمتعون بها فى ظل حكم الدولة الاسلامية فقد اورد ذلك الطبرى حين ذكر ، فان اقروا بالخراج فقاتلوا ، عدوهم من وارثهم ، وفرغوهم لخراجهم ، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فان ابوا فقاتلوهم ، فان الله ناصركم عليهم " (١) وهذا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه للجيش الفاتحه .

أما بالنسبة للدخول فى ارض الخراج فهناك كراهية فى ذلك والذى يدل على ذلك حين اشترى عتبة بن فرقد ارضا على شاطئ الفرات ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال " ممن اشتريتها ؟ قال من اربابها ، فلما اجتمع المهاجرون والانصار عند عمر : قال هؤلاء أهلها فهل اشتريت منهم شيئا ، قال : لا قال : فارددها علي من اشتريتها منه وخذ مالك " (٢) فهذا يوضح ان لا تشتروا ارض الخراج لان فى شوائها اقرار بالصفار .

(١) الطبرى / تاريخ الرسل والملوك . لا يدن ١٤ / ٢٧١ ج ٤ ص ١٨٧
(٢) ابو عبيد / الايـوال ص ٩٩

سياسة عمر الادارية مع عماله :

وكان للأهمية البالغة (للخراج) عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فكان حرصا شديدا الحرص في انتقاء العمال والجباة ، والذين يقومون بعملية الخراج ، وكان لا يختار عاملا او جابيا ، الا بعد ان يجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، وكان يستعين بأهل الدين ، حتى أن ابا عبيده بن الجراح رضي الله عنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه * دنست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر يا ابا عبيده ، اذا لم استمعين بأهل الدين على سلامة دين فبمن أستمعين ؟ * (١)

وهذا يبين لنا شدة حرص أمير المؤمنين في اختيار العامل ، وهذا الاختيار لا يكون الا بعد مشورة اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاختار عثمان بن حنيف ، كان بعد أن أجمع عليه الصحابة وذلك بعد ان قال عمر رضي الله عنه * وقد بان لي الامر فمن رجل له جزالة وعقل يقض على العلوج ما يهتمون ؟ فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف ، وقالوا : تبعثه الى أهم ذلك ، فان له بعرا وعقلا ، وتجربة فاسرع اليه عمر فولاه مساحة ارض السواد * (٢) أي انه كان عالما باحوال الارض ومساحتها ،

(١) ابو يوسف / الخراج ص ١٢٢
(٢) ابو يوسف / الخراج ص ٢٧ ، ٢٨

وكان ماهرا بعلم المساحة * (١) وكان عمر رضى الله تعالى عنه ، لا يعين عاملا الا اذا توخت فيه شروط خاصه ، واهمها .

- ١- ان يتصف بالتقوى والورع .
- ٢- ان يكون خبيرا بمساحة الأرض وشؤون الزراعة .
- ٣- ان يوافق على اشغال وظيفه عامل الخراج
- ٤- أن يكون مرشحا من المنطقة التى سوف يعمل بها .
- ٥- ان يكون خبيرا بالحساب وفصول السنه .

فكان لهذه السياسة اثرها الواضح فوجدت الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فعند ما أراد أن يعين عمالا الى عدة مناطق ، فكان يكتب الى أهل تلك المناطق ان يبعثوا اليه برجال من أخيرهم وأصلحهم فكتب الى * أهل الكوفة يبعثون اليه رجلا من أخيرهم وأصلحهم والى أهل البصرة كذلك والى أهل الشام كذلك ، قال فبعث اليه أهل البصرة - عثمان بن فرقد ، وبعث اليه أهل الشام معن بن يزيد ، وبعث اليه أهل البصرة الحجاج بن علاط كلهم سلميون . قال فاستعمل كل واحد منهم على خراج أرضه * (٢) . وكان لا يكره أحدا ممن اختارهم للجباية وهذا ما حدث معه رضى الله عنه حينما ، دخل المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلى فقعده الى جانبه حتى ، أتم صلاته فقال له عمر رضى الله تعالى عنه

(١) الرهبي / الرتاج ج ١ ص ٢٠٤

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ١٢٢

" ارانى الا مستعملك قال أما جاييا فلا ، ولكن غازيا : قال : فانك
 فاز " (١) وبعد ذلك استعمله سعد بن ابى وقاص عاملا على كسكر في
 جباية الخراج ، فكتب النعمان الى عمر رضي الله عنه عن ذلك ، فكتب
 عمر الى سعد " ان النعمان كتب الى يذكر انه استعمله على جباية
 الخراج وانه قد كره ذلك ، ورغب في الجهاد ، فابحث به الى اعم
 وجوهك الى نهاوند " (٢) وهذا يبين تخرج وحذر الصحابة رضوان الله
 عنهم من استلام وظائف الجباية ، ثم لسياسة عمر بن الخطاب رضي الله
 تعالى عنه ، ان في اكرام العامل أو الجابي على العمل ، قد لا يمطي
 الاخلاص المطلوب والمتوخى منه ، وايضا لمعد نظراً مير المؤمنين
 رضي الله تعالى عنه ، فان اكرام العامل أو الجابي ، قد لا سمح الله
 يتلاعب باموال المسلمين وفي ذلك لا يمكن محاسبته في النهاية ، لانه
 مجبر على هذا العمل .

وكان عمر رضي الله تعالى عنه يرسم مسؤولية عماله الذين يبعث
 بهم فيقول فيهم " اللهم اني لم أبعثهم ليأخذوا اموالهم ، ولا يضرروا
 ابشارهم . من ظلمه اميره فلا امره عليه دوني " (٣) ويقول لهم ايضا

-
- (١) ابو يوسف/ الخراج ص ٣٥
 (٢) الطبري/ تاريخ
 (٣) " " " " " " " "
- ٢٥٩٦/١ ج ٤ ص ١١٤
 ٢٧٤/١ ج ٤ ص ٢٠٣

" ان لم ابعثكم جبابرة . ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتدلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم ، وادّروا لقحة المسلمين (١) وكان رضى الله تعالى عنه يتحرى العدل فى العمال ويقول لهم " ايما عامل لى ظلم احد فبلغتنى مظلّمته فلم اغيرها فانا ظلمته " (٢) وكان يحاسب عماله ماليا ، وكان ايضا يأخذ القصاص منهم ، ومن محاسبة لعماله ماليا " مقاسمة الولاة اموالهم عند انتهاب اعمالهم ولا سيما اذا عجزوا عن اثبات مصادر الزيادة على ثرواتهم " (٣) لان بعض الولاة استغلوا سلطانهم فى جمع المال ، وخالفوا شروط التعمين فضاّق بهم الناس زرعاً ورفقوا أمرهم الى امير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه ، فقام بمحاسبتهم ماليا ، وكان من شدة حرصه على أموال المسلمين ، الا تهدر سدى فى ايدي اولئك العمال او الجباه ، بأن يقوم رضى الله تعالى عنه باحضار اموال اولئك العمال والجباه ، قبل ان يبدوا عملهم ثم يتبع رضى الله تعالى عنه ما يطرأ على دخل ذلك العامل والجابي ، اثناء ولايته او ما بعد ها لكي يقف على حقيقة الزيادة لدى هذه الوالى او العامل او الجابى فاذا وجد زيادة استفسر عن سبب هذه الزيادة وفى ذلك قال المدوى

(١) ابو يوسف / الخراج ص ١٢٥ ، ابو يعلى / الاحكام السلطانية

ص ١٨٧ .

* بمعنى ان ادوا اليهم حقوقهم من الفي * والخراج فى الوقت الذى يستحقون فيه العطا * ولا توفره عنه فاستمار له اللقحة والصدرة بالكسر فيهما والا ولى الناقه القرية العهد بالنتاج والثانيه لبنها (انظر الرهبي / الرتاج ج ٢ ص ٥٩)

(٢) ابن الجوزى / تاريخ عمر ص ٧ ١٣٨

(٣) المدوى / النظم ص ٢٧٠

" فكان الخليفة يحصي أمواله كله والي قبل مباشرة أعماله ، ثم يفحص ما يطرأ على دخل هذا الوالي من حين الى آخر ، سواء أثناء مدة الولاية أو بعدها " (١) وهذا ما حدث لعمر بن العاص حينما بعثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محمد بن مسلمة اليه ، ومعه كتاب أمير المؤمنين ، فقال أمير المؤمنين لسعد " اما بعد فانكم معشر العمال قعدتم على عيون الاموال فجبتم الحرام ، واكتمت الحرام واورثته الحرام ، وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة الانصار ليقاسمك مالك فاحصر مالك والا سلام " (٢) وكذلك ما حدث لابي هريرة حينما ولاه أمير المؤمنين رضي الله عنه علي بن جبابه البحرين بعد قدامه ثم عزله وقاسمه وأمره بالرجوع " (٣) . وهنا نلاحظ أن محاسبة عمر لعماله ، تقسم بالمعدالة دون النظر الى العامل وشخصيته ومنزله ، وهو " كبار الصحابة ، ولكن عمر لا تأخذه في ذلك لومة لائم في الحق ، وهو " بشر معرضون للاخطاء . وعدالة عمر رضي الله عنه " ومتابعته لعماله كان لها الأثر الواضح على انتشار العدل في عهده ، وخاصة عند ما يقتضى للرعية من الولاية ، فقال عمر رضي الله عنه : " فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم (الولاية) فليقم " (٤)

-
- (١) المدوى / النظم ص ٢٠٧
 (٢) الفرش / فتوح مصر وأخبارها ص ١٤٦ .
 (٣) البلاذرى / فتوح البلدان ق ١ ص ١٠٠ .
 (٤) ابو يوسف / الخراج ص ١٢٥ .

وهنا تتمثل عدالة عمر وانتشارها بين رعيته حيث لم يقم سوى واحد من الرعية فقال " يا امير المؤمنين عاملك ، ضربني مائة سوط فقال عمر . اتضرره مائة سوط ؟ قم فاستقد منه " (١) وهنا حاول عمرو بن العاص ان يمنع ذلك حتى لا تكون سنة يؤخذ بها من بعده فقال عمر : " الا اقيده منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ ثم فاستقد " (٢)

ولكن انتهى الامر بأن ارضوا الرجل بمائتي دينار ، عن كل سوط دينارين " (٣) وكان امير المؤمنين رضي الله عنه رغم انه يدقق في اختيار العامل وبعد مشورة الصحابة وتوجيه النصائح له تارة ، والوعيد له ان ظلم تارة اخرى ، الا انه يتحرى قدرة دافعي الضريبة ، وهل ظلم في تلك الضريبة ، أم اخذت منه بالحق وعلي قدر الطاقه . فسأل ذلك عثمان بن حنيف ، وكان عامله على شط الفرات ، وحذيفة بن اليمان وكان عامله على ماوراء دجلة من جوخى وماسقت . (٤) فقال لهما " كيف وضعتنا على الارض ، لعلكمنا كلفتما أهل عملكما مالا يطيقون ؟ " (٥) وكان جوابهما " فقال عثمان : حملت الارض امرا هي له مطيقة ولو شئت لا ضعفت أرض . وقال حذيفة : وضعت عليها امرا هي له محتله وما فيها كثير فضل " (٦) وجوابهما يتضح منهما انهما

-
- (١) أبو يوسف / الخراج ص ١٢٥
 (٢) المصدر السابق / الخراج ص ١٢٥
 (٣) أبو يوسف / الخراج ص ١٢٥
 (٤) المصدر السابق / الخراج ص ٤٠
 (٥) المصدر السابق / الخراج / ص ٤٠ ، ابن الجوزي / تاريخ عمرو ص ١٣٥
 (٦) أبو يوسف / الخراج ص ٤٠

عملا بنصح وتعاليم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، فالارض السقي
سحبها عثمان تحتل لضعف من الخراج ، والارض التي سحبها حذيفة
فيها زيادة عن المطلوب ، ولكنها عملا على قدر الطاقة . وكان يحث عماله
في عدم استعمال السوط في الجباية واكره الناس * ان عمر بن الخطاب
اتي مال كثير - قال ابو عبيد : احسبه قال : من الجزية - فقال انسي
لاظنكم قد اهلكتم الناس ، قالوا : لا والله ما اخذنا الا عفوا صرفوا :
قال : فلا سوط ولا نوط * قالوا : نعم . قال الحمد لله الذي
لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني * (١)

وكان رضي الله تعالى عنه يفضض أشد الفضض اذا ما حاول
أى والى ان يماطل في الخراج ، وسعيد بن عامر بن حذيم * والى حمص
من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لم يماطل بـ
ابطالاً بالخراج لأسباب أقرها فيما بعد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فما أن قدم سعيد لمعمر رضي الله عنهما علاه عمر بالدرة فقال سعيد * سبق
سليك مطرك ، ان تعاقب نصبر ، وان تمف نشكر ، فان تستعجب نعتسب
فقال : ما هلي المسلم الا هذا ، مالك تبطن الخراج ، قال امرتكم

(١) ابو عبيد / الاموال ص ٥٤
النوط : التعليق بلا ضرب ولا تعليق (انظر المصدر السابق /

الاموال ص ٥٤) *
صهابي قرشي شهد خيبر ومات سنة ٢٠ في خلافة عمر وكان واليا
على حمص (انظر ابو عبيد / الاموال ص ٥٥)

الا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير ، فلسنا نزيدهم على ذلك ، ولكننا
نؤخرهم الى غلاتهم * (١) ويعنى سعيد بحديثه انه ينتظر الى ان يحددوا
رزقهم ويجمعوا غلتهم ليتيسر لهم الدفع . وما ان عرف امير المؤمنين عمرو
ابن الخطاب رضى الله عنه سبب تأخير سعيد للخراج حتى حي فيه حسن
سياسته للامور ، وقال له * ما عزلتك ما حييت * (٢) وهنا نرى الموقف
الذى وقفه عمرو بن الخطاب رضى الله عنه من سعيد ابن عامر فى البداية ،
ثم كيف طيب له عمله ، لكي يكون باعث الى عمل جديد وجيد . وحينما وجد
امير المؤمنين عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ماطلة من قبل عمرو بن العاص
فى خراج مصر ، وتأخير فى ارساله ، وهذا ما كان يفضب امير المؤمنين
فى التلاعب بحقوق المسلمين التى يعتبرها امانة فى عنقه ، وانه سوف
يحاسب بها امام الله ، فكان يرسل له الكتاب تلوا الاخر التى تحمل اسلوب
الشدة والقسوة ، ولا يسمعا الا ان نذكر تلك الكتب التى تظهر مدى غضب
امير المؤمنين رضى الله عنه للحق ، ورغم ان هذه الكتب مطولة الا اننا نذكرها
كما أوردها القرشي فقال عمرو رضى الله عنه * بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام عليك فانى احمد اليك
الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد فانى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه
فاذا ارضك ارض واسعه عريضة رفيعة قد اعطى الله أهلها عددا وجلدا وقسوة
فى بر وبحر وانها قد عالجتها الفراغنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم
وكفرهم فاجبت من ذلك واعجب بها عجبت انها لا تؤدى نصف ما كانت

(١) ابو عبيده / الأموال ص ٥٥
(٢) المصدر السابق / الأموال ص ٥٥

توهدى من الخراج قبل ذلك على غير قهوط وجدوب ولقد اكدت في مكاتبتك
في الذى على على ارضك من الخراج وظننت ان ذلك سياستنا على غير نذر
ورجوت ان تفيق فترفع الى ذلك فاذا انت تأتبن بمعارضين فخطابها لا توافق
الذى في نفسي ولست قابلا منك دون الذى كان تؤخذ به من الخراج قبل
ذلك ولست ادري على ذلك ما الذى انفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجزئا
كافئا صحيحا ان البراءة النافعة وان كنت مضيقا فطنا ان الامور على غير
ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابلى ذلك منك في العام الماضي رجاء
ان تفيق فترفع الى ذلك وقد علمت انه لم يضعك من ذلك الا عمالك عمال السوء
وما تواكس عليه وتلفف فخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء فيه شفاء ،
ما اسالك عنه فلا تجزع ابا عبد الله ان يؤخذ منك الحق وتمطاه فـلـئـن
النهر يخرج الدر والحق ابلج ودعنى وما عنه تلجلج فانه قد بوح الخفاء
والسلام * (١)

وكان جواب عمرو بن العاص انه " نفي جميع التهم الموجهة اليه
من قبل أمير المؤمنين ، وان كان في بعضها شيء من الصواب ، ثم
أوجد بعض التماليك لأعجاب عمر رضي الله عنه بعمل الفرائض في وقرة
الخراج وكثرة الارض واعمرها وان هذا عائدا الى رغبتهم في عمارة ارضهم " (٢)
فكتب اليه عمر رضي الله عنه " من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بهد فقد عجبت

(١) القرشي / فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٨ ، ١٥٩
(٢) المصدر السابق / فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٩ ، ١٦٠

من كثرة كتبي اليك في ابطالك الخراج وكتابك الى بسنيات الطرق وقد علمت
اني لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك الى مصر اجعلها لسيك
طعمة ولا لقومك ولكن وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك
فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في* للمسلمين ، وفتعجب
من قد تعلم قوم محصورون والسلام* (١) فتعجب أمير المؤمنين من كثرة
الكتب التي دارت بينه وبين عمرو بن العاص في أمر الخراج ، مع أن الأمر
لم يتطلب تلك الكتب ، لان كثرتها قد تجعل احد الطرفين يمدل عن
مطلبه وتولد السأم والكآبة ، وكانت رغبة أمير المؤمنين رضي الله عنه
ان يظهر الحق البين ولا يوضى عنه غير ذلك وان كثرت تلك الكتب . فكان
جواب عمرو بن العاص* بسم الله الرحمن الرحيم الذي عمرو بن الخطاب
من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو
أما بعد فقد اتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطنني في الخراج ويؤزم
اني اعند عن الحق وانكب عن الطريق واني والله ما ارجو عن صالح ما تعلم
ولكن أهل الأرض استنظروني الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين
فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم
عنه : والسلام* (٢)

(١) المصدر السابق / فتوح مصر وأخبارها ص ١٦٠
(٢) " " " " " " " "

تحديد مقادير الخراج :

وأمر المومنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حينما وضع الخراج على الأرض ، نلاحظ أنه راعي ما تحتله الأرض ، وهذا ما كان يوصي به عماله ، فقد قال لميثان بن حنيف وحذيفة بن اليمان " انظرا لا تكونا حملنا الأرض ما لا تطيق " (١) وبعد أن اطمأن الى ما وضعه عثمان وحذيفة قال " اما لئن بقيت لا رامل أهل العراق لا دعهم لا محتجن الى احد بعدى " (٢) فقليل انه لم تمضي عليه أربعة أيام حتى اصيب رضي الله تعالى عنه . (٣) فقد لعبت الأرض دورا كبيرا في تحديد كمية الخراج المضروب عليها ، لانها تختلف من ثلاثة اوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه ، فذكر الطوردي فقال " احدهما ما يختص بالأرض من جوده يزكو بها زرعها اورداة يقل بها ريعها . والثاني ما يختص بالسفر من اختلاف انواعه من الحبوب والثمار ، فمنها ما يكن ثمة ، ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه ، والثالث ما يختص بالسقي والشرب لان ما التزم المومنه في سقيه بالنواضح والدوالي لا يحصل من الخراج ما يحتسب له سقي السيوح والاطار " (٤) ومن هذا نستنتج ان الخراج المضروب علي

- (١) ابو يوسف / الخراج ص ٤٠
 (٢) المصدر السابق / الخراج ص ٤٠ ، ابن رجب / الاستخراج ص ٦٢
 (٣) ابن رجب / الاستخراج ص ٦٢
 (٤) الطوردي / الاحكام السلطانية ص ١٤٨

الارض ليس على قاعدة واحدة ، وانما يختلف من منطقة الى اخرى ، مثلا
فمقدار الخراج المضروب على العراق لا يطبق على مصر والشام ، لان كمـا
ذكرنا ان نوعية الارض تلعب دور كبير ، وهذا ما حدث عندما مسح عثمان بن
حنيف السواد * كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فامضاه -
وعمل في نواحي الشام على غير هذا * (١) وهذا ما حدى باختلاف السواه
عن أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وأن جميع ما جاء عنه في هذا
الاختلاف صحيحا ، وان مرد هذا الاختلاف هو كما ذكرنا اختلاف النواحي
والعداله تقتضي ان تتباين مقادير الخراج . ولما أراد رضي الله تعالى
عنه مسح السواد بعث * عمار بن ياسر على الصلاة ، وبعث عبد الله
بن سمود ، على القضاة وبيت المال ، وبعث عثمان بن حنيف على مساحة
الارض ، وجعل بينهم شاة كل يوم - شعراها ووطنها لعمار بن ياسر ،
وربعها لعبد الله بن سمود ، والربع الاخر لعثمان ابن حنيف . ثم
قال والله ما آرى ارضا يؤخذ منها شاه في كل يوم الا استسرع خرابها * (٢)
وهذا يبين حرص أمير المؤمنين على اموال المسلمين حيث استكثر شاة ،

- (١) المصدر السابق / الأحكام السلطانية ص ١٤٨
(٢) ابو يوسف / الخراج ص ٣٩ ، ابو عبيد / الأموال ص ٨٦ ٨٧

واعتبر ذلك اسرافا يقضي الي الخراب وكان وضع ابن حنيف للخراج حينما سمع من أمير المؤمنين ، رضى الله تعالى عنه قال * والله لئن وضعت علي كل جريب * من الارض درهما وقفيزا × من طعام لا يشق ذلك عليهم ولا يجهدهم * (١) فبعد ان مسح عثمان السواد وجده * ستة وثلاثين الف الف جريب فوضع علي كل جريب درهما وقفيزا * (٢) واضاف ابو يوسف ان الخراج ضرب * علي كل ارض ييلفها الماء عمت ، اولم تعمل درهما مختوما * (قال عامر : هو الحجاجي وهو الصاع * (٣) ، وفي رواية ابن عمر رضى الله تعالى عنه وضع * علي ارض السواد الخراج علي

-
- * الجريب : وهو الوادى ، واستعمل للقطعه المتميزه من الارض ويختلف مقداره باختلاف الاقاليم (ابو يوسف الخراج ص ٩٢)
والجريب : هو اشل فى اشل ومحناء ستون ذراعا طولا فى مثلها عرضا يكون تكسيروها ثلاثة الف وست مائه ذراع مكسرة ومحنى الذراع مكسرة ان يكون مقدار طولها : ذراعا ، وعرضها ذراعا (انظر الخوارزمي مفاتيح العلوم ص ص ٤٤ ، ٤٥)
× القفيز : عشر الجريب وهو ثلاث مائه وستون ذراعا مكسرة (انظر الخوارزمي / مفاتيح ص ٤٤)
(١) ابن رجب / الاستخراج ص ٦٢
(٢) المصدر السابق / الاستخراج ص ٦٢
* المختوم : سد من القفيز المعدل (انظر الخوارزمي / مفاتيح ص ٤٤)
(٣) ابو يوسف / الخراج ص ٤٠

كل جريب درهم وقفيز من الحنطة والشعير وما سوى ذلك من القضب والزيتون والنخل ، أشياء موظفه يومئذونها " (١) وقد ارتأيت وضع جدول يبين اختلاف الرواة في ضرب مقدار الخراج على الارض ، لغرى ان هناك اختلافا بالنسبة للمحصول الواحد وقبل ان ندخل في تفاصيل الجدول لابد ان نذكر ان خراج مصر وضع على أساس معين حيث " جعل على كل جريب دينارا وثلاثة ارادب طعاما وطي رأس كل حالم ، دينارين وكتب بذلك الى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه " (٢)

فهذا الجدول يبين مدى اختلاف الرواة في مقدار ضرب الخراج

-
- (١) ابن رجب / الاستخراج ص ٦٤
(٢) البلازى / فتوح البلدان ق ١ ص ٢٥٢

نصوص الرواة	حرب القصب	حرب الشعر	حرب الشعر	حرب البر	حرب الكرم	حرب المنطة	حرب النخل	حرب العنب	حرب القصب	حرب البر	حرب العام	الد قلشن	الفا رسيه	حرب البيقون
١٠- حدثني السري بن اساعيل بن عامر الشعبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسح السواد فباع بثلثه ولائعن الك الف حرب وانه وضع على حرب.	٥ دراهم				١٠ دراهم									
١١- قال الا مابعد في رواية شتي وكيفية عرض الله عنه في ارض السواد في	٦ دراهم		درهمين		١٠ دراهم							درهم	درهم	
١٢- استعمل عمر عثمان ابن حنظلة (السواد) وامر بالساحه ويضع ياحمله الارض من خراجها وقسح ووضع على كل حرب	٥ دراهم	١٠ دراهم	درهمين	٤ دراهم	١٠ دراهم	٤ دراهم	٨ دراهم		٦ دراهم					
١٣- وفي رواية الا شرم ومحمود بن داود في الخراج نسي كل حرب	٥ دراهم		قنبر درهم		قنبر درهم									
١٤- ونقل صالح ايضا عن ابيه قال لكل حرب	٦ دراهم		درهمين	١٠ دراهم	قنبر درهم	٨ دراهم								١٢ درهم
١٥- وقال الشعبي وضع على حرب	٦ دراهم		درهمان	٤ دراهم	٨ دراهم	٨ دراهم								
١٦- وقد قيل الخراج على	٥ دراهم		درهمان		٤ دراهم	٨ دراهم								
١٧- وقالت الحنفية في ارض	٦ دراهم		درهمان		٤ دراهم	٨ دراهم								
١٨- قال الشافعي في حرب	٦ دراهم		قنبر درهم		قنبر درهم	٨ دراهم								
١٩- قال ابو الحسن الا مدى الصمغ من النذهب ان	٦ دراهم		قنبر درهم		قنبر درهم	٨ دراهم								
٢٠- اما اصحاب الشافعي فذهب من وافقه ومنهم من قال في حرب	٦ دراهم		قنبر درهم		قنبر درهم	٨ دراهم								

طرد : يعني ظلمه وضل قتاده يده على كل نوع من انواع الشار والحبوب ، انظر : أبو مهدي / الأبطال - ص ٨٨ .

(١) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٢) أبو مهدي / الأبطال ، ص ٨٨ .

(٣) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٤) أبو مهدي / الأبطال ، ص ٨٨ .

(٥) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٦) أبو مهدي / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٧) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٨) أبو مهدي / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(٩) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(١٠) أبو مهدي / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(١١) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(١٢) المأثور / الأحكام السلطانية ، ص ٤٨ .

(١٣) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٢ .

(١٤) ابن رجب / المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(١٦) ابن رجب / الاستخراج ، ص ٦٥ .

(١٧) ابن رجب / المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

فلو استعرضنا الجدول السابق واخذنا الاصناف على انفراد لرأينا
اختلاف الرواة فيه . ففي حقل جريب الرطبة (القضب) نجد ان رقم
٣/٥/٩/١١/١٥/١٦/١٨/١٩ اتضح أن الرواة فيه يجمعون على
أن ضرب عليه ستة دراهم ، بينما نجد أن روايات (١٠/١٢/١٤/١٧)
ان الرواة فيه يجمعون على ان ضرب عليه خمسة دراهم ، في حين ان -
الروايتين المرقمة (١/٢) تضيف الى الخمسة دراهم خمسة اقفزه ، أما فسي
حقل جريب الشجر نجد أن الروايتين المرقمة (١/٢) ضرب عليه عشرة دراهم
وعشرة اقفزه ، بينما نجد أن الرواية في الرقم (١٢) تكفي بالمشرة دراهم
فقط ، في حين ان الرواية رقم (١٩) تغيد بان ضرب عليه ستة دراهم
فقط ،

أما في حقل جريب الشمير نجد أن الروايات المرقمة برقم (٣/٤/
٥/٦/٩/١١/١٢/١٥/١٦/١٨) تجمع على انه ضرب عليه درهماً
فقط في حين ان الروايتين المرقمة برقم (١٣/١٩) تغيد بأن ضرب عليه
قفيزاً ودرهماً فقط ، اما في حقل جريب البر نجد ان الروايات المرقمة
ب (٥/٩/١٢/١٦) يجمعون انه ضرب عليه أربعة دراهم في حين نجد
ان الرواية رقم (١٣) تغيد انه ضرب عليه قفيزاً ودرهماً فقط . وفي حقل جريب
الكرم نجد ان اغلب الروايات المرقمة ب (٣/٤/٥/٩/١١/١٢/١٤/
١٥/١٦) وكلها تجمع على انه ضرب عليه عشرة دراهم فقط ، في حين ان
الرواية المرقمة ب (٢) تضيف الى العشرة دراهم عشرة اقفزه ، بينما نجد
ان الرواية رقم (٢٠) تغيد انه ضرب عليه ثمانية دراهم . وفي حقل جريب
الحنطة . فنجد ان اغلب الروايات المرقمة ب (٣/٤/٦/١١/١٥/١٨)

فهى تجمع على انه ضرب عليه اربعة دراهم ، فى حين أن الروايتين المرقميه برقم (١٩/١٤) تفيد أنه ضرب عليه قفيزا ودرهما فقط ، وفى حقل جريب النخل نجد أن بعض الروايات المرقمه ب (٢٠/١٩/٨/٢) تجمع على انه ضرب عليه عشرة دراهم ، فى حين أن بعض الروايات فى رقم (٦/٤/٣/٩/١١/١٢/١٥/١٦) تجمع على انه ضرب عليه ثمانية دراهم ، بينما نجد أن الرواية المرقمه ب (٥) انه ضرب عليه خمسة دراهم فقط ، وهناك من استبعد النخل ولم يضرب عليه الخراج ، وهذا ما رواه حديث عثمان بن حنيف حينما بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال * فكان لا يمسد النخل * (١) وفى جريب حقل جريب العنب ، فالروايات التى ذكرتته هى الروايتين برقم (٨/٢) أنه ضرب عليه ثمانية دراهم فى حين ذكره الروايه رقم (٦) انه ضرب عليه عشرة دراهم . وفى حقل جريب القصب فقد أجمعت الروايات التى ذكرته رقم (٤/٦/١٢) تفيد أنه ضرب عليه ستة دراهم فقط . وفى حقل جريب الزرع فقد اجمعت الروايات برقم (١٩/١٧/١٠) تفيد انه ضرب عليه قفيز ودرهما . وفى حقل جريب الحامو فهو ايضا أجمعت عليه الروايتين المرقمه ب (٢/١) على انه ضرب عليه درهما وقفيزا . وفى حقل الدقلتين والقادسيه فقد ذكرت الروايه رقم (١١) انه ضرب على كل واحد منهما فقط . وفى حقل جريب الزيتون فقد اجمعت الروايات التى ذكرته فى رقم (٣/٤/١٥) تفيد على أنه ضرب عليه اثني عشر درهم ، وهنا نلاحظ ان الفرق فى الخراج المضروب على الأصناف لم تكن

كبيرة ، بل نجدها متقاربة جدا ، فبعضها كان لا يتعدى الفرق عن واحد ،
ففي الرطب نجده تحصر بين (٥ - ٦ دراهم) وفي بعض الاجريه يكسـون
الفرق اثنين مثل (الكروم ، والنخل ، والعنب) فنجد الفرق ينحصر بين
(٨ - ١٠ دراهم) والبعض يكون الفرق ثلاثة دراهم فوجد ذلك فسي
النخل فهو محصور بين (٨ - ٥ دراهم) .

ونجد أيضا ان بعض الاجريه ثابتة لم نجد فيه اى زيادة ونقص
مثل (الزيتون ، والعامر ، والزرع ، والقصب) .

وهنا نبين ايضا ان ماجاء عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ، من اختلاف الرواه والروايات صحيحا ، وانما هذا
الاختلاف كما ذكرنا بسبب اختلاف النواحي كما ذكرها الطوردي .^(١)

أما بالنسبة للمحاصيل التي لم تفرض عليها الخراج ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " في العسل العشر " (١) وايضا ذكر محمداً انه لم يأخذ من العسل شيئاً " (٢) وايضا ذكر يحيى بن آدم عن المسئل فقال " فاما اذا كان في ارض الخراج فليس فيه اختلاف تعلمه انه ليس فيه شيء " (٣) وذكر ايضا ابو يوسف انه " في العسل العشر اذا كان في ارض العشر ، واذا كان في ارض الخراج فليس فيه شيء " واذا كان في المفاوز والجبال على الاشجار وفي الكهوف فلا شيء فيه وهو بمنزلة الثمار يكون في الجبال والادوية لاخراج عليها ولاعشر " (٤) وحتى اذا كانت في زراعة الانسان وليس نباتا طبيعيا فهي على ما اعتقد ليس فيه خراج ونستخلص ذلك من نص يحيى بن آدم ، وذكر ايضا البلازى أن " اذا كان في ارض الخراج او العشر ففي كل عشرة ارطال رطل " (٥)

وأما بالنسبة لمحاصيل اللوز والجوز والبندق والفسق واشبهها

-
- (١) ابو يوسف / الخراج ص ٧٧
(٢) يحيى بن آدم / الخراج ص ٣١
(٣) المصدر السابق / الخراج ص ٣١
(٤) ابو يوسف / الخراج ص ٦٠
(٥) البلازى / فتوح البلدان ق ١ ص ٦٨

فذكر ابو يوسف * ففيه العشر اذا كان في ارض العشر والخراج اذا كان
في ارض الخراج لانه يكال * (١) وينطبق الحال على قصب السكر ففيه الخراج
اذا كان في * الخراج لانه ثمر يوءكل * (٢) وذكر ابو يوسف انه * ليس
في القصب ولا في الحطب ولا في الحشيش ولا في التبر ولا في السعف عشر
ولا خمس ولا خراج * (٣) فأما قصب الذريره * ففيه الخراج اذا كان في
أرض الخراج ، وان لم يوءكل غله ثمن ومنفعه . (٤)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في النفط والغير والزئبق والمومياء
انه ليس فيه شي * ، وقال فيهم * اذا كان لشي من ذلك عين في الارض شي *
فعله واذا كان في ارض عشر او ارض خراج * (٥) وفي الركاز قال الرسول
صلى الله عليه وسلم * في المحدث جبار وفي الركاز * الخمس * (٦)

- (١) ابو يوسف / الخراج ص ٧٧
(٢) المصدر السابق / الخراج ص ٧٧
(٣) المصدر السابق / الخراج ص ٦١
* الذريره ويقال * الذرور * فتات قصب الطيب وهو يوءتي به من الهند
كقصب النشاب (ابو يوسف / الخراج ص ٦١)
(٤) ابو يوسف / الخراج ص ٦١
(٥) ابو يوسف / الخراج ص ٦١ ، يحيى بن آدم / الخراج ص ٣١
× الركاز فيه الزكاة من المال كمثل درهم او عشرين دينارا .
الركاز دفن الجاهلية كانا ركز في الارض ركزا (الخوارزمي / مفاتيح
العلوم ص ١٠)
(٦) صحيح البخاري بالسندی ج ١ ص ١٨٩

وقد استصفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعض الاراضي وجعلها فيثا للمسلمين ، واستخلصها لبيت المسلمين وهذه من ارض السواد ، وهذه الصواني* كما ذكرت هي " اصفى كل أرض كانت لكسرى أولا هله او لرجل قتل في الحرب اولحق بارض الحرب او مفيض ماء أو ديو × برید ١٠ قال ونسيت أربع خصال كانت للاكسرة (١) وايضا عدد أبو عبيد نفس الاصداف (٢) اما البلازى ذكر " فحفظت سبعا وذهب عنى ثلاث : اصفى الاجام = ومفايض الماء وارض كسرى وكل ديو يزيد ، وأرض من قتل في المحركة ، وارض من هرب " (٣) .

فهنا يضيف البلازى صنف جديد وهو " الاجام " ونجد ايضا أن البلازى بذكر احد الأصناف كما فى النص " كل ديو يزيد ، بينما النصوص السابقة تذكر أنه (ديو برید) ولم يذكر أرض أهل بيت اكسرى مع انه وضعها فى العدد وقد ذكر يحيى بن آدم قبل ذلك الاجام وأضاف اليها من كان كسرى اصفى أرضه فقال " وغصلتين ذكرهما لم احفظهما وفى حديث قيس : والاجام ، ومن كان كسر اصفى أرضه " (٤)

- (١) أبو يوسف الخراج / ص ٦٢
 (٢) أبو عبيد / الأموال ص ٣٦١
 * الصواني : الأرض والاملاك التى جلا عنها أهلها (انظر الطبرى / تاريخ لايدن ٢٣٧١ ج ٧ ص ٥٨٦
 × ديو : خان النصارى ج اديار وصاحبه ديار (طاهر احمد الزواوى / ترتيب القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٢٣)
 = الاجام : جمع اجمه الحركة الشجر الكثير الملتف (الفيروز ابادى / القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٤
 (٣) البلازى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٣٤
 (٤) يحيى بن آدم / الخراج ص ٦١

والحمار الذى لم يتمين ملكوه فالامام مخير بين ان يستصفيه لبیت المال ،
وقال * (الحمار) وان لم يتمين ملكوه فان كان الامام قد اصطفاه لبیست
المال من فتوح البلاد * (١) ويذكر الطبرى ان * القادسية من الصوافي
لانه لمن افا الله عليه * (٢)

اما الحكم فى ارض الصوافي فذكر يحيى بن آدم * فذلك للمسلمين
وهو الامام ، وان شاء اقام فيها من يصرها ويؤدى الى بيت مال المسلمين
عنها شيئا ويكون الفضل له ، وان شاء انفق عليها من بيت مال المسلمين
واستاجر من يقوم بها ويكون فضلها للمسلمين ، وان شاء اقطعها رجلا
من له غناء عن المسلمين * (٣)

وغلة خراج الصوافي فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه اختطف فيها فضعهم من قال انه سبعة الاف الف (٧٠ . ٠٠٠ . ٠٠٠) ،
ومنهم من قال اربعة الاف الف (٤٠ . ٠٠٠ . ٠٠٠) ، ومنهم من قال
انها تسعة الاف الف (٩ . ٠٠٠ . ٠٠٠) فالذين ذكروا أن خراج الصوافي
بلغ (سبعة ملايين) وكان خراج ما استصفاه عمر رضى الله عنه سبعة
الاف ألف فلما كانت الجماجم * احرق الناس الديوان فذهب ذلك الاصل
ودرس ولم يصرف * (٤) ومن قال ان غلة خراج الصوافي انها بلغت

-
- (١) القلقشندى / صبح الاعشى ج ١٣ ص ١١٤ ، المأوردى / الاحكام
السلطانية ص ١٩٢
(٢) الطبرى / تاريخ لايدن ص ٤٧١ ج ٤ ص ٣٣
(٣) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٣
(٤) ابو يوسف / الخراج ص ٦٣ ، يحيى بن آدم / الخراج ص ٦٠
* الجماجم : وقعه دير الجماجم بين الحجاج وعبد الرحمن بن
الاشعث كسر فيها ابن الاشعث وقتل الفراء (انظر ابو يوسف /
الخراج ص ٦٣)

(أربعة ملايين) فقال ابو يوسف * بلغت الصوافي على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أربعة الاف الف ، وهى التى يقال لها الصوافي الاثمار * (١) ومثل هذا ذكر يحيى بن آدم فقال * بلغت غلة الصوافي على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة الاف الف ، وهى التى يقال لها صوافي الاسطان * (٢) والذين قالوا ان خراج الصوافي بلغ (تسمة ملايين) فذكر الطوردي * فكان فبلغ غلتها تسعة الف الف درهم * (٣)

ولما كان الحديث عن مقدار * الجباية فلا بد أن نتعرض للسي الجبايات التى كانت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال ابو عبيد * ان عمر بعث عثمان بن حنيف ، فمسح السواد ، فوجد ستة وثلاثين الف الف جريب ، فوضع على كل جريب درهما وقفيزا * (٤) فبلغ خراج السواد كما ذكر اليعقوبى * فحمل من خراج السواد فى اول سده ، ثمانون الف الف درهم ، وحمل من قابل عشرون ومائة الف درهم * (٥)

(٨٠٠٠٠٠) و (١٠٠٠٠٠٠) وذكر ابن رسته ان عمر بن الخطاب

-
- (١) ابو يوسف / الخراج ص ٦٢
 (٢) يحيى بن آدم / الخراج ص ٦٠ ، ٦١
 (٣) الطوردي / الاحكام ص ١٩٣
 (٤) ابو عبيد / الاموال ص ٨٨ ، البلازى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠
 (٥) اليعقوبى / تاريخ م ٢ ص ١٥٢

رضي الله تعالى عنه قد جبي السواد من الورق فبلغ * مائه ألف ألف وثمانية وعشرين ألف درهم * (١)

وذكر البلازري أن عثمان بن ضيف جبي النواح في ولايته (شسط الفرات) فكان كما قال * وبلغ الخراج في ولايته مئة ألف ألف درهم (٢)
(١٠) وخراج كسكر * في السواد حين استعمل عمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه النعمان بن مقرن بلغ (اثنى عشر ألف ألف مثقال ^x ، كأصفهان * (٣) وخراج حمص قال اليعقوبي * صالح أهل حمص على جميع بلادهم على أن عليهم خراجا مائه وسبعين ألف دينار * (٤) ، وعمل عمرو بن العاص بقتصرين ، وأهل حلب ، ومنبح ، ووضع عليهم الخراج على نحو ما فعل أو عبده الجراح بحمص . (٥)

-
- (١) ابن رسته / الاعلاق النفسية ، المقدسي / احسن التقاسيم ص ٢٣٣
(٢) البلازري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٣٢
* كسكر : كسكر : كورة قصبتها واسط (الرحبي) / الرتاج ج ١ ص ٢٤٦
x مثقال : زنة درهم وثلاثة اسباع درهم (الخوارزمي / مفاتيح
ص ١١ ، ١٢) .
(٣) الرحبي / الرتاج ج ١ ص ٢٤٦
(٤) اليعقوبي / تاريخ م ٢ ص ١٤١
(٥) المصدر السابق / تاريخ م ٢ ص ١٤٢

وفي مصر كانت هناك طريقتان للجباية ويكاد ينعدم التمييز بين
الجزية والخراج . فهناك طريقة ثابتة ، وطريقة متغيرة حسب الظروف
والاحوال (حسب ظروف الدولة وظروف أهل الخراج ، فقد جبي مصر
عمرو بن العاص فبلغ " اثني عشر الف الف " (١) (١٢ ٠٠٠ ٠٠٠) وذكر
المعقوبي ان مصر جبت في عهد عبد الله بن ابي سرح " اثني عشر الف الف
دينار " (٢) ويضيف المعقوبي ايضا ان عمرو بن العاص حينما فتح
الاسكندرية وسائر اقطار مصر اجتبأها " وخراج غلاتهم من كل مائة
اردب اردبين " (٣)

.. ..

-
- (١) المقرئ / اغاثه الامه ص ٦٤
(٢) المعقوبي / تاريخ م ٢ ص ١٦٤
(٣) الصدر السابق / تاريخ م ٢ ص ١٥٤

سياسة عثمان الادارية مع عماله :

ولما آلت الامور بعد الى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . ففقه سار على السياسة التي اتبناها من كان قبله ، او لم يغيرها ، وانما سار على منوالها ، وتتضح سياسة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في الخراج في أول كتاب كتبه الى عمال الخراج قال فيه : " أما بعد ، فان الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل الا الحق ، خذوا الحق واعطوا الحق به ، والامانه الامانه ، قوموا عليها ، ولا تكونوا اول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ، والوفاء لا تغفلوا اليتم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم " (١) . ونظروا لتمتد الدولة وتطورها جمل الخليفة يمين واليا ثم يمين عاملا للخراج وكان طبيعيا ان تكون هناك حساسية بين والي والعامل ، وكل واحد منهما يحاول ان يظهر اخطا صاحبه ، وقد كانت هذه الحساسية بين عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد من اجل السلطة على الخراج ، وهذا عندنا استعمل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على خراج مصر فذكر الطبري : " نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج " (٢) ، فجري بين عمرو وعبد الله كلام

(١) الطبري / تاريخ لا يدن ٢٨٠٣/١ ج ٤ ص ٢٤٠

(٢) الطبري / تاريخ لا يدن ٢٨١٩/١ ج ٤ ص ٢٥٦

فتباغيا . فكتب عبدالله الى عثمان يقول : " ان عمرا كسر الخراج " (١)
ثم كتب عمرو الى عثمان يشكو عبدالله فقال " ان عبدالله كسر علي حيلة
الحرب " (٢) ومن هذا يتضح ان العامل يريد ان يوفر الخراج ، والوالي
تهمة الولاية ولا بد من الصرف عليها من الخراج ، ولكن أمير المؤمنين عثمان
رضي الله تعالى عنه استطاع ان يحسم هذا الصراع والحساسية بين عمرو
بن العاص وعبدالله بن سعد بان عزل الاول وجمع العطيعين (الخراج والجنم)
للثاني ، فذكر الطبري " كتاب عثمان الى عمرو " انصرف وولى عبدالله
بن سعيد الخراج والجنم " (٣) ثم كتب الى عبدالله بن سعد يعلمه
" ان الاسكندرية فتحت مرة عنوة وانتفضت مرتين وبأمره ان يلزمها رابططة
لا تفارقها وان بدر عليهم الارزاق ويحقب بينهم في كل ستة أشهر " (٤)

-
- x المنكسر : ما لا يطمع في استخراجه لغيبه اهله او موتهم او نحو ذلك
(الخوارزمي / مفااتيح ص ٤٠)
(١) الطبري / تاريخ لا يدن ٢٨١٩/١ ج ٤ ص ٢٥٦
(٢) المصدر السابق / تاريخ لا يديه ٢٨١٩/١ ج ٤ ص ٢٥٦ ،
المجلان / عبقرية الاسلام ص ٢٨٣
(٣) الطبري / تاريخ لا يدن ٢٨١٩/١ ج ٤ ص ٢٥٦
(٤) البلازري / فتوح البلدان ق ١ ص ٢٦٢

سياسة علي الادارية على عماله :

ثم بعد ذلك الت الامر الى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه فلم يغير شيئا مما كان عليه في عهد عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ، فذكر يحيى بن آدم ولا نعلم عليا خائف عمر ، ولا غير شيئا مما
صنع حين قدم الكوفة * (١) وكذلك قول علي كرم الله وجهه لأهل نجران
حينما أتى أسقف نجران يطلب منه ان يردهم الى بلادهم
بعد ان اجلاهم عمر رضي الله عنه فقال علي كرم الله وجهه " ويحك ان عمر
كان رشيد الامر " (٢) وأضاف يحيى بن آدم على هذا الحديث ان عليا
كرم الله وجهه قال أيضا " ولن أغير شيئا صنعه عمر رضي الله عنه عنه " (٣)
وكان دأب جميع الخلفاء الراشدين انهم يخضبون للحق اشد الغضب وكانوا
دائما يوصون عمالهم والولاة بتقوى الله والطاعة في السر والعلانية
والخوف من الله في الغيب والمشهد ، فذا كتاب أمير المؤمنين علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه الى محمد بن ابي بكر حين ولاء مصر ، فحمد
أن امره بتقوى الله ، والعدل قال " وامره ان يحيى خراج الأرض علي
ما كانت تجبي عليه من قبل ، ولا يستنقص منه ولا يبتدع فيه ، ثم يقسم بين
أهله علي ما كانوا يقسمون عليه من قبل ، وأن يلين لهم جناحه " (٤) وكسان
من شدة حرصه كرم الله وجهه على حسين سيرة عماله ، فكان يرسل من
يستقصي اخبارهم من رعاياهم والطريقة التي يتبعوها ، فذكر ابو يوسف كتاب

(١) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٣

(٢) ابو يوسف / الخراج ص ٨٠

(٣) يحيى بن آدم / الخراج ص ٢٣

(٤) الطبري / تاريخ الرسل والملوك لا يديه ٣٢٤٧/١ ج ٤ ص ٥٥٦

على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى عامله على الكوفة كعب بن مالك قال
أما بعد ما ستخلف على عملك وأخرج فى طائفة من أصحابك حتى تمر
بأرض السواد كورة كورة^١ فتسألهم عن عاملهم وتنتظر سيرتهم حتى تمر بمن
كان منهم فيما بين دجلة والفرات ثم أرجع الى البهقيانات^٢ فقول معونتها
واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها . وأعلم أن الدنيا فانية ، وأن الآخرة آتية^(١)
ثم نذكر قصة أمير المؤمنين على كرم الله وجهه مع ابن عمه عبد الله بن العباس
رضى الله عنهما حينما استعمله على البصرة ، فذكر الرحبي أن ابن العباس
" استحل الفى " بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٢) ، وذلك

× كوره : بالضم ثم السكون ثم را^١ ، والكور : كور الحداد ، وقيل هو
الزق وكور الرجل ، والكور هنا الزنابية ، وكوير وكور : جهلان معروفان
وقيل ثنيه الكور فى أرض اليمن كانت بها وقعة لها ذكر فى أيام العرب
وأشعارهم . أنظر :

ياقوت الحموى / معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٨٦ .

* البهقيانات : جمع بهقيان - بكسر الباء الموحدة وسكون الباء - وضم
القاف ثم با^٢ موحده فألف فذال - معجمه اسم الثلاث مواضع مـ
نواحي بغداد ، بهقيان الا على كورة سقيها من الفرات وهو ست طاسيج
والثانى : بهقيان الأوسط كورة أربعة طاسيج ، أحدها نهر الطاسيك
والثالث : بهقيان الأسفل ، وهو خمسة طاسيج منها الكوفة وغيرها .
أنظر :

الرحبي / الرتاج ، ج ٢ ص ٧٧ ، ٧٨ .

الطسوج : الناحية مركب من تا اى الى ومن سواى جانب (ادى شير/
الألفاظ الفارسية المصرية ص ١١٢) .

الطسوج : قلت ثمن مثقال . أنظر : الخوارزمي / مفاتيح العلوم ص ٤١ .

(١) أبو يوسف : الخراج ، ص ١٢٨ .

(٢) الرحبي : الرتاج ، ج ٢ ص ٥٠ .

على قوله الله سبحانه وتعالى * واعلموا ان ما غنمتم من شي * فان لله خمسة
وللرسول ولذى القربى * (١) فعلم بذلك على كرم الله وجهه عن طريق ابي
الاسود الدؤلى الذى كتب له (٢) فكتب أمير المؤمنين الى ابن العباس
رضي الله عنهما فقال له * بلغنى انك اكلت ماتحت يديك فارفع اليّ
حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس والسلام * (٣) فكتب
اليه ابن عباس * اما بعد فان الذى بلغك الباطل وانما لما تحت يدي
ضابط فلا تصدق على تركك الضنين والسلام * (٤) فكتب اليه على * اما
بعد ، فانه لا يسمنى تركك حتى تعلمنى ما اخذت من أين أخذت
وما وضعت أين وضعت فأتق الله فما اثبتك عليه والسلام * (٥) فلما ايقن
ابن عباس ان علي لن يتركه ولم يترك الكتب اليه ، ترك البصرة ، واخذ
معه ما كان فى بيت مال البصرة و كان سته ألاف فجعله فى الفرائس
ونذهب الى الحجاز واستوطن مكة * (٦) ، فكتب اليه على رضي الله عنه

-
- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | سورة الانفال جزء ١٠ آيه ٤١ |
| (٢) | الرحبي / الرجاج ج ٢ ص ٥٠ |
| (٣) | الرحبي / الرجاج ج ٢ ص ٥٠ |
| (٤) | “ “ “ “ |
| (٥) | “ “ “ “ |
| (٦) | “ “ “ “ |

كتاباً آخر يأموه بارجاع المال الى محله ، فكتب ابن عباس قال " وصل الى كتابك ولعمري ان حقي في بيت مال الله اعظم ما اخذت والسسلام (١) ومن هذا الجواز الذي دار بين أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، ان هناك نقطتين يجب ان نشير اليهما احدهما موقف أمير المؤمنين على كرم الله وجهه من الحق علي اقرب الناس اليه ومع ابن عمه ، وان الحق يجب ان يكون فوق كل اعتبار والثانية : النظرة الى اجراءات عبدالله بن العباس رضي الله عنهما فيجب الا ننظر اليها انها ناتجة عن نقص منه فحاشا ان يكون صاحبها جليل دلاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفقيه بالدين ، واعتبر حبراه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقدمه على اكابر الصحابة رضي الله عنهم اجمعين - ان ننظر الى ذلك انه نقص منه ، وانما يعتبر مجتهدا كما ذكر الرحيبي حينما قال : " فانه كان من أكابر مجتهدي الصحابة رضي الله عنهم وما فعله انما كان عن اجتهاد ، لكنه كان مخطئاً في اجتهاده (٢) وحتى اذا اخطأ في اجتهاده فان كتب على كرم الله وجهه قد نهته الى الخطأ ، فلماذا لم يرجع ، ولكن الرواية يصحح تصديقها لانه نسجت حوله كثيراً من الروايات .

ومن شدة حرصه على الخراج ، فانه كان يدقق فيه ، وذلك حينما قدم البصرة وقد استتر عنه زياد بن أبيه ، فوجد ابن أخ زياد (عبد الرحمن بن أبا بكره) فسأله عن زياد فقال (على رضي الله عنه " يا اصليح ، أين عمك ؟ فقال : أدلك عليه على أن تؤمنه ، فادخله عليه في دار امه

فقال له علي اين ماعنك من المال ؟ فقال : عندي على ماله ، فقال له
ملك فليوتمن . ثم اقبل على علي ، فقال لاصحابه : اناكم ابــــن
بجدتها فلما سار عن البصرة استعمله على الخراج والديوان ، وقال له :
احفظ ما أستكفيتك " (١) وكان رضى الله عنه لا يولي شخص الا بمــــسند
الاستشارة فذكر الطبرى ان " عليا استشار الناس فى رجل يوليه فارس حين
امتموا عن أداء الخراج ، فقال له جاريه بن قدامه : الا أهلك يا أمير
المؤمنين على رجل صلب الرأى عالم بالسياسة كافى ما ولى ؟ قال : من
هو قال : زياد ، قال : هولها فولاه فارس وكرمان ، ووجهه فى اربعة
آلاف فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا " (٢) ثم أورد الطبرى نصا آخر
يختلف عن النص السابق فقال : " لما انتفض أهل الجبال وطمع أهل
الخراج فى كسسه ، واخرجوا سهل بن جنيف بن فارس - وكان عاملا
عليها لملي - قال بن عباس لملي : اكفيك فارس ، فقدم ابن عباس
البصرة ووجهه زيادا الى فارس فى جمع كبير ، فوطى بهم أهل فارس
فادوا الخراج " (٣) وكان من سياسة على كرم الله وجهه حينما يريد
أن يستعمل شخصا على ناحية ، وكان فى جمع من الناس من اصحاب
الارض فقال فى ذلك ابو يوسف " قال رجل من ثقيف : استعطني علي
بن ابي طالب رضى الله عنه على عكبرا فقال لى : واهل الارض محــــى

- | | |
|-----|---|
| (١) | الجيشهاري / الوزرا ص ٢٣ |
| (٢) | الطبرى / تاريخ الرسل والملوك لايدن ٣٤٤٩/١ ج ٥ ص ١٣٧ |
| (٣) | “ “ “ “ “ “ “ “ |

يسمعون . انظر ان تستوفى ما عليهم من الخراج واياك ان توخص لهم
فى شي* ، نواياك ان يروى منك ضعفا ثم قال : رح الي عند الظهر* (١)
واضاف انه قال * القنى عند انتصاب النهار* (٢) فقيه الشدة وعدم
التهاون ، وقد قصد هذا الاسلوب امام اصحاب الارغى ، ولكن فسي
حقيقة الامران سياسة على رضى الله تعالى عنه فهى على العكس من
ذلك تماما فنجدد حينما طلب اليه ان يلقاه عند انتصاب النهار قال له
* انما اوصيتك بالذى اوصيتك به قدام اهل علك لانهم قوم خدع ، انظر
اذا قدمت عليهم فلا تبين لهم كموة شتا* ولا صيفا ولا رزقا يا كلونسه ،
ولا دابة يعطون عليها ، ولا تضرب احد منهم سوطا واحدا فى درهم
ولا تقم على رجله فى طلب درهم ولا تبع لاحد منهم عرضا فى شي* من الخراج
فانما امرنا ان نأخذ منهم المفقون انت خالفت ما امرتك به يأخذك الله
به دونى وان بلغنى خلاف ذلك عزلتك . قال : قلت اذن أرجع اليك
كما خرجت من عندك قال : وان رجعت كما خرجت قال : فاطلقت فمطت
بالذى أمرنى به ، فرجعت ولم انتقص من الخراج شيئا* (٣) وموقف أمير
المؤمنين من اثر الفوضى الادارية فى كسر الخراج ، وخاصة فى المشقوق
الاسلامي ، وحينما قتل ابن الحضرمي* اختلف الناس على علي ، طمع
أهل فارس وأهل كرمان فى كسر الخراج فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم
واخرجوا فقالهم* (٤) وايضا ذكر الطبرى فى سننه حينما نزل خرمست
بن راشد جانبا من الاهواز* واجتمع اليه علوج من اهلها كثيرا أرادوا -

(١) ابو يوسف/ الخراج ص ١٦

(٢) ابو عبيد / الاموال ص ٥٥

(٣) ابو يوسف/ الخراج ص ١٦ ، ١٧

(٤) الطبرى / تاريخ ، لايدن ٣٤٤٩/١ ج ٥ ص ١٣٧

كسر الخراج ، ولصوص كثيرة ، وطائفة اخرى من العرب ترى رأيه " (١)
 فلم يترك الامور تمر هكذا بل كما عرفنا سابقا انه اختار لهم " زياد بن ابيسه
 مع جمع كثير ، فوطي بهم اهل فارس ، فادوا الخراج " (٢) وكذلك حينما
 كسر الخراج في الري ودستى يزيد بن حنبل بن عامر بن عموم الله بن ثعلبه
 بن عكابه فما كان من أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الا ان حبسه (٣)
 وقد يكون السبب في هذه الصعوبات لجمع الخراج ، انهم استغلوا البعد
 عن السلطة المركزية فتعودوا على الخليفة . وقد عرفنا موقف على بن ابي طالب
 كرم الله وجهه من تقسيم الارض المفتوحة عنوة ، وخاصة السواد ، وذلك
 حينما اشار على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بان تبقى مساحة
 للمسلمين ، وحينما طلب اهل السواد من على كرم الله وجهه ان يقسم
 بينهم رفض ذلك وخشي وقوع الفتنة بينهم بسبب التنافس على الدنيا وكثرتها
 فقال ابيو يوسف " وبلغنا عن على بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال
 لولا ان يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم " (٤) ثم شكوا
 اهل السواد اليه ، فبعث مائة فارس فيهم ثعلبه بن يزيد الجمانسي ،
 فلما رجع ثعلبه قال : لله على ان لا ارجع الى السواد ابدا لما رأى فيه
 من الشر " (٥) وقد بين الرحبي معنى ذلك فقال : " يحنى خيانه

(١) الطهوى / تاريخ ، لا يمدن ٣٤٢٩/١ ج ٥ ص ١٢٢

(٢) " " " " " "

(٣) البلازى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٩١

(٤) ابو يوسف / الخراج ص ٣٩

(٥) " " " "

الرعية ومقابلة الممال لهم على ذلك ، بظاهر الظلم ، وان كان فسي
الحقيقة ليس كذلك لان الشريعة المطهرة جاءت بالحكم بالظاهر ، والله
يتولى السرائر * (١) اما مقدار الخراج الذى ضرب على رضى الله تعالى
عنه كما ذكر الوليد بن صالح قال * بعثنى على بن ابي طالب رضى
الله عنه ماسقى الفرات وامرنى على ان اضع على كل جريب زرع من البر غليظ
درهما ونصفا وصاعا من طعام وعلى كل جريب زرع من البر وسط الزرع درهما
وعلى كل جريب زرع من البر رقيق الزرع ثلثي درهم ومن الشحير نحو ذلك
وامرنى ان اضع على البساتين التى تجمع النخل والشجر على كل جريب
عشرة دراهم وعلى كل جريب من الكرم اذا مضى عليه ثلاث سنين ، دخل
فى الرابعة عشرة دراهم وامرنى ان اضع على كل نخل شاة عن القرى بالكلية
من موبه وامرنى ان لا اضع على الخضروات شيئا على المقائى وعلى الحبوب
والسماسم والقطن . . * (٢) وعلى هذا الوجه وضع على كرم الله وجهه الخراج
على الارض . ومقدار ما ضربه على الارض الخراجيه ، وذلك ناتجا على ما
تحتله الأرض وواضع الخراج يراعى او يعتبر اصلح الامور من ثلاثة وجوه
كما ذكرها الطوردي احدها فان وضعه على مسائج الارض كان معتبرا
بالسنة والهلالية (القمرية) والثانى ، ان وضعه على مسائج الزرع ، فقد
قليل يكون معتبرا بالنسبة الشمسية ، والثالث : وان جعله ما قسمه كان
معتبرا بكمال الزرع وتصفيه . (٣)

فانما استقر على احدها مقدار بشروطه المعتبر فيه فيذكر الماورى

(١) الرحيق / الرناج / ج ١ ص ٢٧٧

(٢) ابن رجب / الاستخراج ص ٦٣ ، ٦٤ ، البلازى / فتوح البلدان

ق ٢ ص ٣٣٢ ، ٣٣

(٣) الماورى / الأحكام السلطانية ص ١٤٩

” صار ذلك مؤيدا لا يجوز ان يزداد فيه ولا ينقص منه ما كانت الارضون علي
على احوالها في سقيها ومسالحتها ، (١) اما اذا تغيرت شروبيها ومسالحتها
الى الزيادة او النقصان فذلك على ضربين .

احدهما : ان يكونوا السبب في الزيادة او في النقص مثل زيادة شق انهيار
او استنباط مياه ونقص بسبب تقصير في العمارة او العدول عن مصلحة
فالخراج هنا كما يذكر الماوردي (فيكون الخراج عليهم بحالة لا يزداد عليهم
فيه الزيادة عما رتبهم فيه ، ولا يتنقص منه لنقصانها ” (٢) والضرب الثاني
ان يكون حدوث ذلك عن غير ارادتهم وليس لهم يد فيه ، وسبب انفجار
شق وتعطيل نهر ، فان كان يمكن سده وعمله فعلمه يكون من بيت المال
من سهم المصالح ، اما الخراج هنا فهو كما ذكر الماوردي ” والخراج ساقط
عنهم ما لم يحمل ” (٣)

وبهذه الصورة الواضحة عن العصر الاسلامي ، والعصر الذهبي لهذه
الامة عصر العدل ، وصبر التقوى ، كان الخراج يستوفي في هذه المدة
من عمر الزمن من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استشهاد امير
المؤمنين على كرم الله وجهه اي ما قارب من اربعة وخمسين عاما .

.....

- (١) الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٥٠
(٢) المصدر السابق / الاحكام السلطانية ص ١٥٠

الفصل الثالث

الخارج خلال العصر الأموي

- ١- التطور الحاصل في النظرة إلى الأرض الخراجية عند الأمويين.
- ٢- التبدل الحاصل في نسبة الجباية ووسائل تحديدها.
- ٣- وسائل الجباية
 - أ- الوظيفة
 - ب- المقاسمة
 - ج- المساحة
 - د- المقاطعة

الفصل الثالث

الخراج في عصر الدولة الأموية

١ - التطور الحاصل في النظرة الى الأرض الخراجية :

بعد أن آلت الأمور الى الدولة الأموية التي حكمت ما يقارب نصف وتسمين عاما ، أى من عام (٤١ - ١٣٢ هـ) بعد استشهاد آخر الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وفي عصر هذه الدولة تغير مفهوم الحكم عندهم من الخلافة الدينية الى الملك السياسى ، وتمتاز هذه الدولة بالاعتماد على العرب ، أما بالنسبة للسياسة المالية لهذه الدولة ، فقد حصلت تطورات ، وأهمها الاتجاه نحو تكوين نظام ضريبي منسق في كافة الولايات ^(١) . وأيضاً أعيد فرض الخراج على بعض الأراضى الخراجية التي امتلكها عرب وصيرها عشرية مثل الصوافى التي نال أبناء البيت الأموي نصيب الأسد منها ، فأراد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، أعادت ملكية تلك الصوافى الى الدولة فوقف في وجهه بنو أمية فلم يفلحوا في ذلك ، فوجهوا له عنته (فاطمة بنت مروان) فقال لها : " ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لم يبعثه عذابا الى الناس كافة " ثم اختار له ما عنده . . . فترك لهم نهرا شربهم فيه سواء ، ثم ولى أبوبكر فترك النهر على حاله ، ثم ولى عمر فعمل على عمل صاحبه فلما ولى عثمان اشتق من ذلك النهر نهرا ، ثم ولى معاوية فشق منه الأنهار ، ثم لم يزل ذلك النهر يشق

منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه ، والوليد وسليمان ابنا عبد الملك حتى
أفضى الأمر الى وقد يمس النهر الأعظم ولن يرون أصحاب النهر يعود اليهم
النهر الأعظم الى ما كان عليه^(١) لأن الصوافي في بني أمية كانت تدفع
العشر فقط وحينما استرجع عمر بن عبد العزيز تلك الأراضي حفظ بذلك موردا
مهما كان ضائعا منها ، وهما بذلك حسب النظام العالي تدفع الخراج . ومن
شدة حرص الأمراء في الدولة على تحقيق العدالة في الخراج فانهم كانوا
" يجمعون بين الصلاة والخراج " ^(٢) وكذلك كان الولاة يخرجون بأنفسهم
لمسح البلاد عند اعادة النظر في تقدير الخراج ، وهذا ما حدث على عهد ولاية
الوليد بن رفاعه من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك * اذا خرج هذا الوالى
ومعه جماعة من الكتاب والأعوان لمسح البلاد حيث أقام في الصعيد ستة
أشهر بلغ في نهايتها أسوان ، كما أقام بالوجه البحرى ثلاثة أشهر^(٣) ، كما انه
يعتبر موردا ماليا مهما للدولة ، التى يمكنها به مواجهة المتطلبات التى
تحتاجها الدولة المترامية الأطراف ، والاخذة في الاتساع ، وهنا يتساءل المرء
هل أساء بنو أمية التصرف في الحصول على الأموال من هذا المورد الهام ؟ فقد
ذكر أبو يوسف في كلامه مع أمير المؤمنين (هارون بن الرشيد) حـــــــــــــــــث

(١) ابن الاية : الكامل ج ٥ ص ٦٤ .

(٢) العجلانم / عقريه في الاسلام ص ٢٨٢ .

(٣) ابن عبد الحكم / فتوح مصر ص ١٥٦ ، وأنظر أيضا :

العدوى / النظم ، ص ٢٧٤ .

بين الطرق التي كان أولئك العمال يجمعون الاموال بها فقال " بلنفسن
أنفسه قد يكون في المحاشية العامل والوالى جماعة : منهم من له بسه
حرقة ، ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بأبرار ولا صالحين ، ويستعين بهم
وبوجههم اعماله يقتضى بذلك النعمات فليس يحفظون ما يوكل بحفظه وينصفون
من يعاملونه ، انما مذهبهم اخذ شئ من التزاج ، كان او من اموال الرعية
ثم انهم يأخذون ذلك فيما ييلفن بالعسف والظلم والتعدي . . . وقيمون
اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويذلون عليهم الجرار
ويقيدونهم بما يمنعونهم من الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام
فهذا فيه اشارة من ابي يوسف عن طريق غير مباشر ، بأن هذا كان شأن
بنى امية وعمالهم وجبااتهم ، والذي يدل على ان يقصد بذلك بنى امية
فأنه في معرض حديث (لهارون الرشيد) ومن بين حديثه يقول له ابيـ
يوسف : " ولا يؤخذ اهل الخراج برزق عامل وأجر مدى ولا حتان ولا نزلـه
ولا حمولة طعام السلطان ولا يدعى عليهم بنقيصة فتؤخذ منهم ولا يؤخذ منهم
ثمن صف ولا قراطيس ولا اجور الفيوج ولا اجور الكياليين . . . (٢) وعند ما
تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة رضي الله عنه ، فقد بين الضرائب التي
نهى عنها وامر برفعها عن اهل الخراج فهي تقريبا مثل الضرائب التي
ذكر ابو يوسف لهارون الرشيد ، فهذا كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله
عن الى عامله في الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ، يبين فيه مدى جور
العمال فقال له " اما بعد ، فإن اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور
في احكام الله ، وسنه خبيثة استنبا عليهم عمال السوء ، وان قوام الدين

١- أبو يوسف الخراج ص ١١٦ - ١٠٨ .

٢- أبو يوسف الخراج ص ١١٨ .

العدل والاحسان . . . وأن لا تحمل خراباً على عامر ، ولا عامراً على خراب ، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيقون ، ولا من العامر إلا وظيفة الخراج فنى رفق وتسكين لأهل الأرض^(١) ولهذه السياسة الشديدة والأسلوب القاسى الذى اتبعه بعض أمراء بنى أمية فى الخراج ، والا ننسى أن بعض العمال أو الجباة كانوا سيئين ، وهذه الاساءة من العمال ، كان مما دفع بأهل الخراج الى اتباع أساليب المراوغة والتلاعب فى دفع الخراج وذلك للابتعاد عن مواجهة عمال الخراج وأساليبهم القاسية فى جباية الخراج التى ذكرناها آنفاً، ومن تلك الأساليب التى ظهرت فى العصر الأموى (الايفار) وفى القاموس للمحيط " من العامل الخراج استوفاه أو هو يوغر الملك الرجل الأرض فيجعلها له غير خراج أو هو يهدى الخراج الى السلطان الأكبر فرارا من العمال ، وقد يسمى ضمان الخراج ايفارا مولدة^(٢) ومن تلك الأساليب أو الظواهر على العصر الأموى (الالجا) وهو " كتابه الرجل أرضه باسم أمير قوى يلجأ اليه ويحتس به وحينئذ يقوم صاحب النفوذ بدفع الخراج ويتولى ما يتعلق بها من الناحية المالية حتى يعتبر فى الغالب اليه ويصبح مالكها الوحيد^(٣) .

وهذا ما حدث لمراغة* حيث صارت ملك مروان بن محمد فأهلها الجؤها اليه وكتبوها باسمه فقال البلازرى " المراغة وكان أهلها ألجأوها

(١) أبو عبيد / الأموال ، ص ٥٧ - ٥٨ ، ابن الأثير / الكامل ٥٢ ص ٦١ .
(٢) القاموس المحيط / مادة (وغر) (الايفار) هو الحماية وذلك أن تعفى الصنعة أو القرية فلا يدخلها عاهل الخوارزمى / مفاتيح العلوم ص ٥٦ .
(٣) القاموس المحيط / مادة (لجأ) د . صبحى الصالح / النظم ص ٣٨٥ .
* المراغة ، قرية من قرى أنربجان ثم حذف الناس قرية وقالوا المراغة - أنظر : البلازرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٤٠٤ .

الى مروان فاتبتها وتالف وكلاؤه الناس فكثروا فيها التميزز وعمروها* (١) وكذلك
الجات الى مسلحة بن عبد الملك القوي الكثيرة المتفرقة في أرض البطائشبح
تقويا به واعتزازا واحتما* ، وذلك حينما كتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك
يخبروه بانها ثاق البثور وانها قدر لها مبلغ لسدها ثلاثة الاف درهم فاستكثرها
الوليد فتعهد لها مسلحة على أن تقطع له الارضيه المنخفضة الى يبقى فيها الماء
، فأجابه الوليد الى ذلك " والجا الناس اليها ضياعا كثيرا للتميزز به* (٢) .
ومن الاساليب المتبعة في العصر الاموي من أهل الخراج (التقبل او القبالة)
" وهو ما يعبر عنه تاره اخرى بالكفالة والضماني* (٣) وذلك ان يجعل الرجل
من اهل الخراج لنفسه قبلا او كفلا يحصل باسمه الخراج ويأخذ لنفسه لقا
اجر معلوم يدفعه اليه ، وذكر ان القبيل من العمال وذوي الجاه والسلطان (٤)
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في القبالة " القبالات حرام (٥) وقال ابن عمر رضي
الله عنهما " القبالات رياء* (٦) والذي يدل على تحريمه ويعتبر وسيلة من وسائل
التملك الفاسد ، واكل اموال الناس بالباطل فذكر ابو عبيد ان " جا رجل الى ابن
عباس فقال اتقبل منك الابل* بمائة الف قال : فضربة ابن عباس مائة وصلبه حيا* (٧)

-
- ١ - البلاذري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٢٠٤ .
 - ٢ - المصدر السابق / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٦٠ .
 - ٣ - د . صبحي الصالح / النظم ص ٣٨٦ .
 - ٤ - د . صبحي الصالح / النظم ص ٣٨٦ .
 - ٥ - ابو عبيد / الاموال ص ٩٠ .
 - ٦ - المصدر السابق / الاموال ص ٩٠ .
 - * - الابل : لعلمها ضيعة لابن عباس كانت علي النهر المسمى بهذا الاسم ،
 - (ابو عبيد / الاموال ص ٨٩) .
 - ٧ - ابو عبيد / الاموال ص ٨٩ .

وقال الماوردي " فاما تضمين العمال لاموال العشر والخراج فباطل لا يتعلق به في الشرع حكم " (١) ورغم هذا التحريم من الفقهاء والامتناد على القرآن الكريم والسنة النبوية والقياس بالاجماع ، الا ان ذلك لم يمنع بعض اصحاب الجاه والسلطان من التعامل بهذا الاسلوب فقال الجهمشياري فان فـروخ ابا المثنى كان يتقبل لهشام بن عبد الملك اراضيه ، وكان هشام بذلك يستفيد تعجيل المال ، بينما يستفيد ابوالمثنى (المتقبل) الفرق بين ما دفعه وما حصلت . (٢) وهذه الظواهر التي سيطرة على الاقتصاد الاموي الا ان مصر كانت طوال هذا العصر تعيش بفضل نظام مالي مستقر فذكر العدوي " وذلك " مصر طوال العصر الاموي تقوم بفضل نظامها المالي بالاكفاء الذاتي ففى الانفاق على مراققتها فضلا عما اسهمت به فى ميادين النشاط الاخرى الدامة للدولة الاموية . (٣)

واما بالنسبة للنقارة فى مسألة الجمع بين الخراج والعشر فلنـفـان راي الامويين مخالف لرأي الحنفية فى هذه المسألة فقال ابن ميمون ابن مهران قال " سألت عمر بن عبد العزيز عن المسلم يكون فى يده ارض الخراج ، فيسأل الزكاة فيقول ان على الخراج ، قال فقال : الخراج على الارض وفى الحب الزكاة ، قال : ثم سألة مرة اخرى فقال مثل ذلك . (٤)

-
- ١- الماوردي / الاحكام السلطانية ص ١٧٦ .
 - ٢- الجهمشياري / الوزراء والكتاب ص ٦١ ، صبحي الصالح / النظم ص ٦٨٣ .
 - ٣- العدوي / النظم ص ٢٧٣ .
 - ٤- يحيى بن ادم / الخراج ص ١٦١ .

اما عن حكم بيع ارض الخراج، فكان القاسم بن زياد عاملا لعمر بن عبد العزيز على الخطوط فكتب ال عمر " اما بعد فان قبلنا ارضا من ارض اهل الذمة بايدي ناس من المسلمين اتباعوها منهم وهم يؤدون العشر مما يخرج منها افضل مما كان عليها ، فما يرى امير المؤمنين ؟ . . . فكتب اليه عمر : ان تلك ارضا حبسها اول المسلمين على اخرهم فليس لاحد ان يتمولها ونههم فامنع ذلك البيع ان شاء الله . (١)

وعينا ال الامر الى معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه (٤١٥-٦٠) هو اول خليفة اموي فان اركان دولته لم تستقر بعد بسبب الانقسام بين المسلمين فمنهم المؤيد له ومنهم المؤيد لعلي كرم الله وجهه وبعد استشهاد الاخير انحصر ذلك في ابناءه وال بيته فكان اكبر ابناءه الحسن رضى الله عنه ، فحينما وجد هذا الفشل من اصحابه اشترط على معاوية شروطا لكي يسلم له بالخلافة فشرط عليه " الا يأخذ احدا من اهل المراق باحنة وان يؤمن الاسود والاحمر ، ويحتل ما يكون من هواتهم ويجعل لله خراج الاهواز مسلما في كل عام ، ويحمل الي اخيه الحسين بن علي فسي كل عام الف الف ويفضل بنى هاشم في العطاء والصلاة على بنى عبد شمس (٢)

وهكذا يتضح ان الخراج مورد مهم للدولة لا ينقطع عنها فلو كان غير ذلك لما طلب الحسن خراج الاهواز والخراج بصفة عامة دون غيره من موارد

١- ابن عساكر / تاريخ دمشق ٣ ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

٢- الدينوري / الاخبار الطوال ص ٢١٨ .

الدولة وكان الخراج يساعد الدولة على اعداد الجيوش وسد الشفور وتيسير امور الدولة .

وحينما وصل الكوفة وقديرا من جراحة خرج الى المسجد الكوفة فقال " يا اهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيقاتكم ، وفي اهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين اذهب الله عنهم الجرس وطهرهم تطهرا فحصل الناس بيبكون ثم تحملوا الى المدينة . قال : حال اهل البصرة بينه وبين خراج دار ايجرد . (١)

ونظرا لاهمية الخراج نجد تنافسا بين بعض الولاة من اجل ان يكون الواحد منهم عاملا على الخراج وقد حدث لمعاوية بن ابي سفيان في السنة الاولى من حكمه حينما استعمل عبد الله عمرو بن العاص على الكوفة فذكر الطبري " فأتاه المغيرة بن شعبه وقال لمعاوية : استعملت عبد الله ابن عمرو على الكوفة وعمرأ على مصر فتكون بين الحسنى الأسد ، فعزل عبد الله واستعمل المغيرة بن شعبه على الكوفة وبلغ عمرأ ما قال المغيرة لمعاوية فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملت المغيرة على الكوفة ؟ فقال نعم فقال اجهلته على الخراج ؟ فقال نعم قال المغيرة على الخراج فيقتال المال فيذهب فلا نستطيع ان نأخذ منه شيئا ، استعمل على الخراج من يخافك ويهابك ويتقيك ، فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلاة . (٢) فهذا التنافس بين المغيرة وعمرأ ولم يكن الخراج سببا وحيدا فيه ، وهما من دهاء

١- الطبري / تاريخ لايد ن ٩/٢ ج ٥ ص ١٦٥ .

٢- الطبري / تاريخ لايد ن ١٠/٢ ج ٥ ص ١٦٦ .

العرب ويعرف الواحد منهما من اين تأكل الكف وما يجعل الامور تسيير
في حكم وروية ، انهما وقعا في معاوية وهو الاخر يعتبر من دهاة العرب
فتبين اهمية الخراج عند معاوية ، بدليل انه اخذ برأى المغيرة في الطعن
في والي الخراج فلم يلبث ان يمزله ويعين غيره وكذلك هذا يدل على
دهاة معاوية ، بما جاد اى والى غير مرغوب فيه وكان يستمن بخراج بعض
الولايات من مملكة ، فقد كتب الى عمر بن العاصي ، وهو على مصر " اما
بعد فان سؤال اهل الحجاز وزوار اهل العراق قد كثروا على ، وليس عندي
فضل من اعطيات الجنود ، فاعنى بخراج مصر هذه السنة . (١)

وكذلك نجد ان عملية استبطاء الخراج كانت موجودة في عهد معاوية
وذلك في السنة الثالثة من حكمه ، وذلك حينما تولى عبد الله بن عامر بن خازم بن
ظبيان خراسان فذكر (الطبري) ان ابن عامر استبطأ قيس ابن الهيثم
بالخراج ، فاراد ان يمزله فقال له ابن خازم : وليني خراسان فاكفيكها واكفيك
قيس ابن الهيثم فكتب له عهده اوهم بذلك فبلغ قيس ان ابن عامر وجد عليه
لا ستخفافه به وامساكه عن الهدية وأنه قد ولي ابن خازم فخاف ابن خازم
ان يشاغبه ويحاسبه فترك خراسان واقبل فا زاد عليه ابن عامر غضبا وقال
ضيعت الشجر فضرمتون عيسه ويمث رجلا من بنى يشكر على خراسان " (٢)

ومن هذا النص نلاحظ ان عملية الاستبطاء للخراج لم تكن هي السبب
الوحيد في عزل قيس ابن الهيثم وانما ذلك لاستخفافه به ، وهناك ما هو اهم هو
امساكه الهدايه ، وهذا يدل على ان عمال الخراج كانوا يقدمون الهدايا

١- الدينوري / الأخبار الطوال ص ٢٢٢ .

٢- الطبري / تاريخ الرسل والملوك ، لا يدن ٦٥ / ٢ ج ٥ ص ٢٠٩ .

للولاة لكي يصرفوا النظر عنهم وكان الولاة في عهد معاوية لا ينزلون عند رغبة
عمال الخراج فيمن يخلقونهم ، وذلك عندما ولي زياد الحراق ، استعمل
الحكم بن عمرو الشقاري على خراسان ومعه رجلا على اكور واوصاهم بطاعة
فذكر الابرى فمات الحكم بن عمرو وكان قد غزا طخارستان فغنم كثيرا واستخلف
انس ابن ابي اناس بن زينم ، وكان كتب الى زياد : اني قد رضيتك للمسلمين
وللمسلمين ولك : فقال زياد اللهم اني لا ارضاه لدينك ولا للمسلمين ولا لي" (١)

ثم نجد ان الطبري ايضا ذكر رواية غريبة تفيد ان معاوية بذل الخراج
لاستماله الناس والتخلص في منافسيه وذلك عندما عظم شأن عبد الرحمن بن
خالد بن الوليد بالشام وان اهلها مالوا اليه وذلك لسيرة والده واثارة فخاف
معاوية وخشي على نفسه منه ، فامر بن اثال على قتله ، فقال الطبري " فلما
قدم عبد الرحمن ابن خالد حمص منصرفا من بلاد الروم دس اليه ابن اثال
شربه مسمومة مع بعض ما ليكه ، فشرهها فمات بحمص ، فوفى له معاوية بما ضمن
له وولاه خراج حمص ووضع عنه خراجة " (٢) فاستعمال الخراج في توطيد اركان
الدولة وقتل غير المرغوب فيهم ، فان اقدام ابن ثال على قتل عبد الرحمن بعد
ان وضع له الضمان وهو انه اعفاه من دفع الخراج مدى الحياة ، وان يولييه
جباية خراج حمص . وكان في عهد معاوية يمكن اضافة نواحي الى الصدن

-
- ١- الطبري / تاريخ الرسل والملوك ، لا يدن ١٨/٢ ج ٥ ص ٢٢٥-٢٢٦ .
 - ٢- المصدر السابق / تاريخ الرسل والملوك ٨٢/٢ ج ٥ ص ٢٢٧ ابن الاثير
الكامل في التاريخ م ٣ ص ٤٥٣ .

وخاصة اذا كان خراجها مقسوما فيها ، فتصير بعد ذلك ، وهذه تسمى
(ماه ١) * للمدينه التابعه لها ، فذكر البلازرى ان نهاوند كانت مــــن
فتوح اهل الكوفة ، والد ينوره من فتوح اهل البصرة فقال " فلما كثر المسلمون
بالكوفه واحتاجوا الى أن يزدادوا فى النواحي التى كان خراجها مقسوما فيهم
فصيرت لهم الدينور وعرض اهل البصرة نهاوند لانها من أهمها فصار فضل
ما بين خراج الدينور ونهاوند لاهل الكوفه ، فسميت نهاوند ماه البصرة ،
والدينور ماه الكوفه ، وذلك فى خلافة معاوية . (١)

وفى مدة حكم يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ) فرض الخراج على
السامرة بالاردن وفلسطين وهى ارض صلح فذكر البلازرى " عن صفوان بن
عمرو ان ابا عبيده بن الجراح صالح السامرة بالاردن وفلسطين وكانوا عيوننا

١- البلازرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٧ .

* ماه : الماء بالهاء خالصة : قصبة البلد ، ودونه قيل ماه البصرة الكوفية
وماه فارس ، ويقال لنهاوند وهمذان وشم ماه البصرة) وعن الازهرى نكر
ياقوت الحموى (كانه معرب ومجمع ماهات) وقد ذكر السبب فى هذه
التسميه ان ماه وجور اسما بلدين بارض فارس واهل البصرة يسمون القصبة
بماه فيقولون ماه البصرة وماه الكوفه كما يتولون قصبة البصرة وقصبة الكوفه
اما عند النحويين فيقولون ان الاسم اذا كان فيه هلتان تمنعان الصرف وكان
وسط ساكنا خفيفا قاومت الخفة احدى الملتين فيصرفونه وذلك على نحو
هند ونوح لان هند التانيث والعلمية وفى نوح المجمة والعلمية فلان (=)

وأدلاء للمسلمين على جزيرة رؤوسهم وأطعمهم أرضهم فلما كان يزيد بن معاوية

(=) أصاروا الى ماه وجور وسموا به بلدة أو قسبة أو بقعة منعوه الصـرف
وأن كان أوسطه ساكنا لأن فيه ثلاث طل التأنيث والتعريف والمجسية
أنظر: ياقوت الحموي / معجم البلدان م ٢ ص ٤٨ ، ٤٩ .

وقال الجوالي (الماء) تصب البلد ومنه قول الناس ضرب هذا
الدينار بماء البصرة ، وماء فارس ، وعن الأزهري قال كافة معرب وقال
(الماهان) الدينور ونهاوند أحدهما ماه الكوفة والآخر ماه البصرة .
أنظر : الجواليقي / المعرب ص ٣٢١ .

وذكر الزبيدي : (والماء قسبة البلد) فارسية ومنه ماه البصرة
وماه الكوفة وأصل ماه بالفارسية القمر (والماهان) مثنى ماه الدينور
ونهاوند أحدهما ماه الكوفة والأخرى ماه البصرة) والدينور من كـور
الجيل وانما سميت ماه الكوفة لأن مالها كان يحمل في أعطيات أهل
ومنها يحيى زكريا الماهي . . . وكذلك الحال في نهاوند فان مالها
يحمل في أعطيات أهل البصرة . أنظر: الزبيدي / تاج العروس ج ٩
ص ٤١٣ . ذكرت

ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ، أما كلمة ماه فلا يؤخذ فيها برأى
الذي قال به جغرافيو العرب وهو أنها كلمة فارسية معناها قسبة والأجدر
أن نذهب في تفسيرها من حيث صياغتها ومعناها الى القول بأنها عين
مدينة (مادة) (Media) القديم ، ولا شك في أن جميع
الأسماء الجغرافية التي تدخل كلمة مادة في تركيبها والتي يمكن تحديد
مواقعها تحديدا لا بأسى به (مثل ماه البصرة = نهاوند وهو اسم
شبيه في أصله باسم ماه الكوفة) ترد الى المدينة مادة . ومن ثم
فان ماه الكوفة تفسر على أنها مادة الكوفة أي ذلك الجزء من مسادة
الذي يتبع المدينة) . أنظر : دائرة المعارف الاسلامية .

وضع الخراج على ارضهم " (١) وقد وضع عمرو بن العاصي الخراج على اهل حلب
وقنسرين ومنيح بعد ان صالحهم " (٢) وقد استعمل يزيد على ديوان الخراج
سرجون بن منصور " وكان يكتب يزيد بن معاوية عبيد الله بن اوسى الفخاساني
كاتب معاوية ، يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور " (٣) .

وفي مدة حكم معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤ - ٦٥ هـ) وللاهمية
التي للخراج ، فهو يساعدهم في تجهيز الجيوش ، ويساعد القواد لتحقيق
غاياتهم ومقاصدهم ، وخاصة اذا كان للقائد انصار واعوان يكون منهم فرقة
التي بها يمكن ان يعيد الى اي منطقة ويجب خراجها ليتقوى بها وهذا ما
كان من امر نافع بين الازرق الحنظلي ومن المعلوم ان نافع (خارجي ثائر
على الخلافة) فذكر بن الاثير " واشتدت بشوكة نافع بن الازرق الحنظلي وكثرت
جموعه واقام بالاهداف يجبي الخراج ويتقوى به . . . " (٤) . واهتم ايضا عبيد
الله بن الزبير (وهو الاخر ثائر على الخلافة) بالخراج لذلك نجد ان عامل
الخراج عنده يطلق عليه اميرا وهذا منصب يطلق على عامل الخراج لانه بعد
موت يزيد بن معاوية بثلاثة شهور ارسل بن الذبير الحظي الى الحكومة
اميرا عليها ، فذكر الطبري انه " وقدم معه من قبل ابن الذبير ابراهيم بن
محمد بن ملحان ابن عبيد الله الاعرج اميرا على خراج الكوفة " (٥) وقد انضم
الى ابن الذبير اناس كثيرون تمثل اهل الكوفة والبصرة ومن بالقبلة واهل

-
- ١- البلازري / فتوح البلدان ١ ق ٨٧ .
 - ٢- اليعتوبي / تاريخ ٢ م ١٤٢ .
 - ٣- الممشياري / الوزراء والكتاب ص ٣١ .
 - ٤- ابن الاثير / الكامل ٤ م ١٦٨ .
 - ٥- الطبري / تاريخ لايدن ٥٠٩ / ٢ ج ٥ ص ٥٦٠ .

الجزيرة" (١) والذي يدل على اهمية الخراج بان المعارضين المتمردين على الخلافة كانوا يضمون نصيب اعينهم السيطرة على الخراج فهذا عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة يعرضان على سليمان بن طرد - قائم - التوابين المطالبين بدم الحسين وهم ثائرون على الخلافة - " ان يقيم معهما حتى يلحقوا جموع اهل الشام على ان يخصاه واصحابه بخراج جوخي خاصة لهم دون الناس " (٢) وابراهيم بن محمد بن طلحة قد كسر الخراج في حكم ابن الزبير وذلك حينما قدم عبد الله بن مطيع الكوفة وخير عبد الله بن يزيد بين البقاء او الذهاب الى أمير المؤمنين فقال له " ان احببت ان تقيم معي احسنت صحبتك ، واكرمت مثواك ، وان لحقت بامير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامه ، وعلى من قبله من المسلمين وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة الحق بامير المؤمنين فخرج ابراهيم حتى قدم المدينة وكسر على ابن الزبير الخراج وقال انما الفتنة ، فثأرته ابن الزبير " (٣) وهذا يبين ولاية الخراج في حكم ابن الزبير وموقف ابن الزبير من كسر الخراج.

-
- ١- الطبري / تاريخه لا يدن ٤٦٧/٢ ج ٥ ص ٥٣٠ .
 - ٢- الطبري / تاريخه لا يدن ٥٤٤/٣ ج ٥ ص ٥٨٨ ، ابن الاثير / الكامل ٤٦ ص ١٢٢ .
 - ٣- الطبري / تاريخه لا يدن ٦٠٢/٢ ج ٦ ص ١٠ ، ابن الاثير / الكامل ٤٦ ص ٢١٢ .

وفى مدة حكم عبد الملك بن مروان (٦٦ - ٨٦ هـ) أهتم ال الزبير بجباية الخراج ولم يكن الولاة فى مستوى المسئولية التى تناط لهم وانما كانت قرايتهم من الحكام يلعب دورا كبيرا فى تعيين مثل هؤلاء أو انهم يقدمون الهدايا وغيرها للحكام .

وحينما قدم حمزة بن عبد الله بن الزبير البصرة واليا وذكر الطبرى انه كان جواردا سخيا مغلظا ، يجوز احيانا حتى لا يدع شيئا يملكه ، يمنع احيانا ما لا يمنع مثله (١) .

فهذا يدل على سوء التصرف باموال الخراج .

وذكر الطبرى ايضا ان حمزة " ركب يوما الى فيض البصرة ، فلما راه قال : هذا الخديران رفقا به ليكنهم صيفهم ، فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت ان لن يكفيهم فقال له الاصف : ان هذا ما يأتينا ثم يفرض عنا " (٢) .

ومن هذا يتضح جهل الالى بمسألة الرى المرتبطة بالمد والجزر .

بل هناك ما هو أسوأ من ذلك حينما شخص حمزة الى الالهواز وراى جبلها قال " هذا قميقعان - لموضع بمكة - فسمى الجبل قميقعان . وبمست الى مردانشاه فاستعته بالخراج فابطا به ، فقام اليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال فقال الاحنف : ما احدث سيف الامير " (٣) .

- ١ - الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ، لايدن ج ٦ ص ١١٧ ، ابن الأثير الكامل م ٤ ص ٢٧٨ .
- ٢ - الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - لايدن ٢/ ٧٥١ هـ ، ابن الأثير الكامل م ٤ ص ٢٧٩ .
- ٣ - الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - لايدن ٢/ ٧٥١ هـ ، ص ١١٧ .

فبين مدى التعجيل بالعقوبة ، وتمثل رعونه الحاكم في قتل متولسى
الخراج دون ان يقوم بمحاسبة ، ولم يذكر ابن الاثير هذه الحادثة . وحينما
اراد مصعب بن الزبير الخروج الى الكوفة حين اكثر الناس عليه انه طلب
المهلب بن ابي صفرة عامله على فارس ، فذكر الطبرى " ما كتب مصعب
الى المهلب فقال " ان اقبل الينا لتشهد امرنا ، فانا نريد المسير الى
الكوفة ، فابطأ المهلب واصحابه ، واعتل بشى " من الخراج ، لكرهه الخروج " (١)
وان ابطأ المهلب الى مصعب وذلك لانه اعتل شى " من الخراج ، وقد
كان على خراج فارس . ثم نجد ان القواد يهتموا بالخراج ، فكانوا يقتصصون
جماعه منهم ليقوموا بحماية الخراج أثناء حروبهم ، وذلك من اجل أن يتقوا بهنا
حيث ان مسافر بن سعيد بن نمران احد جماعة المختار بن عبيد ، قد طلب
الصلح مع مصعب بن الزبير بعد قتل المختار ، ولو ادعى الامر الى قتل عدد
من جيش الزبير ، وقال مسافر " وخلصوا سبيل بقيتنا وفيما الان رجال كثير
لم يشهدوا موطننا من حربنا وحربكم يوما واحدا ، كانوا فى الجبال والسواحل
يجهون الخراج ، ويؤمنون المهلب " (٢)

وكذلك نلاحظ ان بعض الحكام يستعملون الخراج لمساومة القواد ، وذلك
حينما ارسل مصعب بن الزبير سيف بن هانى المرادى الى عبيد الله بن الحر ،
فقال له ابن هانى " ان مصعب يعطيك خراج بادوريا على ان تباع وتدخل
فى طاعته ، قال : اوليس لى خراج بادوريا وغيرها : لا لست قابلا
شيئا " (٣) .

-
- ١ - الطبرى ، تاريخ الرسل والطوك ، لايدن ٢ / ٧١٩ ، ح ٦٤ ص ٩٤
وابن الاثير / الكامل ٤ م ص ٢٦٧ .
 - ٢ - الطبرى ، تاريخ ، لايدن ٢ / ٧٤١ ، ح ٦٤ ص ١١٠ .
 - ٣ - الطبرى ، تاريخ ، لايدن ٢ / ٧٧٢ ، ح ٦٤ ص ١٣٢ ، ابن الاثير / الكامل
٤ م ص ٢٩١ .

وهذا فيه مخالفة لاراء الفقه الاسلامي ، ثم انها تعتبر مساومة فاشلة من اجل الحصول على البيعة . ولم ينته الامر عند المساومة بل تصدى ذلك الى تنافس على الخراج ، وقبله ان نبين ذلك لا بد ان نشير ان الخلاف السياسي بين مصعب بن الزبير والدولة الاموية او الامويين كان كبيرا وكل طرف يرغب في اضعاف الطرف الاخر سواء كان ذلك بالسيطرة على الخراج او غيره .

وعندما اتى عبيد الله بن الحر تكريث ، هرب عامل المهلب منها فاقام عبيد الله بجبى الخراج فوجه اليه مصعب الابرص بن قره الرياص والجنون بن كعب الهمزاني في الف ، واحدها المهلب بيزيد بن المقتل في خمسمائة فقال رجل من جعفر لعبيد الله : قد اتاك عدد كثير فلا تقاظهم* (١) .

وهذا يبين مدى التنافس في المقاطعات حول اموال الخراج ، وكذلك بين الطبري لنا صوره اخرى من هذا التنافس بل الى صراع بين الاطراف وذلك حينما تعرض لابن الحر كذا قائد بتكليف من مصعب ، فاستطاع ابن الحر من هزيمتهم وقتل بعضهم ، واخيرا اقام ابن الحر في المواد يغير ويجبى الخراج (٢)

وغالبا ان عامل الخراج قد لا يتغير مع تغير الوالى وذلك عندما " بحث عبد الملك بن مروان بشير بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله بن خالد ابن سيد على البصرة ، فلما قدم خالد ، اثبت المهلب على خراج الاهواز ومعونها* (٣) .

- الكامل
١ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ٧٧٢/٢ ح ٦٤ ص ١٣٣ ، ابن الاثير م ٤ ص ٢٩٢ .
٢ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ٧٧٥/٢ - ٧٧٦ ح ٤ ص ١٣٤ ، ابن الاثير /
الكامل م ٤ ص ٢٩٣ .
٣ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ٨٢٢/٢ ح ٦٤ ص ١٦٩ .

وقد لعبت الحروب - فرقه من الخوارج - دورا بارزا في اضماع الدولة الاموية ، كانت تستحوذ على خراج جوخن وغيرها كما يخبرنا الطبرى فى النص السابق ، ومن هذه يتضح ان الظروف السياسيه والاونه التى مرت بهـ الدولة الامويه قد دفعتهم الى استفلال واردات الخراج من اجل استقرار حالة الامن ، ولا يشترط فى ذلك ان يجرى بشكل غير مباشر ، عن طريق دواوين بيت المال أو النفقات والجيش ، وانما قد يوجه قائد فرقة عسكريـة لاستيفاء احتياجاته من الخراج مباشرة ، وهناك اشارة أيضا أن الخوارج قد اضرروا بالخراج ، حينما خطب سعيد بن المجالد فى معسكر الكوفة عند ما ارسله الحجاج الى شبيب بن يزيد قال : " يا أهل الكوفة قد عجزتم وهنتم واغضبتكم أميركم أنتم فى طلب الأعراب المعجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا وكسروا خراجكم ، وأنتم ماررون فى جوف هذه الخنادق لا تزالونهمـ الا ان ييلفكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم ، فاخرجوا على اسم الله اليهم " (١) .

ومن الصور التى تبين كسر أو الاستحواز على الخراج فى الدولة الاموية وهذا يتضح من اجراءات عثمان بن قطن ، فكتب بذلك الى الحجاج " اما بعد فان اغبر الأمير أصلحه الله ان عهد الرحمن بن محمد قد حضر جوخن كلها خندقا واحدا ، وخلقى شبيبا وكسر خراجها وهو ياكل اهلها ويسلام " (٢) .

فما كان من الحجاج الذى هاله الأمر الا أن بحث الى عثمان ودعاه وسرعه الى المدائن " وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوض كلها وخراج الاستان " (٣)

- ١ - الطبرى ، تاريخه ، لا يدن ٢ / ٩٠٨ ح ٦ ص ٢٣٤
- ٢ - الطبرى ، تاريخه ، لا يدن ٢ / ٩٣٣ ح ٦ ص ٢٥١ ، ابن الاثير / الكامل ٤ ص ٤١٤ .
- ٣ - الطبرى ، تاريخه ، لا يدن ٢ / ٩٢٩ ح ٦ ص ٢٤٩ .

وقد ادى تشدد بعض القواد الى قتل اهل الخراج ، فقد قتل الحمر بن عبد الله بن عوف دهقانيين ، وكان من الذين هربوا عن الحجاج ، فمئذما امن الحجاج الناس عاد مع من عاد ، فجاء اهل الدهقانيين يستمدون عليه لحجاج " فأتى به فدخل ، وقد اوصى ويثس من نفسه ، فقال له الحجاج : يا عدو الله قتلت رجلين من اهل الخراج " (١) .

ولم يتوقف الامر عند اهل الخراج بل تعدى ذلك الى عامل الخراج ، حين ارسل شبيب جماعه يأتوه برأس عامل سورا " فساروا مغزيين حتى انتهوا الى دار الخراج والعمال في سمرجه * ، فدخلوا ، الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيئوا الأمير ، فقالوا : اى الامراء ؟ قالوا : أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيبا ، فأغتر بذلك العامل ، ثم أنهم شهرهوا بسيف وحكوا حين وصلوا اليه فضربوا عنقه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب " (٢)

وهنا ينبغي أن نشير الى ان شبيبا هو أيضا من الخوارج ومتمرد على الخلافة ، وقيام جماعته بأعمال التلصص لا تعنى فوضى في الخراج ورغم ذلك كانت الادارة الأموية تحرص على التدقيق فى الجباية وكان ذلك ميسورا مع غير العرب أما العرب فهم كما قال قيس ابن سعد المجلى " ما أبغض الى أن تكثر العرب فى ارض الخراج " (٣) .

وبين أيضا الطبرى صورة أخرى من التشدد فى الخراج ، وذلك عندما عزل امية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، مكبرا بن رزقاء الصريحى

-
- ١ - الطبرى ، تاريخه ، لا يدن ١٤١/٢ ح ٦ ص ٢٥٧
 - * سمرجه : " يوم جباية الخراج " (انظر لسان العرب) .
 - ٢ - الطبرى ، تاريخه ، لا يدن ١٥٥/٢ ح ٦ ص ٢٦٧ .
 - ٣ - المصدر السابق ، تاريخه ، لا يدن ١٥٥/٢ ح ٦ ص ٢٩٥ .

وولاهها عطاء بن ابي السائب " فضرب عبد الملك بعثا الى أميه بخراسان فتجامل الناس فاعطى شقيق بن سليل الاسدى جمالته رجلا من جرم ، وأخذ أميه الناس بالخراج . واشتد عليهم فيه " (١) . وسلط عليهم الدهاقين ففى الجباية ، حتى ان أصبحت عطيه التشدد فى الجباية ، خلافا لما اوصى به فقها المسلمين ، وأصبحت صفة بارزه فى معاملته عمال الجباية للرعيه ، وهذا التزم الذى أحدثته الاجراءات المالية الشديده بهذا الخصوص .

فهذا ما شجع الأحنف بن عبد الله العنبرى حينما خاف بكير ان يهلك الفرسان الذين معه فقال له " اتخاف الرجال : أنا اتيك من اهل ——— بما شئت أن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ، قال : انما يكفيك ان ينادى مناد : من اسلم رفعنا عنه الخراج فياتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع " (٢) .

وهذا يدل على أن المعاهدين وأهل الذمه كانوا على ما يظهر ، ينوون تحت اعباء دفع ضريبة الخراج بجانب ضرائب اخرى عاليه .

وان الاقتراح فى النص السابق هو ان يحفى منها من اسلم مما يدل على ان الواقع يشير الى استمرار فرضها مع اسلامهم .

-
- ١ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٠٢٨/٢ ح ٦ ص ٣١٥ .
 - ٢ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٠٢٤/٢ ح ٦ ص ٣١٢ ، ابن الاثير / الكامل م ٤٤٤ ص ٤٤٤ .

ومن المعلوم انه قد حدثت ازمه ماليه ، فى عهد الدولة الاموية ، وكان من اسبابها : —

- ١ — كثرة من اسلم من أهل الجزيره .
 - ٢ — اقبال المسلمين على شراء الاراضى الخراجية .
 - ٣ — ذهاب القسم الأعظم من الصوائف كهبات .
- وقد استغل بعض المؤرخين هذه الظروف واتهموا الامويين فى ابقاء الجزية والخراج على من اسلم ، وهو غير صحيح شرعا ، ولكن وجدوا انفسهم مضطرين بسبب المشايخ التى اقيمت وتجهيز الجيوش الفاتحه ، وتعريب النقود والدواوين ، فابقوا الجزية التى فرضت على رقاب أهل الارض .

وكان القرب من الوالى يلعب دورا مهما فى تعيين عمال الخراج ، دون النظر الى الكفاءة ، حيث ولى المهلب خراسان وأخذ بالف الف من خراج الاهواز ، فقال المهلب لابنه المفيرة " أن خالد (بن عبد الله) ولانى الاهواز وولاك اصطخر ، وقد أخذنى الحجاج بالف الف ، فنصف على ونصف عليك" (١)

وقد يشير النص على أن مناصب الخراج يساوم عليها مع العمال ، وكذلك يبدو أن جباية الخراج لم تلتزم بالنسبة المئوية التى تجبى من الانتاج ان نظام المقاطعة كما يظهر كان شائعا فى المقاطعات الشرقية من الدولة الإسلامية ، ولعل من دوافع ذلك الرغبة فى استقرار ايرادات الدولة من جهة وكذلك الرغبة فى تقليص النفقات التى تصاحب عادة عملية الجباية

وتلافيا للمنازعات بين القواد على خراج قريه فيتدخل الخليفة لأنها* الخلافت
وقد حدث خلاف بين المهلب والحجاج على خراج جبال فارس ، فلما صارت
فارس كل في يد المهلب بحث الحجاج عليها عماله ، واخذها من المهلب
فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب الى الحجاج " اما بعد ، فدع بين المهلب
خراج جبال فارس ، فإنه لا يد للجيش من قوة لصاحب الجيش من محونه
ودع له كورة فسا درا يجرى وكورة أصطخر ، فتركها للمهلب " (١) .

وبعد ذلك بحث المهلك اليها عماله ليتقوى بها على عدوه ، وبهذا
فقد انهى الخليفة الخلاف بين الحجاج والمهلب حول خراج جبال فارس .

وبين النص ويمكن مدى قوة ومكانة الحجاج ، ومدى سيطرته على
ادارة الاقاليم الشرقية من الدولة خلال الحصر الاموى ، ومع ان كان المهلب
على خراسان من قبل الحجاج كما ذكر ذلك الطبرى فقال ان " المهلب كان
على حربها ، وابنه المغيرة على اخراجها " (٢) .

ثم نجد ان بعض الأقاليم لا ترضخ الى دفع الخراج الا بالقوه ، فقد
سيرت الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن بن الأشعث " وساروا باجمعهم
وبلغ الخبر رتبيل فأرسل معتذرا ويذلل الخراج ، فلم يقبل منه ، وسار اليه
ودخل بلاده ، وترك له رتبيل أرضا أرضا ورستافا* ورستافا وحصنا حصنا " (٣) .

١ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٠٠٤/٢ ح ٦ ص ٣٠١ .

* - الرستاف :

٢ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٠٣٩/٢ ح ٦ ص ٣٢٤ .

٣ - ابن الاثير / الكامل م ٤ ص ٤٥٥ .

والتنافس مع الخارجين على السلطة حول مسؤولية الجباية ، فقد اقبل الهاشمي (عبد الرحمن بن عباس) على الجباية ، فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فقال يزيد للهاشمي " من أراد أن يريح ثم يختار لم يجب الخراج ، فقدم المفضل في أربعة الاف ويقال في ستة الآف ، ثم اتبعه أربعة الاف ثم اتى هواة ، فارسل الى الهاشمي : قد ارحت واسمت وجبيت ، ذلك وان اردت زيادة زودناك فاخرج فوالله ما احب ان اقاتلك ، قال : فابى الا القتال " (١) .

ولقد استعمل الحجاج أساليباً غير مرغوب فيها ، فقد بين الطبري صورة من ذلك من خلال كتب عمال الخراج الى الحجاج قالوا له : " ان الخراج قد انكسر ، وان اهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار ، فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل في قريته فليخرج اليها فخرج الناس فمسكروا ، فجعلوا يكون وينادون : يا محمداً يا محمداً وجعلوا لا يدرون أن يذهبون : فجعل قراء اهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيكون لما يسمعون منهم ويرون قال فقدم ابن الأشعث على تضيئة ذلك واستبصر قراء اهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الله بن محمد بن الأشعث " (٢) .

فهذا يبين مدى قسوة التمديب في الجباية ، ويبين أيضاً موقف الفقهاء والقراء منها ، وكذلك الاستعداد لموقف (شرعي) لمحاربة الحجاج ، وهذا لا ينفر للحجاج ان كان مدفوعاً لتحقيق مصلحة الخزينة بسبب الازمة المالية التي تمر بها الدولة الاموية .

-
- ١ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ١١٠٧/٢ ، ابن الاثير / الكامل ٤م ص ٤٨٦ .
 - ٢ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ١١٢٢/٢ ص ٦٨١ ، ابن الاثير / الكامل ٤م ص ٦٥٤ (ذكرها الطبري في احداث سنة ٨٣ ، بينما ذكرها ابن الاثير في احداث سنة ٨١ .

وقد وضع الحجاج الخراج عن رتبيل مقابل ان يرسل له عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فذكر الطبرى ان عميد الله بن ابي سبيع عن بني بريع قال لرتبيل " انا اخذ لك من الحجاج عهدا ليكن الخراج عن ارضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن بن محمد " (١) فى حين ان ابن الاثير ذكر ذلك فى صلح رتبيل عمارة بن تميم اللخمي على ابن الاشعث " (٢) .

هذا يبين الصلاحيات الواسعة عند الولاة فى التصرف فى اموال الخراج.

ونلاحظ ايضا سو" التصرف فى اموال الخراج ، وذلك عندما اراد عبد الملك اخذ البيعة لابنة الوليد وخلع اخاه عبد العزيز ، فرفض عبد العزيز حتى بولايه العهد من بعده ، لان ابنه ابي بكر اولى بذلك فقال عبد الملك " اللهم ان عبد العزيز قطعنى فاقطعه ، فكتب اليه عبد الملك : اجعل خراج مصر : فكتب اليه عبد العزيز : يا امير المؤمنين ، انى واياك قد بلغنا سننسا لم ييلفها احد من اهل بيتك الا كان بقاءة قليلا " (٣) ، وعندما اراد عبد الملك بن مروان تقليد (الوليد) العهد شاور ربيعه الجرش فقال له " انى قد عطيت على تولية شيئة من النواحي اولا فاذا مرت له مدة قلده ، فقال : امهلنى فابى عليه فقال له : يا امير المؤمنين انك لو بعثت الوليد يقسم الاموال بين الناس مارضوا عنه ، فكيف ببيثة جابيا ان احتاط ذم ، وان وفق عجزا او يكن له المعاون * والصوائف ، يكن ذلك شرفا وذكرنا ... " (٤) .

- ١ - الطبرى ، تاريخ ، لايدن ١١٣٣/٢ ح ٦ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
- ٢ - كتب عمارة الى الحجاج بذلك " فالتق له خراج بلاده عشر سنين " ابن الاثير / الكامل ، م ٤ ص ٥٠٢ .
- ٣ - الطبرى ، تاريخ ، لايدن ١١٦٧/٢ ح ٦ ص ٤١٤ .
- * المعاون .
- ٤ - الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٣٧ .

وبعد وفاة الوليد بن عبد الملك الذي حكم (٨٦ - ٩٦ هـ) ، آلت
الامور (الخلافة) الى سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) ، واخذت
الدولة في الاتساع حتى وصلت الى حدود الصين حيث طلب اقامة العلاقات
معيهم يرد فيها طلب الخراج ، وذلك ما اوصى به قتيبة بن مسلم الرجسـال
الذين بعثهم الى ملك الصين فقال لهم : " سيروا على بركة الله ، وباللـه
التوفيق ، لا تضعوا الصائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم عليه
فاعلموه ان قد حلفت الا انصرف حتى اطاء بلادهم ، وأختم ملوكهم ، واجبى
خراجهم " (١) ، ثم نجد ان بعض هـال الخراج يتبعون اسلوبا جديدا مع
الولاة لضعف خراج ناحية او غرابها ، وقد يكون ذلك في حقيقة الامر
مثل خراج خراسان ، وقد كتب اليه * الى امير المؤمنين " ان خراج خراسان
لا يقوم بمطبخي " (٢) ، وضعف خراج خراسان امرا دائما ، حتى ان الحاصـه
ترسل الاموال لتلافى النقص ، وفي بعض الاحيان يرفض عامل الخراج اوامر
الوالي ، وذلك حينما وصل يزيد بن المهلب العراق فلقـيه صالح بن عبد الرحمن
عند المدينة ، فرغله دار خاصه ، واتخذ يزيد الفاخوان يطعم الناس عليها
وقد اخذها صالح ، وطلب يزيد ان يكتب ثمنها على حسابه ، واشترى متاعا
كثيرا ، وصك صكاكا الى صالح لباعثها منه ، فلم ينفذها فرجعوا الى يزيد
الذي غضب من تصرف صالح ، فألت اليه صالح ، وعرفه ان الخراج لا يقوم لها
وعد له مطالبه التي نفذها اليه ، وان هذا لا يرضى امير المؤمنين ، ولكن

١ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٢٧٧/٢ هـ ٦ ص ٥٠١ .
* أمية بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي الحاص بن أمية ، عامل عبيد

الملك على خراسان (الطبرى ، تاريخ ، ٢٨٧/٢ هـ ٦ ص ٥٠٩ .

٢ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ١٢٨٢/٢ هـ ٦ ص ٥٠٩ .

اخيرا اقر صالح تلك الصكاك . (١) .

ومن هذا يتضح ان المجاملات على حساب أموال الخراج كانت بين
الولاة وان سبب رفض عامل الخراج اى رفض صالح بن عبد الرحمن لاوامر يزيد
ابن المهلب بحجه ان خراج العراق لا يفي بها هاما كان صالح ان يتصل
بالخليفة دون علم يزيد .

ومن العوامل التى تؤثر فى استيفاء الخراج ان شخصية الوالى تلعب
دورا كبيرا فى دفع الخراج فذكر الطبرى ان " سعيد بن العاص صالح اهل
جرجان فكانوا يجيئون احيانا مائة الف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وحيانا
مائتى الف ، وحيانا ثلاثمائة الف ، وكانوا ربما اغفوا ذلك ، وربما منعوه ،
ثم امتنعوا ، وكفروا فلم يمحطوا اخراجا ، حتى اتاهم يزيد بن المهلب فلم
يعازة احد حين قدمها فلما صالح صول وفتح البصرة ودهستان من صالح
اهل جرجان على صالح سعيد بن العاص " (٢) .

فان ضعف الولاة وتساهلهم يجعل الناس فى تراخى عن دفع الخراج ففى
حين ان العكس يحدث حينما يكون الولاة اشداء ، ثم يمين يزيد بن المهلب
ما كان عليه حال العراق ايام الحجاج فيذكر بعد ان ولاه سليمان امر العراق
قال " ان العراق قد اخرجها الحجاج ، وانا اليوم رجاء اهل العراق ، وحتى
قدمتها واخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج ، ادخل على

١ - الطبرى ، تاريخه ، لايدن ١٣٠٨/٢ ح ٦ ص ٥٢٤ .

٢ - الطبرى ، تاريخه ، لايدن ١٣٠٢٢/٢ ح ٦ ص ٥٣٦ .

الناس العرب ، واعيد عليهم تلك السجون التي قد عاهاهم الله منها ، وحتى لم انت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل منى " (١) .

وهذا يوضح ما كانت عليه سياسة الحجاج الشديدة التي كان يتبعها مع اهل العراق ، ويعطى الطبرى صورة اخرى من هذه السياسة التي كان يعيشها اهل العراق في ظل بعض الولاة والعمال الاشداء ، فحينما " عزل سليمان (بن عبد الملك) يزيد بن ابي مسلم عن العراق وامر عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج ، وامره ان يقتل آل ابي عقيل ويسل عليهم العذاب " (٢) .

ان تغير او تبدل عامل الخراج والا ساليب في العذاب من اجل جباية الاموال ، كان من السمات الموجودة في هذه الحقبة ، واذ اظهر بعض عمال الخراج الذين يعدلون في الناس ، وعلموا بجور من سبقهم فانهم يطلبون أفعائهم من العمل وهذا ما حدث ليزيد بن المهلب فكره يزيد تقلد الخراج لاخراب الحجاج العراق ، وخاف ان عسف اهله بالمطالبة ان يذموه ، وان قصر في المسف ان ينقص ما يسيخرجه عما استخرجه الحجاج فاستعفى يزيد بن المهلب سليمان عن الخراج ، و اشار عليه بما لح بن عبد الرحمن الكاتب ففعل سليمان ذلك " (٣) .

١ - الطبرى ، تاريخ ، لا يدن ٣٠٦/٢ ح ٦ ص ٥٢٣ .

٢ - المصدر السابق / تاريخ ، لا يدن ١٢٨٢/٢ ح ٦ ص ٥٠٦ .

٣ - الجهمشيارى / الوزراء ص ٤٩ .

وكان اختيار صالح بن عبد الرحمن فكل من قبل يزيد بن المهلب
حينما اتى يزيد سليمان فقال : " ادلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه ،
فتكون انت تاخذه به ؟ " صالح بن عبد الرحمن مولى بن تميم فقال له : قد
قبلنا رايك ، فأقبل يزيد الى العراق " (١) .

وقد كتب لصالح بن عبد الرحمن من جلد صفري ، وذلك عند ما
تقبل منه ابن الحنفية بكوره ودجلة ويقال بالقبه باذ " فحمل * مالا فكتب رساله
في جلد وصفريها ، فضحك صالح وقال انكرت ان ياتي بها غيره ، يقول : لعلمه
بأمر المعجم " (٢) وأول من صفر الصحف الزعفران وما " الورد كسرى بمن
هرمزا برويزتا ذى بروائح السابقة ، وكان العمال يستمرون سنة وستين في
عملهم " وكان عمال الانصار في هذه السنة (٩٧) عمالا في السنة التي
قبلها الاخراسان فان عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب " (٣)

-
- ١ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ١٣٠٧/٢ ح ٦ ص ٥٢٣ .
 - ٢ - البلاذري ، فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٧ .
 - ٣ - الطبري ، تاريخ ، لا يدن ١٣١٤/٢ ح ٦ ص ٥٢٩ .
- * حمل : هي الاموال التي تحمل الى بيت المال واحدا حمل مصدر خبير
اسما (انظر الخوارزمي / مفاتيح العلوم ص ٤١) .

وفى مدة حكم عمر بن عبد العزيز (٩٦-١٠١هـ) الذى عرف عنه ، العدل ، والإنصاف ، والتقوى ، فقد حزن فى نفسه ما آلت اليه الامور منذ قيام الدولة الاموية ، وخاصة الناحية المالية التى لم يراع فيها قواعد العدل والإنصاف ، بالأخص الخراج الذى اثقل كاهل أهل الخراج بالاضافة الى ما يلاقوه من انواع العذاب فقد كتب (عدي بن ارطاة وكان عاملا لحمر بن عبد العزيز) اليه فقال " اما بعد فان أناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسه شئ " من العذاب " (١) . فما كان جواب عمر بن العزيز اليه الا ان قال له " اما بعد فالحبيب كل العجب من استغذائك اياى فى عذاب البشر كانى جنة لك من عذاب الله ، وكأن رضى ينجيك من سخط الله واذا اتاك كتاب هذا فمن اعطاك ما قبله عفوا والا فأحلفه ، فوالله لأن يلقوا الله بجانائياتهم أحب الى من ان القاه بعذابهم والسلام " (٢) .

فسرى مدى رقة رضى الله عنه وغضبة لمفاتحته بتعذيب الناس فى الخراج ، وكذلك ألفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعض الضرائب التى تأخذ من أهل الخراج جورا وظلما ، فقد كتب بذلك الى عبد المجيد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة فقال " وأمر أن لا تأخذ فى الخراج الا وزن سبعة ليس فيها تبر * ولا أجور الضرائب + ، ولا اذا به الفضة ولا هدية الفيروز والمهرجان = ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج * ولا أجور البيوت ، ولا دراهم

١ - أبو يوسف / الخراج ص ١٢٩ .

٢ - المصدر السابق / الخراج ص ١٢٩ .

x - التبر : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، غير مضروبين دنانير ودراهم (الرحبى / الرتاج ح ١ ص ٥٨٢) .

+ - الضرائب : بمعنى الذين يصكون النقود من الذهب والفضة (انظر ابو عبيد الأموال ص ٥٨) .

= - الفيروز والمهرجان : وهو اسم عيد كان للنقرس وهو اول السنة القبطية بمصر (انظر ابو عبيد / الأموال ص ٥٨) .

* - الفيوج : جمع " فيج " وهو رسول البريد (انظر ابو يوسف / الخراج ص ٩٣) .

النكاح*، ولا خراج على من اسلم من اهل الارض* (١) ويتضح من ذلك سياسة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه في سواد الكوفة والمقصود منها التراج ونلاحظ ايضا انه اعفى من اسلم من اهل الارض من الخراج، والمقصود هنا انه لا جزية على رأس من اسلم من اهل الارض الخراجية* (٢) .

وما يؤكّد لك حينما اوفد الجراح بن عبد الله وفدا من رجلين من العرب ورجلا من الموالي ، اسمه صالح بن طريف* ، وحين تكلما العربيان وهو جالس لا يتكلم فسأله عمر بن عبد العزيز ا يكون من الوفد واذا كان فلماذا لا يتكلم ، فقال " يا أمير المؤمنين ، عشرون الف من الموالي يفسزون بلا عطا* ، ولا رزق ومثلهم قد اسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخراج ، واميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا ، فيقول ، اتيتكم جفيا وانا اليوم عصبى ، واللله الرجل من قومي احبالى من مائة من غيرهم .

ويلخ من جفائه احدكم درعه يبلغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والحدوان فقال عمر : اذن ان مثلك فليوفد* (٣) ، وهذا يوضح حكم الذين اسلموا من اهل الذمة انهم لا يدفعون الخراج

× - دراهم النكاح : او النكاح يعنى به بنفايا أكان يؤخذ منها الخراج (انظر ابو عبيد / الأموال ص ٥٨) .

١ - ابو يوسف / الخراج ص ٩٣ ، ابو عبيد / الأموال ص ٥٨ ، الطبرى / تاريخ لايدن ١٣٦٦/٢ ، ١٣٦٢ هـ ص ٦٩٠ .

٢ - الرحبى / الرتاج ح ١ ص ٥٨٥ .

* - صالح بن طريف : ويكن ابا الصيد وكان فاضلا فى دينه (الطبرى / تاريخ

لايدن ١٣٥٤/٢ هـ ص ٥٥٩ .

٣ - الطبرى / تاريخ، لايدن ١٣٥٤/٢ هـ ص ٥٥٩ .

وذكر البلاذري (ورفع عمر الخراج على من اسلم بخراسان ، وفرض لمن اسلم وابتغى الخانات " (١) . وقد كتب عدى بن اوطاة الى عمر بن عبد العزيز فقال له " اما بعد فان الناس قد كثروا في الاسلام ، وخفت ان يقل الخراج " (٢) ، فكتب عمر بن عبد العزيز يقول " فهمت كتابك ، والله لو ودت ان الناس كلهم اسلموا حتى نكون انا وانت حراتين نأكل من كسب ايدينا " (٣)

وكان عادة في العصر الاموي يتم اختيار الولاة دون معرفة دقيقة بهم وذلك حينما اختار عبد الرحمن بن عبد الله على خراج خراسان فقد سأل عنه كذا واحد ممن يعرفونه ، وبعد ان تم اختياره كتب الى اهل خراسان " ان استعملت عبد الرحمن على حريكم وعبد الرحمن ابن عبد الله على خراجكم من غير مصرفة مني بهما ولا اختيار ، الا ما اخبرت عنهما ، فان كان على ما تحبون فاحمدوا الله ، وان كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله " (٤) .

وكان امير المؤمنين رضي الله عنه يهتم بشفر خراسان اهتماما كبيرا فكتب بذلك الى عقبة بن زرع الحافي وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري قال " ان للسلطان اركاناً لا يثبت الا بها ، فالوالي ركن ، والقاضي ركن ، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع انا ، وليس من شفر المسلمين شفرهم الا انا

-
- ١ - البلاذري / فتوح البلدان ق ١ ص ٥٢٤ .
 - ٢ - ابن الجوزي / سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ .
 - ٣ - المصدر السابق / سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ .
 - ٤ - الطبري / تاريخ ، لا يدن ٢ / ١٣٥٧ ح ٦٦ ص ٥٦١ .

ولا اعظم عندي من شفر خراسان ، فاستوعب الخراج وحرزه في غير ظلم ، فان بك كافا لا اعلياتهم فسبيل ذلك ، والا فاكتب الي حتى احمل اليك الاموال فتوفر لهم اعلياتهم " (١) . فخراج خراسان لا يكفي نفقاتها ولذلك ترسل الماصمه على الدوام الاموال لسد النقص الحاصل وهذا فيه تعزيز لخراسان وهذا موقف اخرى لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من تشديد له لحصصه خراسان ، وذلك عندما قال ابو مجلز (لاحق بن حميد) لعمر بن عبد العزيز (انك وضعتنا بمنطقة التراب ، فاحمل اليها الاموال . قال يا ابا مجلز : قلبت الامور ، قال : يا امير المؤمنين اهولنا ام لك ؟ قال : بل هو لكيم اذا قصر خراجكم عن اعلياتكم ، قال فلا انت تحمله اليها ، ولا نحمله اليك وقد وضعت بعضه على بعض قال : احمله اليكي ان شاء الله " (٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز اذا استعمل واليا تقيا عادلا فانه لا يفرط به وحتى ان كان هذا الوالى كبيرا في السن ، فكتب الي ميعون بن لهراي " اجب الخراج الطيب واقضى ما استبان لك واذا التبت عليك امرا فارفعه الي فان الناس لو كانوا اذا كثر عليهم شئ تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا " (٣) .

فلم يكن انصافه من الولاة وتشدده في اموال الخراج مقتصر على رعيته وانما يتعد ذلك الى اقرب الناس اليه ، والذي يعتبر من صلبه ، السبي ابناؤه وان كانوا صفار السن ، لانه يخاف الله في اموال المسلمين ، وهذا

١ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ١٣٦٦/٢ ح ٦٨ ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ .

٢ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ١٣٦٧/٢ ح ٦٨ ص ٥٧١ .

٣ - ابن الجوزي / سيرة ، ص ٨١ .

ما حدث لعمر بن عبد العزيز مع ابنه الصغير السن ، الذي انتزع عمر التفاح من فميه لان عبد العزيز لم يقسم بعمد تفاح الطهي " (١) .

اما بالنسبة للارض الخراجية فان عمر بن عبد العزيز منع بيعها . وهذا كتاب من عامله على الزاج خراج الارون قال فيه : " اما بعمد ، فان وجسدت ارضا من ارض اهل الذمه بايدي اناس من المسلمين ، فما يرى اليه المؤمنين فيها ؟ فكتب اليه ان تلك ارض اوقفها اول المسلمين على اخرهم ، فاضع ذلك البيع ان شاء الله والسلام " (٢) .

١ - ابن الجوزي / سيرة ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
٢ - ابن عساكر / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٨٧ .

ثم آلت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) . وفى
بداية حكمه ظهرت الدعوة العباسية ، فقد كانت بداية صعبة له ، ومـ
ذلك اخذت الدولة فى الاتساع ، فحينما يأس اهل الصفد من حـ
المسلمين ، وطلبوا الحون من ملك فرغانة ، رفض مساعدتهم ، فطلبوا الصلح
وقد طلبوا الامان وان يردوا الى بلادهم ، فاشترط عليهم المسلمون * ان يردوا
من فى ايديهم من نساء العرب وذراريهم ، وان يؤدوا ما كسروا من الخـراج
ولا يفتالوا احد ، ولا يتخلف منهم بخجندة احد ، فان احدثوا حدثا
حلت دماؤهم * (١) ، ورغم انه انكسر الخراج فانهم رضوا ان يؤدوا ما كسروا
من الخراج ، والظاهر ان فى هذه المدة كان القريب او المقرب من الوالى يحظى
بأعلى المناصب وخاصة المناصب الخراجية ، والذي يسر مع الوالى عادة مـ
اقرانه ويصرفه ، والقريب من الوالى او الخليفة هو الذين يمين فى الوظائف
المهم ، فقد كان عمر بن هبيرة فى ليلة سمر مع مسلم بن سعيد بن اسلم
بعد انتهاء السمر وانصرف السمار ، كان بيد عمر بن هبيرة سفرجله رمى بها
مسلم ، وقال ايسرك ان اوليك خراسان ؟ قال : نعم ، فلما اصبح جلس ودخل
الناس " فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده وامره بالمسير ، وكتب الى
عمال الخراج ان يكاتبوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجيلة بن عبد الرحمن مولى
بأهله فولاه كرمان ، فقال جيلة : ما صنعت فى المولوية : كان مسلم يطمع
ان الى ولاية عظيمه ، فأوليه كورة ، فعقد له على خراسان وعقد لى على كرمان * (٢)

فهذا يبين مدى ما وصلت اليه الحال فى اختيار عمال الخراج ، فهذا
ما يوضحه تعجب جيلة من الامر فبعد ان كان مسلم يمين ان ينال كوره ، فاذ ا

١ - الطبرى / تاريخه لا يدين ١٤٤٤/٢ ح ٧ ص ٨ .

٢ - المصدر السابق ١٤٥٨/٢ ح ٧ ص ١٨ .

به يصبح على خراسان ، فهذا ان دل بانما يدل على ان فرض الخليفة فـسـى
 تمين العمال والولاء ، وهو ان يضمن الاموال التي تحمل اليه باى طريقة
 ولا عجب في ان العامل الذي يتولى الولاية او الخراج لا يجيد القراءة والكتابة
 لان هذا الذي كان سائدا بالنسبة للمدة التي تدرسها ، وقد جرت المصاه
 ان يكون لمتولى الخراج كاتباً ، فهذا زياد بن عبد الله بن عبد المدان ، لم
 يتعلم الا الشئ اليسير جدا حيث انه امضى خمس عشرة ليلة فقط على تعليم
 الكتابة والقراءة ، فوله خالد بن عبد الله القسرى على الرى ، وذلك على
 سبيل الصدفة ، في اثناء مجلسهم ، وصل طومار فقال القسرى لزياد اقراء هذا
 الطومار فقراء ما بين طرفيه فاذا هو من عالمه من الرى ، فقال القسرى " اخرج
 فقد وليتك عمله ، فخرجت حتى قدمت الرى ، فاخذت عامل الخراج ، فارسل
 الى : ان هذا اعرابي مجنون فان الامير لم " يول على الخراج عربيا قط ، وانما
 هو عامل على المصونه " (١) . وقد استعمل على الديوان اشخاص ثم صرفهم
 عنه ، وذلك ان يزيد بن عبد الملك " اعاد سليمان بن سعد الى البداوين ، ،
 وكان عفيفا عالما بصناعته ، وكان عمر بن عبد العزيز صرفه عن ديوان الخراج " (٢)

وفي هذه المدة تمت محاسبة العمال الذين ولو ايام عمر بن عبد العزيز
 وذلك عند ما قدم سعيد خزينة السعد " فأخذ عامل عبد الرحمن بن عبد الله
 القشيري الذين ولو ايام عمر بن عبد العزيز فحبسهم فكلهم فيهم عبد الرحمن
 بن عبد الله القشيري ، فقال له سعيد : قد رفع عليهم ان عندهم اسـوـالا

١ - الطبرى / تاريخ لايدن ٢ / ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ح ٧ ص ٢٨ .

٢ - الجهشباوى / الوزراء ص ٥٦ .

من الخراج قال : فانا اضمنه ، فضمن عنهم سبعمائه الف ثم لم ياخذ بهما" (١) .

وقد عرفنا ان عمر بن عبد العزيز امر بالخاء كثير من الضرائب ، اذا فكيف اصبح عند عماله امالا ؟ .

وقد استعمل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الخراج" (٢) واستعمل سليمان بن ابي السري على كسر ونسف حريمها وخراجها" (٣) .

١ - الطبري / تاريخ، لا يدن ١٤١٩/٢ ح ٦ ص ٦٠٦ .
٢ - المصدر السابق / تاريخ، لا يدن ١٣٩٠/٢ ح ٦ ص ٥٨٥ ، ٥٨٦ .
٣ - المصدر السابق / تاريخ، لا يدن ١٤٤٨/٢ ح ٧ ص ١١ .

وفى مدة حكم هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) ، نشطت الدعوة العباسية ، ونالت التأييد ، والتفالناس حول شعار " الرضى من آل البيت " اصف الى ذلك موقف الخارجين عن الدولة ، ثم انصرف بعض الولاة الى ملذاتهم ، ورغباتهم ، فقد ذكر انه حينما حج بالناس فى سنة خمس عشرة ومائة محمد بن هشام المخزومى فانه " حمل معه الخمر والملاهى والكلاب ، واراد ان يشرب بمكة المكرمة " (١) ، واميل الى ان هذه الرواية شيعية ، والمراد بها الدولة الاموية ، ثم ان الرواية تشير انه اراد ان يشرب ولكنه لم يشرب ، وفى هذه المدة كان يترنحون تحت ظلم الصالحين واساليبهم الشديدة ، وذلك حينما وجهه اشرس الى سمرقند ابو الصيدا (صالح بن طريف) ، وكان رجلا ذا ورع وفضل ، وكان على سمرقند الحسن بن ابي الصمط الكندى ، فدعا ابو الصيدا " اهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس " (٢) . فكتب الى اشرس ان " الخراج قد انكسر ، فكتب الى ابن ابي الصمط : بأن فى الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى ان اهل السند واشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا فى الاسلام تمودا من الجزية ، فانظر من اختن واقام الفرائض وحسن اسلامه ، وقرا سورة من القرآن فارفع عنه خراجه " (٣) ، وبعد ذلك عزل اشرس ابن ابي الصمط عن الخراج ، وصيره الى هانى بن هانى ، وقد ضم اليه الاشقيذ ، فقام ابو الصيدا بمنعهم من اخذ الجزية من اسلم ، فجاءه هاني بخارى

١ - عبد القادر الجيزى / درر الفوائد المنظمة ص ٢٠٧ .

٢ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ١٥٠٨ / ٢ ح ٧ ص ٢٥ .

٣ - الطبرى / تاريخ لا يدن ١٥٠٨ / ٢ ح ٧ ص ٥٥ .

الى اشرس فقالوا : " ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عربا " (١) .

فبذلك كتب اشرس الى هاني والى العمال " خذوا الخراج ممن كتسم تأخذون منه ، فاعادوا الجزية على من اسلم ، فامتنعوا واعتزل من اهل السغد سبعة الاف " (٢) ، وقد عزل اشرس ابن ابي المصطفي عن العمل واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي ، واحتال الاخير على ابو الصيدا حتى اسره وبذلك فالح هاني والعمال " في جباية الخراج ، واستخفوا بعظماء المعجم " (٣)

ومن هذا نجد ان من يسلم لم يعفمن دفع الخراج ، والمقصود بالخراج هي عملية تداخل بين لفظي الخراج والجزية ، ويدل كذلك على عدم وجود سياسته ثابتة بخصوص اعفاء من اسلم من دفع الجزية ، ثم ان اسلام بلاد ماوراء النهر كان خاضعا لمؤثرات خاصه ، ولم يكن كما يظهر عن ايمان ثابت ، والريه التي كانت لادارة الاقاليم في التصرف ، بعيدا عن استثمار المركز بالعاصمه .

ثم نرى ايضا صور التعذيب التي كانت موجودة ، حين سلب المجشر عميره بن مسعد على الدهاقين " فاقيموا ، وخرقت ثيابهم ، والقيت في اعناقهم واخذوا الجزية ممن اسلم من الضمفا " ، فكفرت السغد ، وبخار ، واستجاشوا الترك " (٤) .

١ - الطبري / تاريخ لايدن ١٥٠٩/٢ ح ٧ ص ٥٦ .

٢ - المرجع السابق ١٥٠٩/٢ ح ٧ ص ٥٦ .

٣ - الطبري / تاريخ لايدن ١٥٣٥/٢ ح ٧ ص ٥٦ .

٤ - الطبري / تاريخ لايدن ١٥١٠/٢ ح ٧ ص ٥٦ .

وكان للمصيبة اثر واضح في تحسين وضع الخراج ، وذلك عند ما استعمل نصر بن ميسار " على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ، واستعمل وشاح بن بكير بن وشاح على مور الروذ ، واما حفص بن علي خنته على خوارزم وقطن بن قتيبة على السغد : قال رجل من اهل الشام من اليمانية : ما رأيت عصابة مثل هذه . قال : بلى ، التي كانت قبل هذا فلم يستعمل اربع سنين الا مضربا ، وعمرت خراسان عمارة لم تحضر قبل ذلك ، ووضع الخراج ، واحسن الولاية والجباية (١) ، ورغم ذلك فان عملية التدقيق في جباية الخراج كانت من سمات هذه الدولة والاهتمام به ، ويجب ان نشير ان الدولة كانت حريصة على الخراج ، ولكن هناك من يحاول من القواد والخارجين من اثاره الفوضى ، وهذا ما بيناه ، وكذلك غزا نصر بن ميسار بلخ ما وراء النهر ، ثم قفل الى مـرو فخطب في الناس فقال " الا ان بهراميس كان مانح المجوس ، يمنحهم ويدفع عنهم ، ويحمل اثقالهم على المسلمين ، الا ان اشيداد بن خريجور كان مانح النصارى ، الا ان عقبة اليهودي يفعل ذلك الا أنى مانح المسلمين امنحهم وادفع عنهم واحمل اثقالهم على المشركين ، الا انه لا يقبل منى الا توفي الخراج على ما كتب ودفع " (٢) ، وكذلك نجد ان هناك صورة من صور امانة متولى الخراج في هذه المدة ، وذلك عند ما كتب يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك في نصر بن ميسار حسدا له ، وارسل لا مير المؤمنين الحكم بن الصلت الذي ذكاه يوسف عنده ، فسأل امير المؤمنين مقاتل بن عيسى السفدي عن الحكم بن الصلت قال مقاتل " ولى قرية يقال لها الغاريماب

١ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ١٦٦٥/٢ هـ ٧٧ ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

٢ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ١٦٨٩/٢ هـ ٧٧ ص ١٧٢ ، ١٧٤ .

خراجها سبعمون ألفا ، فاسره الحارث بن سريح ، قال ويحك ، وكيف اقلت منه ، قال : عرك اذنه وقفده وخلي سبيله " (١) ، فلما وصل الحكم بن الصلت الى هشام " يمدو بخراج المراق فرأى له جمالا وبيانا ، فكتب الى يوسف أن الحكم قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قبلك له سعة ، وغل الكنانى (نصر بن هشام) وعمله " (٢) ، وقد حمل على خراج سمرقند محمير بن سمرقند الشيبانسى . (٣)

وفى مدة حكم الوليد بن يزيد (الوليد الثانى) (١٢٥ - ١٢٦هـ) أن خالد بن عبد الله قد لاقى صنوف المذاب ، واخذ بخراج المراقين فالوليد حينما استخلف أمر صاحب شرطته سعيد بن غيلان بأخذ خالد بالمال الذى عليه من بقايا خراج المراقين والبسط عليه وقال : " اسمعنى صياحه " (٤) ، وقد عذب بالوان المذاب ، وقد طلب زياد بن عبد الرحمن الضمرى الذى كان معاندا لخالد محاسبه خالد ، فقال : " يا أمير المؤمنين على محاسبة خالد بخمسة آلاف الف درهم فسلمه الى " (٥) ، ثم سلمه بمحمد ذلك الى يوسف بن عمر الذى ذهب به الى واسط حتى قتل من المذاب .

-
- ١ - الطبرى / تاريخ لايدن ١٧٢٩/٢ ح ٧ ص ١٩٣ .
 - ٢ - الطبرى / تاريخ لايدن ١٧٢٩/٢ ح ٧ ص ١٩٣ .
 - ٣ - المصدر السابق / تاريخ لايدن ١٥١٦/٢ ح ٧ ص ٦٠ .
 - ٤ - ابن حنيفة الدينورى / الاخبار الطوال ص ٣٤٧ .
 - ٥ - المصدر السابق / الاخبار الطوال ص ٣٤٧ .

وفي حكم يزيد بن الوليد (١٢٦-١٢٧هـ)، السجون امتلأت بعمال الخراج وأهله ، وذلك عندما دخل الكوفة منصور بن جمهور " في سنة ١٢٦ ولا يام خلون من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، وأخرج المطا ، والأرزاق وأطلق من سجون يوسف من العمال وأهل الخراج " (١) .

وهذا يدل على تقليص صلاحيات العمال الواسعة ، وكذلك فيها إشارة تقيد عن وجود بعض العمال وأهل الخراج في السجن . وكان على خراج السواد في هذه المدة عمر بن الفضبان بن القبيذ وذلك عندما انتقل عبيد الله بن العباس الكندي الذي كان أهل الكوفة قد أرادوا إخراجاً من القصر ، فلما علم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز " فأرسل إلى ابن الفضبان فكساه وحمله ، وأحسن جائزته ، وولاه شرطه وخراج السواد والمحاسبات وأمره أن يفرض ، ونصر في ستين وسبعين " (٢) . وكان على الأربين كما قال محمد بن سعيد بن حسان الأربن " كتب عينا ليزيد بن الوليد بالأردن ، فلما اجتمع له ما يريد ولاني خراج الأربن " (٣) ، وهذا يبين أن ولاية الخراج لا تأتي عن كفاة من عامل الخراج وإنما بمن يرى فيه الخليفة مصلحة له أو لدوله .

وفي سنة ١٣٢هـ كان على ديوان الخراج خالد بن برمك (٤)

ولا بد من الإشارة إلى أن الدولة الأموية قد جمعت مقادير كبيرة من الجزية للخراج ، وكان جل اعتمادهم في ذلك على العراق والجزيرة والشام ومصر أما بقية الاطراق فكان خراجها في الأعم الاغلب يرصد لاحتياجات الولاية والتفطية أرزاق العمال والكتاب والجباة فيها .

- ١ - الطبري / تاريخ، لا يدن ١٨٤١/٢ ح ٧ ص ٢٧٣ .
- ٢ - المصدر السابق / تاريخ، لا يدن ١٨٥٥/٢ ح ٧ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
- ٣ - الطبري / تاريخ، لا يدن ١٨٣٣/٢ ح ٧ ص ٢٦٧ .
- ٤ - المصدر السابق / تاريخ، لا يدن ٢٢/٣ ح ٧ ص ٤٥٨ .

٢ - التهدل الحاصل في نسبة الجباية ووسائل تحديدها :

ان لا تساع الدولة الاسلامية في عهد الحكم الاموي الذي استمر من عام (٤٠) الى (١٣٢ هـ) ، وتعدد الاقاليم وبعدها عن العاصمة ، ثم التلاعب الذي حصل من قبل بعض الولاة والعمال في اموال الخراج وان تلك الاموال تدفع لاغراض شخصية وسياسية ، وظهور بعض القواد المتمردين والخارجيين عن الخلافة ، ويتوج هذا كله ظهور بعض الخلفاء الذين مالوا عن الطريق الصحيح ، واخذوا يبتذرون الاموال وخاصة الخراج ، ورغم هذا كله كانت تستخرج الدولة اموالا كثيرة تصرف في الاخرى في الاعمال العربية والمشاريع الداخلية ، ولا تريد ان نخوض في ذلك حتى لا يخرجنا عن بحثنا .

واما عمال الخراج فكان همهم توفير اموال القصر وكان يخشونهم ان قصروا في توفير تلك الاموال ، فقد كره يزيد بن المهلب ان يتقصد خراج المراق ، لان الحجاج قد خربه ، ثم انه لو عسف اهل بالمطالبة ان يذموه ، وان هو قصر في العسف ، فانه يخشى ان ينقص عما كان يستخرجه الحجاج ، فهذا التقصير لا يقبل منه ، ولذلك طلب الاستمفاً ، و اشار عليه بمصالح بن عبد الرحمن (١) .

فلقد كانت ولاية الخراج تسبب احراجا لمن يتقدها مثل يزيد بن المهلب في حين ان بعضهم يقدم الهدايا من اجل الوصول اليها مثل الجنيد بن عبد الرحمن الذي اصبح على خراسان ، فانه " اى اهدى لام حكيم ينت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة في جوهر ، فاعجبت هشاما ، فاهدى الى هشام

قلادة اخرى فاستعمل وحمله على ثمانين من الحرير" (١) ، وأن قسما من الممال دفعوا الاموال من أجل البقاء في ولاياتهم مثل صاحب خراج الري في ولايته زياد بن عبيد الله بن عبد المدان ، فكتب الى خالد بن عبد الله القسري " أنك بمشتني على الري ، فظننت أنك جمعتها لي ، فأرسل الي صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطيني ثلثائه ألف درهم ، فكتب الي أن أقبـل ما أعطاك" (٢) ، ومن النصين السابقين يتضح أن الذين يرغبون في الولايات كانوا اصحاب مطامع .

وتشير المصادر الى أن رواتب الولاة كانت كبيرة وأن الخلفاء كانوا يطمعون بها ولا تهم فذكر ابن الأثير أن " خالد القسري الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف . . . وقيل كانت غلته عشرين ألف" (٣) .

وكذلك بلغ رزق يزيد بن عمر بن هبيرة امير العراق في اواخر بني امية (٦٠٠ . . . ٦٠٠ درهم) (٤) .

ان جباية الخراج في الدولة الأموية كان يختلف باختلاف المقاطعة فقد ذكر الماوردي أن " هذا الاختلاف النواحي بحسب ما تحتله" (٥) .

-
- ١ - ابن الاثير / الكامل ٥ ص ١٥٦ .
 - ٢ - الطبري / تاريخ لا يدن ١٢٧٠ / ٢ - ١٤٧١ ح ٧ ص ٢٨ .
 - ٣ - ابن الاثير / الكامل ٥ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، ابن خلدون / تاريخ ح ٣ ص ٩٦ .
 - ٤ - ابن خلکان / وفيات الأعيان ح ٢ ص ٢٨١ .
 - ٥ - الماوردي / الاحكام ص ١٧٥ .

فالسواد في أول أيام الفرس كان جاريا على المقاسمه ، الى عهد قبلار بن فيروز ، الذى حوله الى المساحه ، وذلك بسبب قصة المرأة التى منعت ابنها من أخذ شئ* من الرومان ، كما ذكرنا القصة ثم أقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه السواد على المساحه ، وقد اتبع بنوا أمية هذه الطريقة فى الجباية . وقد استرجع معاوية بن ابي سفيان النظام الساسانى فى الجباية وذلك عندما قلد عبيد الله بن دراج خراج العراق* ، وطلب أهل السواد ان يهدوا له الفيروز والمهرجان ، ففعلوا فبلغ ذلك عشرة الاف الف درهم فى سنة* (١) ، وكذلك استخرج عبد الله لمعاوية من الارض البطائح* ما بلغت غلته خمسة الاف الف ، وذلك انه قطع القصب وطلب الماء بالمسنيات* (٢) ،

وفى عهد معاوية كانوا يستعملون اكثر من جاب ، فلما ولى زياد العراق استعمل الحكم ابن عمرو الغفارى على خراسان وجعل معه رجلا على كور ، وامرهم بطاعته ، فكانوا على جباية الخراج وهم* اسلمة بن زرعه ، وخليد بن عبد الله الحنفى ، ونافع بن خالد الطاحى ، ورهيمه بن عسل اليربوعى ، وأمير ابن احمر اليشكرى ، وحاتم بن النعمان الباهلى* (٣) .

وقد جباى السواد عبيد الله بن زياد* مائة الف الف وخمسه وثلاثين الف الف درهم بخشمة وظلم* (٤) ، اى (١٣٥ مليون) وكان هذا على عهد يزيد بن معاوية ، وفى عهدة ايضا تحول خراج مرو من خراج عين الى المال

-
- ١ - الجهمشيارى / الوزرا* والكتاب ص ٢٤ .
 - ٢ - البلاذرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٢٥٨ .
 - ٣ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ٨١/٢ ح ٥ ص ٢٢٥ .
 - ٤ - الماوردى / الاحكام ص ١٣٥ .

وذلك حينما أرسل مرزيان مرد الشاهجان يسأل الصلح فوجه ابن عامر السبي مرو حاتم بن النعمان ، فذكر البلاذري " صالحه علي وصائب ووصفاء ودواب ومتاع ، ولم يكن عند القوم يومئذ عين وكان الخراج كله علي ذلك حتى ولسي يزيد بن معاوية قصيرة مالا " (١) ، وقد كان خراج العراق علي عهد معاوية بن يزيد اقل ، فان عبد الرحمن بن ابي بكره وزاد ان فروج وقما فيهنسي عند معاوية حتى ذكر قشور الارز فبلغنا " بخراج العراق مائة الف الف " (٢) ، اي (١٠٠ مليون) ، وفي هذه المدة استعمل الدهاقين في جباية الخراج ، فذكر عبيد الله بن زياد ان معاوية بن يزيد قد " خيره بين الضمان والمزل فكرهت المزل ، فكت اذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدمت اليه او اغرمت صدور قومه ، او عزمت عسيرته اضرت بهم ، وان تركته تركت مال اليه وانا اعرف مكانه ، فوجدت الدهاقين ابصر الجباية وأوفى بالأمانة واهون في المطالبة منكم " (٣) ، وهذا حديث عبيد الله بن زياد ليساف بن شريح الشكري ، حيث يوضح له أسباب استمرار الدهاقين في مراكزهم في القرى بعد استقرار الفتح الاسلامي للعراق .

وفي عهد عبد الملك بن مروان ، بعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري الى الجزيرة فجعل " علي كل مائة جريب رزق ما قرب : دينار ، وعلى مائتي جريب ما بعد : دينار " (٤) ، وقد جبي الحجاج الزاج في السواد

-
- ١ - البلاذري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٥٠١ - ٥٠٢ .
 - ٢ - الطبري / تاريخ لا يدن ٤٥٧/٢ ح ٥ ص ٥٢٢ .
 - ٣ - المصدر السابق / تاريخ لا يدن ٤٥٨/٢ ح ٥ ص ٥٢٢ - ٥٢٣ ، ابن الاثير / الكامل ٤ م ص ١٤٠ - ١٤١ .
 - ٤ - الرجعي / الرتاج ح ١ ص ٢٨٣ .

"مائة الف الف وثمانية عشر الف الف بفشمة وخرابه" (١)، أى (١١٨ مليون درهم) ، وذكر البلاذرى ان خراج السواد فى عهد الحجاج صار السى "اربعين الف الف درهم" (٢)، أى (٤٠ مليون درهم) .

وهنا نقطة يجب الاشارة اليها ، ان الاختلاف بين الماوردى والبلاذرى فى ارقام جباه السواد ، فلا يمكن ان نميل الى احد منهما لعدم ذكر السنة وتعدد سنين حكم الحجاج ، حتى ان الرقم الذى وضعه جرجى زيدان الذى حدد فيه العام بـ (٨٥ هـ) وقال ان جباية الحجاج بن يوسف بلغهم ~~ست~~ (١٨٨ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم) (٣) ، لا يمكن ان نرفضه بسبب عدة السنين التى حكمها الحجاج للمراق ، وربما كل واحد منهم ذكر خراج مفايمة للآخر .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز فقد جباه رحمه الله "مائة الف الف وعشرين الف الف بعد له وعمارته" (٤) ، أى (١٢٠ مليون درهم) ، وان ~~عمر~~ بن هبيرة يجبه (مائة الف الف سوى طعام الجند وارزاق المقاطعه" (٥) يعنى (١٠٠ مليون درهم) ، وقد جمع خراج السواد ايضا يوسف بن عمر فجاها ، (مائة الف الف درهم) (٦) أى (١٠٠ مليون درهم) ، وكان يوسف يحصل منه فى كل سنة من (ستين الف الف الى سبعين الف الف) (٧) ، أى (من ٦٠ مليون الى ٧٠ مليون درهم) .

-
- ١ - الماوردى / الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .
 - ٢ - البلاذرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٣٢ .
 - ٣ - جرجى زيدان / تاريخ المتمدن / ح ١ ص ٢٣٣ .
 - ٤ - الماوردى / الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .
 - ٥ - المصدر السابق / الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .
 - ٦ - جرجى زيدان / تاريخ المتمدن ح ٢ ص ٢٤ .
 - ٧ - الماوردى / الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .

اما بالنسبة لمصر ، لقد اهتم الخلفاء الامويون بخراجها وتشديدوا
في امر الجباية ، وبإى وسيله ، ففي عهد سليمان بن عبد الملك ، ان اسامة
بن زيد ولي الخراج بمصر ، فكتب الى أمير المؤمنين " انى جئتكَ حتى انهكت
الرعيه وجهدت ، فان رايت ان نرفق بها ونرفع عنها ونخفف من خراجها
ما تقوى به على عماره بلادها وصلاح معاشها فافعل فانه يستدرك ذلك
فى العام المقبل ، فقال له سليمان هيلتك امسك احلب الدر فاذا انقطع
فاحلب الدم والنجاة " (١) ، وقد ظهر هنا ان بعض خلفاء بنى أميه قصد
شددوا على أمر الجباية تشديدا كبيرا فلم تكن لهم نظرة صائبة فى تيسير أمور النزاع
والتخفيف عنهم خلافا لما سار عليه الخلفاء الراشدون ، وقد جباها اسامة
بن زيد فى هذه المدة (أى فى عهد سليمان) (١٢ ٠٠٠ ٠٠٠) (٢) دينار
وقد جباها عمرو بن العاص من قبل (١٢٠٠ ٠٠٠) (٣) ، وجبا ايضا عبد الله
بن أبى سرح (٤٠٠ ٠٠٠ دينار) (٤) ، وجباها ايضا عبید الله بن
الحجاب (٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠) (٥) .

وهناك ايضا ضرائب كانت تأخذ تابعه الخراج ، فقد اضاف معاوية
بن أبى سفيان على الاهالى هدية الفيروز والمهرجان ، والذي يلى

-
- ١ - الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٥١ ، ٥٢ .
 - ٢ - المفريزى / خطط حد ٢ ص ٤٩٢ .
 - ٣ - المصدر السابق / خطط حد ٢ ص ٤٩٢ .
 - ٤ - المصدر السابق / خطط حد ٢ ص ٤٩٢ .
 - ٥ - المفريزى / خطط حد ٢ ص ٤٩٢ .

عشرة الف الف درهم" (١) ، اي (١٠ ملايين درهم) ، وكان أيضا من ضمن الضرائب المفروضة التابعة للخراج في عهد هذه الدولة وأصبحت تؤخذ من أجل الخراج ، في عهد عمر بن عبد العزيز الذي منعها ، ومنعها يدل على وجودها ، حيث أمر ألا يؤخذ أجور الضرائب ، ولا هديه الفيروز والمهرجان ووزن سبعة ليس فيها به ، وإذا به الفضة وثمان الصهب ، وأجور الفيروج وأجور البهوت ، ودرهم النكاح ، وعلى من أسلم " (٢) ، وقد ورد النص حرفيا سابقا .

وقد استحدث أيضا في عهد هذه الدولة ضرائب ، لم يكن لها وجود في عهد الراشدين ، فقد فرضت ضريبة (المكس) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة صاحب مكس) (٣) .

وبعد هذا المرض اتضح أن شخصية الخليفة طمعدورا كبيرا في سير العمل ، فمضى كان الخليفة يسير في طريق الحق ، ولا تأخذه في الله لومة لائم . شديدا في الحق في أموال المسلمين ، حتى أن العمال الذين لهم اطماع لا يتقربون من هذه المناصب ويكون على العكس من ذلك ، فإذا كان الخليفة منصرفا لرغباته ولهوه ، فالحال من باب أولى للعمال .

-
- ١ - الجهشيارى / الوزن والكتايب ص ٢٤ .
 - ٢ - الرجى / الرتاج ص ١ ص ٥٧٧ الى ٥٨٥ .
 - ✳ - المكس : ضريبة تؤخذ من التجار في الراصد (الخوارزمى / مفاتيح العلوم ص ٤٠ .
 - ٣ - أبى داود : سننه ح ٣ ص ١٨٢ .
- وذكر جرجى زيدان أن المكس " من الضرائب التي تؤخذ في الاسلام " ح ١ ، ص ٢٣٥ .

٣ - وسائل الجباية :

لقد اتبع الامويون في جباية الخراج عدة وسائل فرضت على الارض الخراجية وكان من اهم وسائل الجباية في هذه المدة هي :

١ - الوظيفة * :

ويسمى خراج الوظيفة والمواظفة ايضا وهو شئ معين ممن النقد او الطعام يوضع الامام عليه كما وضع عمر رضى الله عنه على سواد العراق لكل جريب صاعا من براو شعير درهما . (١)

وهي ضريبة معلومه سنوية تدفع بغض النظر ما اذا زرعـت الارض ام لم تزرع ودون حاجه الى اعتبار جديد لمساحهـها وملاحـها ، وقد ذكره الفتاوى الهندية ان خراج الوظيفة " ان يكون الواجب شيئا في الذمه يتملق بالتمكين من الانتفاع بالارض " (٢) ، وكان توظيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما تحتله الارض فذكر ابو يوسف فقال " نظرت في خراج السواد وفي الوجوه التي يجبي عليها وجمعت في ذلك اهل الملسم

* - الوظيفة : وتأتى بمعنى الطسق : الوظيفة توضع على اصناف الزرع لكل جريب وهو بالفارسية تشك وهو الاجر (الخوارزمي / مفاتيح العلوم ص ٤) .
التوظيف : ان يوظف على عامل حمل مال معلوم الى اجل مفروض فالمال هو الوظيفة (الخوارزمي / مفاتيح ص ٤١) .

- ١ - الترمذى / موسوعه اصطلاحات ج ٢ ص ٤٠٩ .
- ٢ - شيخ نظام / الفتاوى الهندية ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

بالخراج وغيرهم وناظرتهم فيه فكل قد قال فيه بما لا يحل العمل به ، فناظرتهم فيما كان وظيف عليهم في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في خراج الارض واحتمال ارضهم ان ذلك لتلك الوظيفة حتى قال عمر لحذيفة وعثمان بن حنيف رضى الله عنهم ، لعلكما حملنا الارض مالا تطيق^(١) ، وفي توظيف عمر رضى الله تعالى عنه الخراج على الارض حينما قال رضى الله عنه لابن حنيف " والله لئن وضعت على كل جريب من الارض درهما وقفيزا من طعام لا يشق ذلك عليهم ولا يجهدهم " (٢) ، فوضح عمر رضى الله تعالى عنه للخراج ووظيفة على اهله ، وجعله على الارضين التى تغل من ذوات الحبوب والثمار ، ومن الامثلة التى تبين ان الامويين اتبعوا اسلوب الوظيفة في الخراج ، ما ذكره البلاذرى وأتى محمد بن القاسم البيروني . وكان اهلهم ————— بمشوا سميئة منهم الى الحجاج فصالحوه فاقاموا لمحمد الملوقة وادخلوه مد ينتهم ، ووفوا بالصالح ، وجعل محمد لا يمر بمدينة الا فتحها ، حتى عبر نهرادون مهران ، فاتاه سميئة سرمد من فصالحوه عن من خلفهم ، ووظف عليهم الخراج وسار الى اسبهان ففتحها " (٣) .

فنلاحظ ان الخراج " وظيفة " توظف على الناس في هذه المنطقة

التي مربها .

-
- ١ - ابو يوسف / الخراج ص ٥١ .
 - ٢ - ابو عبيد / الاموال ص ٩٠ .
 - ٣ - البلاذرى / فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٣٦ .

ب - المقاسمة *

وهو جز " معين من الخارج يوضع الامام عليه كما يوضع ربيع او ثلث ونحوها ، ونصف الخارج غاية الطاقة . بمعنى أن خراج المقاسمة يعتبر على التمر والزرع ، وانه قابل للزيادة والنقص ، فذكر ابن رجب " ويمتبر الخراج الى المقاسمة على التمر والزرع هو من انواع تغير الخراج بالزيادة تارة وبالنقص اخرى " (٢) . وهذا معتبرا بكمال الزرع وتصفية ، واما الارض فيتركها على ملكهم منا عليهم فذكر الحيني ان " خراج المقاسمة ان توظف الامام فى الخارج شيئا مقدرا عشرة او ثلثا او ربعا ويترك الاراضى على ملكهم منا عليهم " (٣) .

وكان نظام المقاسمة سائدا فى ارض السواد الا ان كسرى قبان حوله من المقاسمة الى المساحة ، فذكر ابن رجب " ان كسرى قبان بن فيروز ركب فى بعض الايام للتصيد ، فانفرد عن اصحابه فى طلب طريدة فاشرف على بستان فيه ثمرة وامرأة تخبز ومعها ابن لها فكان الصبي كلما هم بأخذ شىء من الثمرة من البستان تركت امه خبزها ومنعته من تناول شىء من الثمرة فناداهما كسرى قبان لم تمنع الصبي من ذلك فقالت انها مقاسمة

* - المقاسمة : خراج المقاسمة : هو ان يوظف فى الخارج من الارض شىء

مقدر كريمة وخمسة ونحو ذلك (الرحبى / الرتاج ج ١ ص ٣٥ .

١ - التهانوى / موسوعة اصطلاحات ج ٢ ص ٤٠٩ .

٢ - ابن رجب // الاستخراج ص ٦٩ ، ٧٠ .

٣ - الحيني / عمدة القارى ج ٥ ص ٦٦٠ .

للملك فيها حق ولم يأت عاملة ليقبضة فرق لها قباز وأمر بإطلاق الفسيلات
والشمار لأهل السواد ووضع على ذلك المصايح والزم أهلها الخراج (١) ، وفى
حقيقة الامران صاحب هذه الفكرة كسرى والد قباز . (٢) ، ونظام المقاسمه كان
مطبقا عند الفرس اذا كانوا " يقاسمون الناس على ثمارهم وفلاتهم " (٣) ،
والمقاسمه عند الأمويين تعنى المصادرة وهو نظام كان العمال يؤخذون به
عند اعتزالهم العمل أو الموت بدفع نصف الثروة التى جمعوها ، وهى حجة
اتخذها معاوية بن أبى سفيان بما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه ، وبذلك اخذ معاوية وبعض خلفاء بنى أميه فى مقاسمه العمال
" وكانت مشاطرة عمر عماله حجه اتخذها معاوية بعد ذلك فى مشاطرة العمال
فلم يكن يموت له عامل الا مشاطرة ورثته وهو يقول سنبا عمر ، ثم تدرج الى
استصفا اموال الرعية وهو أول من فعل ذلك " (٤) .

وخاصة اذا تبين أن روايتهم لا تسمح لهم بجمع مثلها ، وبذلك
استطاع معاوية ان يرد تقريبا نصف الثروة التى كان قد جمعها الى بيت
المال .

-
- ١ - ابن رجب / الاستخراج ص ٨ .
 - ٢ - الجهشيارى / الوزراء والكتايب ص ٤ .
 - ٣ - المصدر السابق / الوزراء والكتايب ص ٤ .
 - ٤ - ابن الفقيه / مختصر كتاب البلدان ، ص ١٠٩ .

ح - المساحة :

وقد عرفنا ان اول من عمل بنظام المساحة " كسرى والد قهاز " حين امر " بمساحة الارض ، وعدد النخل والشجر ولزم على وضع وضائع الخراج ، فهلك قبل تمام ذلك " (١) ، واتسم ذلك ابنه كما عرفنا ، واستمر العمل به حتى اعاد (محمد المهدى) الخراج الى المقاسمة ، وان هناك خراج على مساحة الارض ، وخراج على مساحة الزرع ، فاذا كان الخراج على مساحة الارض فانه " معتبر بالسنة الهلالية " (٢) ، أى " هجرية قمرية " ، وان كان الخراج على مساحة الزرع فان الخراج " معتبر بالسنة الشمسية " (٣) ، أى " هجرية شمسية " ، وخراج المساحة بصفة عامه حق معلوم على مساحة معلومه ، وكان الامويون يأخذون الخراج على مساحة الارض ، فيؤخذ على الارض مال معين زرعت ام لم تزرع . وقد كان العمال يجورون فمضى ذلك على اصحاب الارض من اهل الذمه فى تحصيل الخراج ، حتى ان الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى اخذ الفضل من اموال السواد فمنعه وكتب " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وابق لهم لحوماً يعقدون بها شحوما " (٤)

-
- ١ - الجهمشيارى / الوزراء ص ٤ .
 - ٢ - الماوردى / الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .
 - ٣ - المصدر السابق / الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .
 - ٤ - الماوردى / الأحكام السلطانية ص ١٤٩ .

د - المقاطعة :

وخراج المقاطعة كان يعمل به منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وذلك عندما كتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يذكر له " كثره اهل البصرة ، وعجز خراجهم ، ويسأل الله ان يزيدهم احد الماهين او ما سبذان " (١) ، فهذا خراج مقاطعة وليس على المساحه ، وهذا النظام كان منتشرا في المشرق في عهد الدولة الاموية ، فذكر الطبرى ان خالد بن عبد الله ولي المهلب الاهواز وابنة اصطخر فقال المهلب لابنه المفيرة " ان خالد ولانى الاهواز ، وولاك اصطخر ، وقد اخذنى الحجاج بالف الف ، فنصف على ونصف عليك " (٢) ، ولم يكن عند المهلب مال ، فكلم فى ذلك ابا ماوية مولى عبد الله بن عامر ، وكان ابو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر " فاسلف المهلب ثلثمائة الف ، فقالت خيرة القشيرية امرأة المهلب هذا لا يفي بما عليك ، فباعت حثيا لها ومتاعا ، فأكمل خمسمائة الف وحمل المفيرة الى ابيه خمسمائة الف ، فحطمها الى الحجاج ووجه المهلب ابنه حبيبا على مقدمة فأتى الحجاج فودعه ، فأمر الحجاج له بحشرة الاف وبغلة خضراء " (٣) ، ومن هذا يبدو ان جباية الخراج لم تلتزم بالنسبة المئوية التى يجبى

-
- ١ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ٢٦٧٢/١ هـ ٤ ص ١٦٠ ، ١٦١ .
 - ٢ - المصدر السابق / تاريخ ، لا يدن ٢٠٣٤/٢ ، ٢٠٣٥ هـ ٦ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .
 - ٣ - الطبرى / تاريخ ، لا يدن ٢٠٣٤/٢ ، ٢٠٣٥ هـ ٦ ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

من الانتاج ، اذا ان نظام المقاطعة كما يبدو كان شائعا
في المقاطعات الشرقية من الدولة الاسلامية ، ولعل من
دوافع ذلك الرغبة في استقرار ايرادات الدولة من جهة
وايضا الرغبة في تقليص النفقات التي تصاحب عادة عملية
الجباية من جهة اخرى .

.....

الفصل الرابع

الخروج في العصر العباسي الأول

١- تبدل النظرة إلى الأرض الخراجية عند العباسيين

٢- تطور أساليب الجباية عند العباسيين

٣- الضيالة

٤- الضمان

٥- الجهبذة

٦- وسائل أخرى

٧- ظهور الاختلاف بين النظرية والتطبيق

(الفصل الرابع)

(الخُلاص في العصر العباسي الاول)

١ - تبدل النظرة الى أرض الخراج :

وعندما آل الامر الى الدولة العباسية في سنة (٣٢ هـ) ، واصبحت الاراضى على انواع مختلفة ، فهذا اما دفع بالعباسيين في عصرهم الاول الى اعادة النظر في رسم الاسس والمبادئ ، ووضعها على اساس نظام اقتصادى سليم ، ولحل من اهم ما يميز اقتصاد هذا العصر ، ظهور النظام الفارسي الاصل (نظام الكبس) ، فقد اعطى الدكتور صبحى الصالح شرحا موجزا مستمدا من المقرئى والبيرونى وخلاصة هذا النظام " ان الفرس حددوا ميقات البد " في بداية الزاج يقوم الفيروز الذى هو أجل اعيادهم ، وأول ايام السنة عندهم وكانت السنة في تقويمهم الخاص مكونة من اثني عشر شهرا كاملة كل واحد منها يتألف من ثلاثين يوما ، فعدة السنة عندهم (٣٦٠) يوما ، لكنهم ————— رجوعا على زيادة خمسة ايام بين الشهر الثامن والشهر التاسع من سنتهم هذه فأصبحت عدة الايام في العام الواحد ثلاث مئة وخمسة وستين يوما ، ومن المعروف ان عدة ايام السنة الشمسية في الحقيقة ٣٦٥ يوم و ١ الساعة فاذا تعاقبت مئة وعشرون سنة اجتمع من ربيع اليوم شهر كاملا ومن خمس الساعة يوم واحد فكان المجموع ٣١ يوما لو تعاقبت مئة وست عشر سنة فقط من ربيع اليوم

* — ان اول من اتخذ الفيروز جمشية ويقال حمشاد احد ملوك الفرس الاول ، ومعنى الفيروز اليوم الجديد ، والفيروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي (انظر المقرئى / الخطط ج ٢ ص ٣١) .

وخمسة الساعة شهرا تاما من ثلاثين يوما فقط ، فرأى الفرس كلما تعاقبت
١١٦ سنة ، ان يسموا سنتهم كبيسة لأنهم يكبسون شهرا كاملا يلحقون سنة
بها فتصبح ثلاثة عشر شهرا ، وكانوا في هذه الحالة يؤخذون ميقات الفيروز
شهرا كاملا (١) ، فدخل هذا النظام الى الدولة العباسية ، وفي عهد
الخليفة العباسي (جعفر المتوكل) ، لأن المسلمين تحرزوا في كبس السنة في
البداية خشية الوقوع في النسيء الذي جاء في القرآن الكريم قاله الله تعالى
(اما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما
ليواطئوا عدة ما حرم فحلوا ما حرم الله) (٢) ، وفي تفسير هذه الآية " أي التأخير
لحرمة شهر الى آخره كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذا حل
وهم في القتال الى صفر لكفرهم بحكم الله فيه . . . (٣) ، وكان هذا النظام (نظام
الكبس) ان يصود في عهد الدولة الأموية ، وخاصة في زمن الخليفة هشام
بن عبد الملك ، ولكن حينما تقلد الحراق خالد بن عبد الله القسري فسي
زمن الخليفة " حضر الوقت الذي تكبس فيه الفرس ، منعها (خالد) من ذلك
وقال هذا من النسيء الذي نهى الله عنه . . .

وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه أمير المؤمنين ، فهدلوا على ذلك
ملا جليلا فأمتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرفه بذلك
ويستأمره ويحله نفسه من النسيء الذي نهى الله عنه ، فأمر بمنعهم من ذلك (٤)

١ - صبحي الصالح / النظم ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

٢ - سورة التوبة ج ١٠ ، آية ٣٨ .

٣ - تفسير الجلالين ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٤ - المقرئ / خطب ج ٢ ص ٤١ .

وقد حاول يحيى بن خالد البرمكي في عهد الرشيد تأخير الفسسيروز شهرين رمى بالتعصب للمجوسية ، فأثر المدول عن هذا التأخير ، (١) ولهذا تحرز المسلمون في الأخذ بهذا النظام ، ولكن لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية ، ذكر المقرئى انهم " اسقطوا عن رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية سمو ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب " (٢) ، وبذلك اخذ به المتوكل ، ولا اهمية هذه الظاهرة في عصر الدولة العباسية ورغم انها كانت في وقت متأخر عن بحثنا الا ان تلك الاهمية دفعت الى ذكرها وذلك لعلاقتها الوطنية او بالأصح لما لها من التأثير البالغ في جباية الخراج واثرها على الأرض الخراجية .

أما نظر الدولة العباسية للأرض الخراجية فيذكر ابو يوسف " وان اشترى رجل من أهل الذمة - سوى نصارى - بنى تغلب - أرضا من أرض العشر فسانها حنيفة قال اضع عليها الخراج ثم لا احولها عن ذلك وان باعها من مسلم من قبل انه لا زكاة على الذمي ، والعشر زكاة فاحولها الى الخراج وانا اقول : ان يوضع عليها المشر مضاعفا فهو خراجها ، فاذا رجعت الى مسلم بشمرا " واسلم النصران اعدتها الى المشر الذي كان عليها في الأصل " (٣) ، وبذلك نرى ان رأى ابو حنيفة كان يمثل الرأى الرسمى للإدارة العباسية ، لانهم اعتمدت على المذهب الحنفى ، وقد شاع أيضا تحويل الأرض الخراجية الى عشرية

١ - صبي الصالح / النظم ص ٣٩١ .

٢ - المقرئى / الخطط ص ٢٩ .

٣ - ابو يوسف / الخراج ص ١٣١ .

فيذكر البلازري ان " قسطنطين الطاغية اناخ عليها (شمشاط) بعهد نزولة في مطية في سنة ثلاث وثلاثين ومئة قلم يمكنه فيها شيء فاغار على ما حولها ، ثم انصرف ولم تنزل شمشاط خراجية حتى صبرها المتوكل على الله رحمه الله عشرة اسوة بغيرها من الثفور " (١) .

فالجملة الأخيرة " اسوة بغيرها من الثفور " تشير الى انه تم تحويل ثفور كثيرة من الارض الخراجية الى عشرية .

وكانت طريقة ملوك الشرق التابعين للخلافة العباسية في الكتب التي يكتبونها اليهم ، وخاصة فيما يتعلق بالناحية المالية فيذكر القلقشندي انه يكتب في الابتداء " هذا كتاب " ثم يذكر عرض امره على الخليفة واستكشاف خير ما تقع عليه المقاطعة ومن الدواوين وموافقة قولهم بما ذكر في رقعة ، ويذكر ان امير المؤمنين وذلك السلطان امضا امر تلك المقاطعة وقرارة . ثم ربما وقع تسويخ * ما وجب البيت المال لصاحب المقاطعة زيادة عليها ليكسبون في المعنى انه باشرها " (٢) .

ونظرا لاهمية الخراج في الدولة العباسية ، فكان يختار له هذا المنصب اكفاء النابغ وخاصة في الفصاحة ، فحينما آلت الامور الى الدولة العباسية وفي عهد اول خلفائها ابو العباس السفاح الذي حكم (١٣٢ - ١٣٦ هـ) ، عجب بخالد البرمكي وفصاحته فقلده " ديوان الخراج " (٣) .

-
- ١- البلازري / فتوح البلدان ق ١ ص ٢١٩ .
 - *- التسويخ : ان يسوع الرجل شيئا من خراجة في السنة وكذلك الخطيئة والتركة . الخوازمي / مفاتيح ص ٤٠ .
 - ٢- القلقشندي / صبح الاعشى ج ١ ص ١٣٩ .
 - ٣- الطبري / تاريخ لا يدن ٢ / ٧٥ ص ٤٦٠ ، الجهمشيارى / الوزراء والكتايب ص ٨٩ .

وهذا بالإضافة الى ما كان يتقلده خالد في هذه الحده من عدة مناصب

وبعده ال الأمر الى أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ثانى خلفاء الدولة العباسية ويعتبر من عظماء الطوك وخذ مائهم وذو الاراء المائيه وقد اهتم بتعديل السواد في العراق الذى يقابل الروك في مصر فذكر الجهمشيارى ان المنصور قد " حماد التركي تعديل السواد ، وأمره ان ينزل الأنبار ولا يدع احدا من اهل الذمه لاحد من العمال على المسلمين الا قطع يده ، فأخذ حماد ما هو فيه الواسطى ، حد سليمان بن وهب منقطع يده " (١) .

وكذلك اهتم بعدم تحويل الاراضى الخراجية الى عشرية ، وأنه بحث عمال الى الشام لكي يميزوا بين انواع الاراضى ، والنظر فى وظائفها واعادة تقويمها بواسطة المعدلين ، فذكر ابن عساكر انه " فلما افضى الامر الى أبى جعفر عبد الله بن محمد أمير المؤمنين ، رفعت اليه تلك الاشريه وانها تؤدى العشر ولا جزية عليها ، وان ذلك أضرب بالخراج وكسره فـاراد ردها الى اهلها ففعل له : قد وقعت فى المواريث والمهور واختلط امرهما فبحث المعدلين الى كورة الشام سنه اربعين * او احد واربعين منهم : عبد الله بن يزيد الى حمص واسماعيل بن عياش الى حلبك ، فى اشارة لهم فعدلوا تلك الاشريه على من هى بيده شري او ميراث او مهر ، وعدلوا ما بقى بايدي الانباط من بقية الأرض على تعديل مسمى ، ولم يعدلوا الخوطه ففى

١- الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٣٤ .

*- يعنى سنة ١٤٠ او ١٤١ هـ .

تلك السنة وكان من كان بيده شيء من تلك الاشربة من اهل الفوطة يسودى العشر " (١) .

وقد دفع أعسر المؤمنين الى ذلك ما قد رآه من تصرفات الامويين فى اراضى الخراج ومثال على ذلك قال ابن عساكر " ان عبد الملك (بن مروان) سئل القطاع ، وقد مضت تلك المزارع لاهلها فلم يبق منها شيء فنظر عبد الملك الى ارض من ارض الخراج وقد باد اهلها ولم يتركوا عقباً فاقطعهم منها ورفع ما كان عليها من خراجها عن اهل الخراج " (٢) .

وقد عرفنا ايضا ان الخليفة الاموى التقي عمر بن عبد العزيز قد منع ذلك ، وبحكم ان ارض الخراج فى يملكه جميع المسلمين ، ولكن بعد وفاته عاد الامر كما كان ولذلك اهتم ابو جعفر المنصور بالارض الخراجية ولم يسمح لاحد بتحويل اراضى الخراج الى ارض عشر ، لان التحويل فى اضرار بالخراج وكسره ، فهذا فيه اضرار بموارد الدولة المالية ، التى بها تسير البلاد وبها اطاعة الحكام فقد قال المنصور لابنه المهدى " لا يصلح السلطان الا بالتقوى ولا تصلح رعيته الا بالطاعة ولا تضر البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته الا بالمال " (٣) .

وحينما رخصت الاسعار فاصبحت لم تنف الفلات بخراجها ، عدل بهم المنصور رحمه الله عن الخراج الى المقاسمه " فجعله المنصور مقاسمه حيث

-
- ١- ابن عساكر / تاريخ مدينة دمشق ١٢ ص ٥٩٦ .
 - ٢- المصدر نفسه / تاريخ مدينة دمشق ١٢ ص ٥٩٥ .
 - ٣- الدابري / تاريخ ٤٠٤/٣ ج ٨ ص ٧١ .

رخصت الأسعار فلم ينف الفلانة بخراجها ومغرب السواد فجعله مقاسمه " (١). وذلك لان خراج المساحة كان متبعا من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى دولة بنى العباسى ، وخاصة فى عهد ابي جعفر المنصور ، ومن شدة اهتمام المنصور بأمر الخراج انه كان يوصى عمال الخراج ، حينما يوليه ناحية من النواحي ، وكان يحاسبهم على الخراج فيذكر الطبرى " وولى المنصور رجلا من اهل الشام شيئا من الخراج ، فاوصاه وتقدم اليه فقال : ما اعرفنى بما فى نفسك ! الساعة يا هذا اهل الشام ! تخرج من عند الساعة فتقول الزم الصحة ، يلزمك العمل " (٢) .

وكذلك من توصيات المنصور لصاحب الخراج ، فهذه توصيه اخرى من توصيات المنصور " وولى رجلا من اهل العراق شيئا من خراج السواد ، فاوصاه وتقدم اليه فقال : ما اعرفنى بما فى نفسك ! تخرج الساعة فتقول : من مال بعدها فلا اجترأ اخرج عنى وامضى الى عطك ، فوالله لئن تعرضت لذلك لأبلغن من عقوبتك ما تستحقه ، قال : فوليا جميعا وصححا وناصحا " (٣) .

ان اهتمامه باختيار صاحب الخراج لأنه يعتبر احد اركان الدولة الاربعة فى نظره حيث لا يقوم الملك الا بهم ، وحين سئل المنصور عن هؤلاء الاربعة قال " هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم ، كما ان السرى لا يصلح الا باربعة قوائم ، أن نقصت واحدة وهى اما احدهما فقاضى لا تأخذه

١- ابن رجب / الاستخراج ص ١١ ، الماوردى / الاحكام السلطانية ص ١٧٦

ابو يعلى / الاحكام ص ١٨٥ .

٢- النابرى / تاريخ ٣/ ٣٩٨ ج ٨ ص ٦٧ .

٣- نفس المصدر / تاريخ ٣/ ٣٩٩ ج ٨ ص ٦٨ .

فى الله لومة لائم ، والاخر صاحب شرطة لينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فان ظلمها غنى ، والرابع - ثم عضى على اصبعة السبابه ثلاث مرات ، فيقول فى كل مرة : اه اه . قيل لــــه ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة (١) ومن محاسبته لعماله " ان المنصور دعا بحامل من عماله قد كسر خراجـــــة فقال له : اد ماعليك ، قال : والله لا امك شيئا ، ونادى الحنادى : اشهد ان لا اله الا الله ، قال : يا امير المؤمنين هب ما على الله ولشهادة لا اله الا الله فغلى سبيلة " (٢) . وكان اذا عزل عاملها أخذ ما له وتركه ففى بيت مال مستقل سماه " بيت مال المظالم " (٣) .

ومن محاسبته لعماله ، ما فعله مع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامله على خراسان ، قد اسر من قبل المجشر بن مزاحم ، الذى اوصله الى خازم بن خزيمه فيذكر الطبرى " ان خازم اتاه به ، فالبسه خازم مدرعة صوف وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قبل عجز البعير ، حتى انتهى به الى المنصور ومعه ولده واصحابه فبسط عليهم العذاب وضربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدر عليه من الاموال ثم امر المسبب بن زهير بقطع يد عبد الجبار ورجلية وضرب عنقه ، ففعل ذلك المسبب " (٤) .

-
- ١- نفس مصدر الطبرى / تاريخ ٣٩٨/٣ ج ٨ ص ٦٧ .
 - ٢- نفس المصدر / تاريخ ٣٩٨/٣ ج ٨ ص ٦٧ .
 - ٣- جرجى زيدان / تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٣٩ (عن الطبرى تاريخ ١٥٨ / ٦ .
 - ٤- الطبرى / تاريخ ١٣٥/٣ ج ٦ ص ٥٠٩ .

وكان لا اهتمام المنصور بعنايته التي ابداهها بامور الدولة حيث
انعكست اثارها على مملكته ، وقد افردت ازدهارا شديدا ، وكان اشد
حرصا على المال . وكان بخيلا يلقب بالدوانيقي - وذلك خوف الفتنة
فذكر المسعودي ان المنصور " لما مات خلف في بيت ماله ٦٠٠ . . .
درهم و ١٤٠٠٠ . . . دينار " (١) . وبعد تحويل هذه الدنانير السي
دراهم (وباعتبار الدينار = ١٢ درهم) فيكون مجموع ما خلفه المنصور (٢٦٨
طنون درهم) ، ولم يكن المنصور يقبل في الخراج من نقود بني أمية غير
الهبيرية والخالدية واليوسفية فسميت الدراهم الاولى المكروهه " (٢) .

وبعد ان التأمور الخلافة المباسية الى محمد المهدي (١٥٨ -
١٦٩ هـ) بعد وفاة أبيه المنصور ، حصلت تطورات في المجال الزراعي
وقيل على اثرها اوجد المهدي نظام المقاسمة " (٣) . بدلا من نظام
المساحة الموجودة ، فذكر الماوردي انه " أشار أبو عبيد الله * على المهدي
أن يجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف ان تسقى سيما وفي الدوالي على
الثث وفي الدوالي على الربع لاشي عليهم سواء ، وأن يعمل في النخل
والكرم والشجر مساحة خراج تقدر بحسب قربه من الأسواق " (٤) .

-
- ١- المسعودي / مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٧ .
 - ٢- البلازري / فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٦ .
 - ٣- ابن طباطبا / الفخري ص ١٨٢ .
 - *- أبي عبيد الله معاوية بن عمار (ابن طباطبا / الفخري ص ١٨٢) .
 - ٤- الماوردي / الأحكام السلطانية ص ١٧٦ .

فمن هذا النص نلمس من اشارة الوزير ابو عبيد الله أن يجهـل
ارض الخراج مقاسمة اى بمعنى أن أرض الخراج لم تكن مقاسمة او انما كان
خراج مساحة ، وكذلك نجد انه طلب منه ان يحل او يبقى النخل والكرم
والشجر مساحة خراج ، واما المقاسمة فى السواد فان الناس سألوها السلطان
فى اخر خلافة المنصور ، فقبض قبل ان يتقاسم ، اما المهدي فقد " امر بهل
فقسموا فيها دون عقبة حلوان " (١) .

فيجب ان نعرف ان خراج المقاسمة مرتبط بفلة النقود وانخفاض
قيمتها الشرائية ، وليس لمجرد رغبة الخليفة او مطالبة الاهالى ، وكان
الخراج يقسط ، وايضا يخفف عنهم ، فهذا ما فعله يحيى بن خالد البرمكى
فى فارس فذكر الجهمشيارى انه " فقسط الخراج على اهلها ، ووضع عنهم
خراج الشجر ، وكانوا يلزمون له خراجا ثقيلًا " (٢) وكان عمال الخراج يعذبون
اهل الخراج بصنوف العذاب من السباع والزناير والسنانير ، ولما تقلد
المهدي الخلافة ، وكان محمد بن مسلم خاصا بالمهدي ، فشاوره المهدي
بذلك فقال له محمد " يا مير المؤمنين ، هذا موقف له بعدة ، وهم غرما
المسلمين ، فالواجب ان يطالبوا مطالبة الغرما " ، فتقدم الى ابي عبيد الله
بالكتاب الى جميع العمال برفع العذاب عنه اهل الخراج " (٣) وكان اختيار
المهدي لعماله بمعرفة حتى اذا اراد اهل البلاد الاساءة اليهم يعرف
ذلك وهذا ما حدث لحمارة بن حمزة حينما تقلد خراج البصرة ، فاراد اهل

-
- ١- البلازرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٣٣ .
 - ٢- الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ١٥١ .
 - ٣- الجهمشيارى / الوزراء ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

البصرة ان يوقعوا به عند المهدي ، لانه كان اعور نصيبا وقد كرهوه لتهيبه
وكبره فكتبوا الى المهدي " انه اختان مالا كثيرا ، فسأله المهدي عن
ذلك فقال : والله يا أمير المؤمنين ان كانت هذه الاثوال التي يذكرونها
في جانب بيتي ما نظرت اليها ، فقال : اشهد انك لصادق ولم يراجع
فيها " (١) . وقد ذكر الجهشيارى قصة اخرى تدل على صدق ابن حمزة
وقد حدثت مع يحيى بن خالد " (٢) .

١- الجهشيارى / الوزراء ص ١٤٩ .

٢- المصدر السابق ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

وبعد ذلك الت الأمر الى الخليفة موسى الهادى (١٦٩-١٧٠هـ)
الذى لم تطل مدته ، وكان يتصرف فى اموال الخراج كيفما شاء ، وصرفها على
المقربين له ، فاراد أن يرضى أخيه هارون الرشيد بعد أن أجلسه على
جانبية فى مجلس من المجالس ثم قال : يا حراىى احمل الى أخى الف الف
دينار وإذا افتتح *الخراج فاحمل اليه النصف منه ، وأعرض عليه ما فى
الخزائن من مالنا ، وما اخذ من اهل " بيت اللعنة " * ف يأخذ جميع
ما اراد قال ففعل ذلك . . . (١)

ونحن نعرف أن هناك منافسة بين الهادى والرشيد وأن الأول كان
يفار من الثانى ، وأراد تحويل الخلافة الى ابنه جعفر دون الرشيد ، ومن
ناحية أخرى فإن الطيوس دينار ونصف الخراج وباقى الخزائن زائدا ما اخذ
من بيت اللعنة فهذا مبلغ كبير لا يتصوره العقل ، ومن أجل أن تبقى الخلافة
لابنه جعفر ضحى الهادى بهذه الأموال للرشيد .

* - افتتاح الخراج : الابتداء فى الجباية (انظر الخوارزمى / مفاتيح العلوم

ص ٤٠) .

* - بيت اللعنة : ان المنصور استكثر المال بما اخذه من اموال بنى امية بعد
ضرهم وهى كثيره لكن تلك الاموال ظلت منفردة فى خزانة خاصة يسمونها

" مال اهل بيت اللعنة " (ابن الاثير / الكامل م ٦ ص ٤٠) .

١- الرقاى / المأمون ج ١ ص ١١٨ ، ١١٩ .

وبعد ذلك التأمور الخلافة الى هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)
 وكان يشبه في افعاله بالمنصور الا في هذا المال ، وكان ينافسه في هذا
 البرامكة وما من احد من اهل خراسان الا ولخالد البرمكي عليه يد وانسه
 (قسط الزاج فاحسن فيه الى أهله * (١) . وكان التخفيف في الزاج ايضا
 في عهد الرشيد موجودا فذكر البلازري (بفلسطين فروز السجلات مفرد
 من خراج العامة وبها التخفيف والردود * وذاك ان ضياعا رفضت في خلافة
 الرشيد وتركها اهلها ، فوجهه أمير المؤمنين الرشيد هرثمه بن اعين لعمارثها
 مذعا قوما من مزارعها واكرتها الى الرجوع اليها على أن يخفف عنهم خراجهم
 ولين معاملتهم فرجعوا ، فأولئك أصحاب التخفيف وجاء قوم منهم بعد فردت
 عليهم ارضوهم على مثل ما كانوا عليه ، فهم أصحاب الردود * (٢) .

وقد حولت ايضا بعض ارض الزاج الى ضياع خلافة ، وبين البلازري
 السبب في ذلك فيذكر * كان بفلسطين في اول خلافة أمير المؤمنين الرشيد
 رحمه الله طاعون جارفا ربما أتى على جميع أهل البيت فخرجت ارضوهم
 وتمطلت فوكل السلطان بها من عمرها ، وتألف الاكره ، والمزارعين ايها
 فصارت ضياعا للخلافة ، وبها السامرة * (٣) .

وقد يلعب تصرف بعض العمال في اثاره الفوضى وهذا ما حدث في
 الجوف بحر ، ففي سنة ١٧٨ هـ كشف اسحق ابن سليمان بن علي بن عبيد
 الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أحجفت بهم فخرج

-
- ١- الجهمشيارى / الوزراء ص ٨٧ ، ٨٨ .
 - * الردود : ما يرد عليه ولا يحسب له (الغوازمى / مفاتيح العلوم ص ٤١) .
 - ٢- البلازري / فتوح البلدان ق ١ ص ١٧١ .
 - ٣- البلازري / فتوح البلدان ق ١ ص ١٨٢ .

عليه أهل الجوف وعسكروا ، وحاربوه ، وكذلك خرج أهل الجوف على الليث بن فضل اليهودي وذلك في سنة (١٨٦ هـ) حينما بعث اليهم بمساح يمسحون عليهم اراضي زرعهم فانتقصوا من القصة أصبح فتظلم الناس على الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا لمحاربة الليث * (١) ، وقد يكون ان أهل الليث ما ان يجدوا شغرا لكي يثروا الفوضى ، وذلك من اجل التخلص من دفع الخراج وذلك اما ناتج من فداحة ضريبة الخراج والمفروضة عليهم ، اوسو* تصرف اساليب الجباه ، وذلك نرى عند ما تجهز اليهم الجيوش لمحاربتهم من قبل الخليفة هارون الرشيد فنلاحظ حينما خرج أهل الجوف على اسحق بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن عباس ، بعث امير المؤمنين هارون الرشيد ، هرثمة بن اعين بجيش عظيم الى مصر فنزل الجوف وثلثاه اهله بالبطاعة واذعنوا باداء الخراج فقبل منهم ، واستخرج خراجا كه * (٢) .

وكان الحال يستعملون في اساليب الجباية السوط والمصا لا رغام الناس على دفع الخراج وذلك حينما خرج أهل الجوف على الليث بن فضل اليهودي ، وقد استمضى امرهم ، رفع محفوظ بن سليم الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن اخره بلا سوط ولا عصا فولا الخراج وصرف الليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها * (٣) .

وكذلك الاسلوب الذي اتبعه يحيى بن معاذ مع أهل الجوف الذي امتنعوا من اداء الخراج في ولاية الحسين بن جميع ، الذي اقصى من

١- المقرئ / خطط ج ١ ص ١٤٤ .

٢- نفس المصدر / خطط ج ١ ص ١٤٤ .

٣- نفس المصدر / خطط ، ج ١ ص ١٤٤ .

علمه وعين خلفا عنه مالك بن دلهم ، فكتب يحيى الى اهل الجوف " ان اقدموا
حتى أوصى بكم مالك بن دلهم وادخل بينكم وبينه فى أمر خراجكم قد دخل
كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد اعد لهم القيود فأمر بالأبواب فأخذت
ثم دعا بالحد يد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها (من سنة ١٩٣ هـ) (١)
وأن اساليب العمال الرعنا ، فى جباية الخراج من عسف وظلم وتعدي ، وسائل
التعذيب الأخرى كان سببا فى اثاره الختن والقلاقل ، وخروج بعض الولايات
عن العاصمة ، مما يؤدى ذلك الى اقامة حروب واراقة الدماء كثير من الابرياء
ولكى لا يقع مثل هذه المظالم بين الرعية طلب ابو يوسف من هارون الرشيد
انشاء رقابة على هؤلاء العمال وتحذيره من القبول بالظلم ، فقال " وانا أرى
ان تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وامانته يسألون عن
سيرة العمال وما عملوا به فى البلاد وكيف جبا الخراج على ما امروا به وعلى
ما وظف على اهل الخراج واستقر ، فاذا ثبت ذلك عندك وصح اخذوا بما استفضلوا
من ذلك اشد الاخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجهة ، والتكال حتى لا يتعدوا
ما امروا به وما عهد اليهم فيه فان كان ما عمل به والى الخراج من الظلم
والعسف فانما يحل انه قد امر به ، وقد امر بفيرة وان احلت بواحد منهم
العقوبة الموجهة ، انتهى غيرهم واتقى وخاف ، وان لم تفعل هذا بهم
تعدوا على اهل الخراج وأجترؤوا على ظلمهم وتعسفهم واخذ بما لا يجيب
عليهم " (٢) ، وأشا رعليه ايضا انه اذا صح من هذا العامل او الوالى التعدي
بظلم وخيانة وعسف فى الرعية فانه محرم عليه استعماله والاستعانة به والا يتقدم

١ - المقرئى / الخطط ١ ص ١٤٥ .

٢ - ابو يوسف / الخراج ص ١٢٠ .

شيئا من امور الرعية ، بل يحاقب عقابا يكون ردعا له ولأ مثاله .

وأن الخراج العادل يقابله عمارة واجر ، واما الخراج الظالم فهو الآخر يقابله خراب وعقاب ، ويقترح ابو يوسف على الخليفة هارون الرشيد الطواف بالأقاليم وسماع شكاوى المظلومين فقال " فلو تقربت الى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيته في الشهر او الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوت ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته . . . " (١) .

وليس معنى ذلك اننا نتهم جميع العمال والولاة باثارة الفسنة والقلق والشغب ، بل ان هناك من الرعية من يكونوا سببا في ذلك ، حيث يماطلون ويدافعون في الخراج ، فذكر الجهمشيارى انه " كان بمصر قوم يدافعون بالخراج ، ويكسرون بعضه فاحضر عمر (ابن مهران) اشد هم مدافعة والطايطا مطالبة فأستمهله فامهلة ثم طالبة ثانية فاستمهله فامهلة مدة ، ثم فعل ذلك في الثالثة فلما حل الاجل دافعة ايضا ، فحلف بايمان مؤكده انه لا يستاديه الا في بيت المال بمدينة السلام ، ثم اشخصه الى الرشيد ، وكتب اليه يخبره فبذل له الرجل اداء المال ، فأبى عليه ان يقبضة منه وأقام على الا يؤد يمة في بيت المال ، فخاف الناس جميعا منه مثل ذلك ، وسارعوا الى الاداء فلم ينكسر له ولا تخلف درهم واحد " (٢) ، وكان الاحتمال موجودا في عهد الرشيد وذلك عندما كان عبد الله بن مالك ولي على خراج جرجان وكان يكتب

١ - ابو يوسف / الخراج ص ١٢١ .

٢ - الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٢٠ .

له حماد بن يعقوب ، وكان لعمرو الاعجمي هناك ضيعة ، وكان له كاتب ليما ن
ابن مساه ، فطلب عمرو من كاتبه ليما ن ان يذهب الى حماد ابن يعقوب في
وضع شيء من خراجها ، وبعد ان اكرمه حماد سألته عن حاجته ، فأدى اليه
رسالة صاحبه فقال حماد " وكم خراجك فقلت : ثمانية عشر الف درهم ، فدعا
بالدواة والقرطاس وكتب الى عامله بترك العرض للوكيل ، وأعطاه روزا بهما
للاحتساب بها في ارزاقه ، ثم قال : وكم خراجك انت في نفسك ؟ فقلت :
قد حملت اصلحك الله على نفسك وما كنت لا لكفك شيئا لي ، قال : لا أعطيك
الكتاب في أمر صاحبك ، فقلت له بعد ان حادته ساعة : ثمانية الف درهم
فكتب لي ايضا باحتسابها " (١) .

ومن الأساليب التي يتبعها الولاة والعمال في جباية الخراج فانهم
لا يتورعون عن القتل في ذلك ، وذلك حينما ولي الرشيد على بن عيسى بن ماها
على خراسان ، وصرف عنها الفضل بن يحيى وقد جمع على بن عيسى أموالا
جليلة ، وقد حمل الى الخلافة الف بدرة معموله من الوان الحرير ، وفيها
عشرة الاف درهم ، التي سربها الخليفة وكان معه يحيى بن خالد ، فقال له
هارون " يا أبا عبيد الله كان الفضل عن هذا ، فقال أمير المؤمنين ، ان خراسان
سبيلها ان تعمل اليها الاموال ، ولا تحمل منها ، والفضل اصلح نبيسات
رؤسائها ، واستجلب طاعتهم وطى بن عيسى قتل صناديد اهل خراسان وطرا
خفتها وحمل أموالهم " (٢) ، وليس تعامل من يحيى بن خالد على بن عيسى
الذي حل محل ابنه الفضل في خراسان بل كانت تلك الحقيقة ، وقد جاء هذا
على لسان هارون الرشيد ، عندما قصد دروب الصيارف ، وظهر الحقيقة
له فقال " صدقني والله يحيى ونصح لي فلم اقبل منه ، والله لسو أنفقت

١ - الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٦٩ .

٢ - الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٢٨ .

ألف وما بلغت شيئا * (١) ،

وعلاوة على ذلك فقد ازدهرت الحياة في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد وقد عظم امر الخراج في عصره ، وشقت الأنهار ، حتى ان وزيره يحيى حفر نهرا دعاه أبا الجند ، أنفق عليه عشرين ألف درهم * (٢) ، (٢٠ مليون) ، حتى أن موارد الدولة بلغت في عهد الرشيد " في كل سنة نحواً من خمس مئة ألف درهم من الفضة وعشر الاف دينار من الذهب " (٣) اي (٥٠٠ . ٠٠٠ من الفضة ، ٢٠ مليون دينار من الذهب) وكان هارون الرشيد يوصي عماله بالعدل والاحسان ، ان يحيى بن خالد ولي رجلا بمضي اعمال الخراج ، قد دخل به الى الرشيد ليراه ويوصه فقال ليحيى بن خالد ولجعفر ابنه اوصياه قال له يحيى : " وفر واعمر ، وقال له جعفر : انصف وانتصف ، وقال له الرشيد : اعدل واحسن * (٤) .

ونذكر الجهشيارى أيضا أن الرشيد بعد نكبه البرامكة استتمسك عمالا لم يعملوا معهم فقلد " محمد بن ابان خراج الأهواز وضياعها ، وقلند على بن عيسى بن يزدانيروز خراج فارس وضياعها ، وولى الغيفى بن ابي القيس الكسكرى وضياعها ، وولى الخطيب بن عبد الحميد مصر وضياعها * (٥) .

١ - الجهشيارى / الوزراء والكتاب ، ص ٢٢٨ .

٢ - صبحى الصالح / النظم ص ٣٨٩ .

٣ - حسن ابراهيم حسن / النظم ص ٢٣٣ .

٤ - الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٥٤ .

٥ - الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٥٤ .

وأن الرشيد أعاد الخراج إلى ٢/١ الحاصل (أي النصف) واستمر ذلك إلى آخر القرن الثاني الهجري. (١).

وبعد ذلك إلى أمر الخلافة بعد وفاة هارون الرشيد إلى ابنه الأمين سنة (١٩٣ - ١٩٨ هـ) ، وكان كثير اللهو واللعب منشغلا به عم تدبير ملكته فذكر الجهمشيارى أن الأمين عزم يوما على الاصطباح وقد احضرند ماؤه والمفنيين وصنعت الموائد ، فلما ابتداء ليأكل ، دخل عليه اسماعيل بن صبيح ، فقال يأمر المؤمنين ، هذا هو اليوم الذى وعدتني فيسنة ان تنظر في أعمال الخراج والضياع وماعات العمال وقد اجتمعت على أعمال منذ سنة لم تنظر في شىء منها ، ولم تأمر فيها (٢) .

ولم يكن هناك شيئا من أعماله في الخراج نكبه .

وبعد ذلك إلى الأمر إلى أخيه عبد الله المأمون حكم من سنة (٩٨١ إلى ١٠١٨ هـ) فقد كان من أعماله أنه خفف الخراج إلى ٥/٢ الحاصل ، فذكر ابن طقطقا أن " من أعماله ، مقاسمه أهل السواد بالخمسين وكانت المقاسمة الممهودة النصف " (٣) ، ورغم ذلك فإن بعض العمال كانوا يذيدون على الناس الخراج فسبب ذلك في إثارة الفتن وخروج القوم على المأمون ، وفى إمارة عيسى بن يزيد الحلوى على مصر ظلم صالح بن شيرزاد عامل الخراج الناس ، فذكر المقرئى أنه " زاد عليهم فى خراجهم فاشتقوا أهل أسفل الأرض وعسكروا

١ - الدورى / تاريخ الوافد الاقتصادى ص ١٨٢ .

٢ - الجهمشيارى / الوزراء ص ٢٩٩ .

٣ - ابن طقطقا / الفخرى ص ٢١٦ .

فبعث عيسى بابنه محمد في جيش لقتالهم فنزل بلبس وحريرهم فنجا من المعركة بنفسه ولم ينج احد من اصحابه " (١) ، ونجد ان شخصية الماصل طمب دورا كبير في الأزعان له بالطاعة او عدمه ، فاذا وجدوا من القوة والحزم والبراعة والصفه ازعنوا بالطاعة ، وادوا ما عليهم الوفاء والتزام ، اما اذا كانت كان على النقيض من ذلك فانهم يستخفوا به ، وتأملوا عليه ، فاذا كان من النوع الاول فقد ذكر البلاذري " وولى (على ارينية) بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمار بن خزيمه ثم روح بن ابي حاتم المهلبى ، ثم خزيمه بن حازم ثم يزيد بن مزيد الشيباني ، ثم عبيد الله بن المهدي ، ثم الفضل بن يحيى ثم سعيد بن سالم ، ثم محمد بن يزيد ابن مزيد ، وكان خزيمه اشد هم ولاية وهو الذى سن المساحه بد يمل والنشوى ولم يكن قبل ذلك ، ولم يزل بطارقسة ارمينية مقيمين في بلادهم يحيى كل واحد منهم ناحية ، فاذا اقدم الشفـر عامل من عماله داروه ، فان رأوا منه عفة وصراقة وكان في قوه وعدة ادوا اليه الخراج وازعنوا له بالطاعة " (٢) ، واذا كان العامل عكس ذلك فانهم استخفوا بامره ، فذكر البلاذري ايضا " وولسهم خالد بن يزيد بن مزيد في خلافة المأمون فقبل هداياهم وغلطهم بنفسه فافسد هم ذلك من فعله وجراهم على من بعده من عمال المأمون " (٣) وقد حدث لعلى بن هشام المروزي عامل قم بخراسان ، فقد عصاه اهلها وخالفوا ومنعوا الخراج وقد أمر كما يذكر البلاذري " بمحاربتهم وامده " المأمون " بالجيوش ففعل ، وقتل رئيسهم وهو يحيى بن عمران وهمدم سور مد ينتهم والصقة بالأرض ، وجباها سبعة الاف الف درهم وكسرا ، وكان اهلها

١ - المقرئى / الخطط ج ١ ص ١٢٥ .

٢ - البلاذري / فتوح البلدان ق ١ ص ٢٤٧ .

٣ - نفس المصدر / فتوح البلدان ق ١ ص ٢٤٧ .

قبل ذلك يتظلمون من الف الف درهم* (١) ، وكان المأمون لا يتوانى فسمى
محاسبة العمال ونكبتهم فذكر التنوخي (أن المأمون نكب عاملا له يقال له : عمرو
بن نهيو ، صهر موسى بن أبي الفرج بن الفحاك ، من أهل السواد موسرا
فأمر محمد بن يزداد أن يتسلم اليه ، ويمد به ، ويحاقبه حتى يأخذ خطبة
بمشرة الالف درهم ، ويستخرجها منه* (٢)

...

١ - البلاذري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
٢ - التنوخي / نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٣٢ .

٢ - تطور أساليب الجباية عند العباسيين :

لقد اهتم العباسيون بالخراج اهتماما كبيرا ، وخاصة الاساليب التي يجب بها الخراج ، والذي يدل على هذا الاهتمام من قبل الخلفاء العباسيين الاوائل انه وضعت كتب مستقلة خاصة بالخراج ، لتوضيح الاساليب الاسلامية النظرية لجباية الخراج ، كما تبين المبادئ الاسلامية التي كانت عادلة في التخفيف عن كاهل اهل الخراج ، فعلا حصلت تطورات في الضرائب وابتكرت انماط جديدة من وسائل الجباية ، او اساليب غير مباشرة — استمرار الاساليب التقليدية في الجباية ، وكان لهذه الاساليب مساوئها التي تظهر اثناء عرضنا لتلك الاساليب ، ومن تلك الاساليب التي اتبعت في عهد هذه الدولة :

١ - القبالة :

فلقد عرفنا هذا المصطلح وبيننا حكم السنة فيه ، وذلك عندما تعرضنا لهذا المصطلح في عهد الدولة الاموية لان هذا النظام كان شائعا في تلك الدولة ، وخاصة في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك ، حينما كان يتقبل منه فروخ ابا المثنى . (١)

١- الجبهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٦١ .

ثم بعد ذلك وجدت القبالة بشكل موسع في العصر العباسي ، غير
انها لم تكن النظام الامثل ، بل كانت فيها مفارقات ، وكانت قائمة على
التمسك والظلم ، ولذلك كرهها الفقهاء ، فقد اعطى ابو يوسف صورة دقيقة
عن القبالة والتقبيل في كتابه الخراج الذي قدمه لهارون الرشيد ، ورايت من
الاجري ان اذكر النص رغم طوله ، فقد قال ابو يوسف : " ورايت ان لا تقبل *
شيئا من السواد ولا غير السواد من البلاد فان المستقبل اذا كان في قبالة
فضل عن الخراج عسف اهل الخراج وحمل عليهم مالا يجب عليهم وظلمهم واخذهم
بما يحجب بهم ليسلم مما دخل فيه .

وفي ذلك وامثاله خراب البلاد وهلاك الرعية . والمتقبل لا يبالى
اهلاكهم بمصالح امره في قبالة ، ولعله يستفضل بعدما يتقبل به فضلا كثيرا
وليس يمكنه ذلك الا بشده عنه على الرعية وضرب لهم شديدا ، واقامته لهم
في الشمس ، وتعليق الحجارة في الاعناق ، وعذاب عظيم ينال اهل الخراج

التقبيل : ان يدفع السلطان او نائبه صقما او بلدة او قرية الى رجل
مدة سنة مقاطعة بحال معلوم يؤد به اليه عن خراج ارضها وجزية رؤوس -
اهلها ان كانوا اهل ذمه فيقبل ذلك ويكتب عليه بذلك كتابا (واختيار
الولاه لهم) بان يولى عليهم المحال المادلين الامناء (والتقدم اليهم)
اي الى الولاه بالوصية ان يعدلوا في الرعية والتحذير عن ظلمهم -
والوعيد عليه يقال : تقدم الامير الى فلان هكذا او في كذا اذا امره
ومنه وان عصاه عاصي فليقدم اليه الامير اي فليأمر (انظر الرعي / الرناج
ج ٢ ص ٣) .

مما ليس يجب عليهم من النساء الذى نهى الله عنه انما امر الله عز وجل
ان يؤخذ منهم الصفو ، وليس يحمل ان يكلفوا فوق طاقتهم .

وانما اكره القبالة لاني لا امن ان يحمل هذا المتقبل على الخراج ما ليس
يجب عليهم فيعاملهم بما وصفت لك فيصر ذلك بهم فيخرجوا ماعمرؤا ويدعو
فينكسر الخراج . . . وان الله قد نهى عن النساء . . . وانما هلك من هلك
عن الامم بحبسهم الحق . . . والحمل على اهل الخراج ما ليس بواجب عليهم
من الظلم الظاهر الذى لا يحمل ولا يسع * (١) .

وكذلك يحلّى المقرئى صورة عن الكفية التى تجرى بها عملية المتقبل
فيقول * ان متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاصى مسن
الفسطاط فى الوقت الذى تنهياً فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس
من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات ، وكتاب
الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ما ينتهى اليه مبالغ الكور على من يتقبلها
من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظلم والاستحار
وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من كان تقبل ارضا وضمنها السى
ناحيته * (٢) .

ويضيف المقرئى انه * يحمل ما عليه من الخراج فى ابانه على اقسلاط
وبحسب له من مبلغ قبالتة وضمانه لتلك الاراضى ما ينفقه على عمارة جسورها

١- ابو يوسف / الخراج ص ١١٤ .

٢- المقرئى / الخطط ج ١ ص ١٤٧ .

وسد ترعها وحفر خلجها بضريبة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبالغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقي * وكان الولاة يتشددون في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة " (١)

ثم يذكر المقرئ انه " اذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوا تعدلا جديدا فريد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى ان عمر احمد بن طولون الجامع " (٢) .

ورغم معارضة الفقهاء لهذه الطريقة في الجباية ، الا ان هذا النظام اخذ يسود في مختلف الامصار الاسلامية ، حيث كان يوظف على المتقبل مال معين في السنة يدفعه الى بيت المال في العاصمة " بغداد " ففي حين يتولى المتقبل قبض الخراج والجزية ومختلف الضرائب ، وله حرية التصرف فيها وفي الاوجه التي تنفق فيها ، وذلك ان الخليفة لا يبال به بشئ سوى المال والمضروب عليه .

* البواقي : الباقي ما هو باق على الرعية لم يستخرج بعد (انظر

الخوارزمي / مفاتيح العلوم ص ٤٠) .

١- المقرئ / خطط ج ١ ص ١٤٧ .

٢- المصدر السابق / الخطط ج ١ ص ١٤٧ .

ب- الضمان :

وتشير المصادر في حالات متفرقة الى طريقة من طرق الجباية عرفت باسم الضمان ، والضامن يتولى مسؤولية جباية الضرائب بما فيها الخراج في مقابل مبلغ معلوم يقدمه الى بيت المال مباشرة في المركز او في الاقاليم ، كما أن مثل هذا المنصب (الضامن) يجرى التنافس عليه بين عدد كبير من المتنافسين بقصد الحصول على الارياح ، ولهذا فان كلا منهم يقدم عرضا اعلى من الآخر من أجل ان يتوصل الى الحصول على هذا المنصب ، وفي النهاية فان الشخص الذي يقدم مبلغا اكبر يكون هو المرشح لتسليم الضامن ، ثم يجرى بعد ذلك تنظيم وثيقة تعاقدية بينه وبين الحكومة يجرى تحويله بموجبها ان يباشر عملية جباية الضريبة نيابة عن الدولة ويكون هذا التعاقد ساري المفعول عادة لمدة سنة هلالية واحدة ، وهذا يعطى للضامن سيطرة اكبر ، وأشار الطبري الى ان هذا النظام كان معمولاً به في عهد الدولة الاموية فيذكر ان " السقند كانوا قد اعانوا الترك أيام (سعيد) خزينة ، فلما وليهم (سعيد) الهوفش خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا اقيموا واحملوا اليه خراج ما مضى ، واطمنوا له خراج ما تستقبلون ، واطمنوا له عمارة ارضيكم والفرو معسة ان اراد ذلك " (١) .

وقد جرى تطبيق هذه الطريقة خلال عصور الخلفاء المباسيين
الأول في البداية وذلك ان الخليفة المنصور ولى محمد بن الأشعث على
صلاة مصر وخراجها ، ثم بحث اليه نوفل بن الفرات وقال له " اعرض عليه
ضمان خراج مصر فان ابى فاعمل على الخراج ، فعرض عليه ذلك ، فابى الضمان
خوفا من شح الموارد ، فأخذ نوفل الدواوين الى (دار الرجل) واقتصد
ابن الاشعث الناس فقليل له : هم عند صاحب الخراج ، فندم " (١)

غير ان هذه الطريق ثبتت بمرور الزمن حتى اننا لنجد اشارات
كثيرة في المصادر تؤكد ان طريقة الضمان قد اصبحت عامة وشائعة في عهد
الخليفة هارون الرشيد " (٢) ويظهر بأن هذه الطريقة استمرت طوال العصر
المباسي الاول ، وكانت مطبقة في العصر المباسي الثاني ، فقد اشار
القاضي التنوخي الى ان الخليفة المأمون قد دقق في مسؤوليات الضمان " (٣) .

يضاف الى ذلك بن طيفور وابن الفقيه قد قدما معلومات شابهة
حول مثل هذه الممارسات حتى نهاية عصر المتوكل .

وقد كان على الضامن ان يدفع كامل مبلغ الضمان مقدما ، ونفسى
بعض الحالات كان يسمح له بدفع القسط الاول في بداية التعاقد ثم يقسط
عليه الباقي وفق الاشهر الهلالية مما يتيح للحكومة الاسلامية فرض تغطيته

-
- ١- المجلان / فخرية الاسلام ص ٢٨٣ .
 - ٢- السامرائي / الزراعة ص ١٧١ ، هامش ٣ .
 - ٣- التنوخي / المستجاد من فاعلات الاجواد ص ١٥٦ .

نفقاتها ، وفي احدى الحالات تشير المصادر الى احد الضامنين الذى قدم وعدا او تعهدا بتزويد بيت المال المركزى فى العاصمة بدفعات من الصبالغ من اجل تغطية النفقات اليومية للدولة والتي كما يظهر كانت فى حاجة ماسة لذلك ، لتغطية نفقاتها اليومية وقد حصل ذلك فى حالة ضمان احمد الطائى والذى كسب التعاقد على ضمان قسما كبيرا من السواد عندما جابهت الدولة الحباسية ازمة مالية حارقة " (١) .

ومع ان هذا المثال قد حصل على فترة متأخرة عن موضوع بحثنا وهى فترة اوائل عصر المحتضر فانه بكل تأكيد يلقي ضوءا على طبيعة عمل الضامن وتفسيرا لمفهوم الضمان ، وفى عهد هارون الرشيد حينما اصبح ابراهيم بن الاغلب على ولاية افريقية ، انه ضمن ان يحمل كل سنة " ٤٠٠٠٠ دينار " (٢) .

وقد يكون السبب الذى دفع الدولة الحباسية الى اللجوء الى هذه الطريقة فى الجباية وهى طريقة (الضمان) هو حالة الدولة والازمات المالية التى كانت تمر بها ، وبعد الاقاليم وتحركات الخوارج والعلويين المستمرة ضد الدولة الحباسية مما اسهم فى وجود حالة عدم استقرار احيانا

١- الصابى / الوزرا' ص ١٣ - ١٥ .

٢- ابن الاثير / الكامل ج ٦ ص ٦٣ .

جـ الجهبذة :

ومن الاساليب المتطورة في جباية الخراج ، وفي الدولة العباسية وان كان الجهبذ معروفًا عند المسلمين في اوائل العصر الاموي منذ عهد معاوية بن ابي سفيان " (١) ولكن العباسيين وسعوا عمل الجهبذ الى المقاطعات ، كما ان بعض الولاة استعانوا بالجهايزة لجباية الضرائب في بعض المقاطعات ، وهذا ما وضعه الجهمشيارى في هذا المعنى ، حينما ذكر قصة الخليفة المنصور مع الرجل النصراني الذي اشترى سمكة من صياد بثلاثين درهماً وبعد التحقيق مع النصراني ، الذي اخبر بالمبلغ ، وحينما سئل من اين جمع هذا المال فقال النصراني " وانا امن يا امير المؤمنين فقال : انت امن على نفسك ان صدقت ، قال كنت جاز لا بسى ايوب سليمان (ابي) سليمان كاتبك ، فولاني جهبذة بمضى نواحي الاهواز ، فأصبحت هذا الحال " (٢) .

يذكر

والجهبذة ككاتب خراج ابن رسته انه كان معروفًا من الساسانيين بل انه يرجع الى عصر اقدم " (٣) ويذكر ايضا أن ال ابي دلف كانوا من جهايزة الحيرة " (٤) .

١- الجهمشيارى / الوزراء ص ٢٨ ، الدوري / تاريخ العراق الاقتصادي ص

١٥٨ .

٢- الجهمشيارى / الوزراء ص ١١٤ ، القس / تاريخ قم ص ١٤٩ .

٣- ابن رسته / الاعلاق النفسية ص ١٩٦ .

٤- المصدر السابق / الاعلاق النفسية ص ٢٠٣ .

ويذكر الدوري أن كلمة "الجهيزة" ليست حديثة ولكن مدلولها
تغير بمرور الزمن حسب تطور وظائف من تطلق عليه ، ويرى كذلك أنه لا يصح
تخصيص معنى واحد ثابت لها " (١) .

وقد عرف بعض اللغويين كلمة "جهيزة" ففي تاج المروس، يمسرف
الجهيز بـ "النقاد الخبير بخوامض الامور بطرق النقد" (٢) وأيضا يذكر
الخيروز ابادي بـ "النقاد الخبير" (٣) .

وعرف ابن ماتي الجهيز بأنه "كان يرسم الاستخراج والقبض وكتيب
الوصلات وعمل المحاريم والختمات ونواحيها ، ويطلب بها بقتضية تخريص
ما يرغمة من الحساب اللازم له لا الحاصل" (٤) .

ثم يورد الدوري بعض التعاريف لكلمة جهيز لمؤرخين اجانب
فيذكر "ويترجم (مند) كلمة جهيز بـ "صاحب مصرف" ويخطيها (ماسيون)
نفس المعنى / اما (دوزي) فيفسرها بـ "ناقد" او "صراف" ، بينما
يترجمها "فون كريمر" بـ "محاسب" ، ويخصص (اندروز) معناها بـ "كاتب"
مالي ، ويفسرها (مرجيلوت) بـ "جاني ضرائب" ، واخيرا نرى "فيشل"
يؤيد تعريف الجهيز بـ "صاحب مصرف" لانه يعتقد ان وظائف الجهيز
تؤيد ذلك " (٥) .

-
- ١- الدوري / تاريخ المراق الاقتصادي ص ١٥٧ .
 - ٢- الزبيدي / تاج المروس ج ٥ ص ٥٥٨ .
 - ٣- الخيروز ابادي / القاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٢ .
 - ٤- ابن ماتي / قوانين الداوين ص ٩ .
 - ٥- الدوري / تاريخ المراق الاقتصادي ص ١٥٧ - ١٥٨ .

ومن هذه التعاريف يتضح ان كلمة جهيز كانت تطلق على صاحب
المصرف ، وعلى كاتب الخراج ، وقد يكون السبب التباس الكلمة لدى المؤرخين
واللغويين .

وبعد هذا التحليل الوجيز نعود مرة اخرى لهذا النمط الجديد
الذي أصبح من وسائل الجباية في عصر الدولة العباسية ، فعلم الجهميد
أن يتسلم من الخراج والموارد الاخرى ، ويساعده في عمله كاتب خاص ، وهذا
يقدم قائمة خاصة بالدخل ، والتي اخير تقابل في النهاية مع قائمة الجهميد
والتي تقابل معنا مع " البراءات " * والتي تأتي بمعنى الوصولات وسنفسد
الاستلام .

والجهميد يصدر كتابا في كل شهر بالاستخراج والجمال والنفقات
والحاصل وهذا الكتاب يعرف " بالختمة " وعلى هذا النمط يصدر او يرفع
الجهميد كتابا سنويا يعرف بـ " الختمة الجامعة " (١)

وان ما يتسلمه الجهميد بدل خدماته اجورا من الضرائب المعباه
تدعى " حق الجهميد " وهذا ما يسميه البوزجاني بـ " الرواج " وهناك رواج
الرواج وهي اجور تجبي لساحدي الجهايزة وعلماهم وهذه الرسوم غير
محدودة وتعتمد على رغبات العمال والجهايزة والمستخرجين " (٢) .

* البراءات : جمع " براءة " وهي حجة يذللها الجهميد او الخازن للمؤدى
بما يؤدىه (الخوارزمي / مفاتيح ص ٣٧ - ٣٨ .

١- الخوارزمي / مفاتيح المعلوم ص ٣٧ .
٢- انظر البوزجاني / كتاب المنازل ٢٥٣ ب - ٢٢٦ أ (عن السدوري
تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٨٤) .

وأما تحديد ها فيكون حين بعين الجهميد * (١) .

وكان هذا المنصب يرفع له الاشخاص الاموال من اجل الحصول عليه وان كان بعضهم فقيرا ، فانه يفكر في ان يكسب منه اموال كثيرة ، ويعطى مسكويه صورة عن ذلك ، وان كانت هذه الصورة او المثل في وقت متأخر اى في بداية القرن الرابع الهجرى ، ولكن القصد من ذكره هنا توضيح ما كان عليه امر وظيفة الجهميد فذكر مسكويه انه " لما تمت الوزارة لابي مقلبة سار ابو الحسين الى ابي ايوب السمسار وبذل له عشرين الف دينار فقلبه اخوه ابو عبد الله البربري اعمال الاهواز سوى سوس وجند سياهور وقلد ابيو الحسن الذاتية ، وابو يوسف الخاصة والاساحل على ان يكون الحال في ذمته الى ان يقع الوفا لهم فوفى لهم وقبر المال وكتب ابو طلى ابن مقلبة في القبض على ابي السلاسل فزج ابو عبد الله بنفسه الى تستر حتى حصلت واسبابه ووجد له في صناديقه وعند الجهميد عشرة الاف دينار فاخذها ووافقه على ان يصك بما كان عند الجهميد بنفقات باطلة واخذ من كاتبه الف دينار ومن خليفة ثلاثة الاف دينار * (٢) .

ففي هذا توضيح للاساليب المتبعة ، ليحصل بها الناس على المنصب وان كانوا من الناس الفقراء ، ويروى الجهميدى انه كان لممسر بن مهران ، عامل الرشيد على عصر جهميد يقوم بوظيفة محاسب لدى العامل

١- القصص / تاريخ قم ص ١٤٩ - ١٥٠ .

٢- مسكويه / تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٨ .

وقد طلب من خلافة ابي درة الذي أهدى له اهل مصر هدايا كثيرة لا يقبل من تلك الهدايا الا ما يدخل في جراب ولا يقبل حيوانا ، فقبل منهم الثياب والطيب والحنط والورق وكان يعزل كل هدية حذتها ويكتب عليها اسم صاحبها ، ثم أخذ في استخراج مال مصر ، فتسير له جباية نجمان * وتأخر النجم الثالث ، وقد تلج اصحابه ، نجمهم وقال لهم " أنى قد حفظت عليكم ما اهدىتموه الى ، وأمر باحضارة واحضار الجهبذ فما كان من عين او ورق أجزاء من اهداه اليه ، وكان من ثوب او غيره باعه واخذ ثمنه حتى استفرق الهدايا كلها ، ونظر فيما بقي بعد ذلك فطالب به فسايع الناس الى الاداء فيقال انه عقد جماعه مصر من غير ان يبقى فيها درهم ، ولم يعهد ذلك من قبله" (١) .

ثم أنشأ ديوان في بغداد سعى " ديوان الجهبذة" (٢) ، وهذا الديوان يقوم " بتصرف الامور فيه كتاب اختصوا بالحسابات والامور المالية يطلق عليهم " الجهابذة" والفرس منه تدقيق حسابات الواردات والمصروفات الفرعية التي كانت لا تدخل في فصول الاموال" (٣) .

ويروى لنا التنوخي انه كان للجهبذة في زمن الرشيد دائرة خاصة لها شعبة بيت المال ، ان يقول عن شخص له " ابن داية امير المؤمنين (الرشيد) وهو الان جهبذ وصاحب بيت ماله" (٤) .

* - النجم -

- ١ - الجهبذيات / الوزرا والكتاب ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
- ٢ - قدامه / الخراج ورقة ١٩ ب ، الصابي / الوزرا ص ٢٦٢ .
- ٣ - السامرات / المؤسسات الادارية ص ٢٥٢ .
- ٤ - التنوخي / الفرع بعد الشدة ج ٢ ص ٣٩ .

ثم يصف لنا أيضا محل عمل الجيهنذ فيذكر " دخلت الدار فرأيت . .
في صورة رجل شاب بين يديه كتاب وجلها بذة وحساب ستهتوفيه عليهم ، ونسى
صفات الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الاموال والشواحين يقبضون
ويقبضون " (١) .

.. ..

د - وسائل اخرى :

وقد اتبع الجباه اساليب اخرى لجباية الخراج ، ومن هذه الوسائل او الاساليب هو ما يعرف (بالجمالة) * حيث كان بعض الولاة يجعلون بعض المال لمن يقوم بجمع جباية الخراج ، وقد يكون هذا الجعل الذى وظف له اكثر مما يطلب به الرجل من الخراج ، واذا لم يستوف مبلغه ، فانه يتبع ابشع الاساليب فى التمديب من اجل الحصول على المبلغ ، ويعطى ابو يوسف تفصيلا دقيقا عن كيفية الحصول على الجمالة ، وذلك فى خطابه الى هارون الرشيد ، فيقول * قد بحث رجلا من هؤلاء الذين وصفت لك (الذين لا يحفظون ما يولكون * بحفظه ولا ينصفون من يحاطونه انما مذهبههم اخذ شئى من الخراج) انهم معه الى رجل ممن لى عليه الخراج يأتى به فيأخذ منه الخراج فيقول له قد جعلت لك ان تأخذ منه كذا وكذا حتى لقد بلغتني انه ربما وظف له اكثر مما يطلب به الرجل من الخراج فاذا اتاه ذلك الموجه اليه قال له : اعطني جعل الذى جعله لى

الوالى فان جعلى كذا وكذا فان لم يعطيه ضريبة وعسفه وساق البقر والخنم
ومن امكنه من ضعفاء المزارعين حتى يأخذ ذلك منهم ظلما وعدوانا " (١) .

فهذا الاسلوب البشع الذى يستعطف العمال دون فهم لمعنسى
الجمال التى بينتها الشريعة الاسلامية .

ولاشك ان مثل هذه التصرفات ، كانت تستهدف جمع المال
بصرف النظر عن الاساليب التحسفية الزائفة ، وان الذين مارسوها كانوا
بعد من عن فهم الشريعة الاسلامية ، واعطوا صورة قاتمة للنظم الاسلامية
وبذلك اعطوا الفرصة للمستشرقين والغربيين لانتقاد الشريعة الاسلامية
وبث سموهم محتدمين على الغريب والنادر والفريد من الاحداث .

.. ..

٣ - ظهور الاختلاف بين النظرية والتطبيق :

ان النظرية الخراجية التي وضعت اساسها استنباطا من الشريعة الاسلامية ، وحدوث في اطار اقتصادي سليم يضمن للدولة حقها دون زيادة او نقصان ، وفي نفس الوقت يضمن للرعية حقوقا ثابتة ، وضريبة يدفعونها دون زيادة او نقصان مع رضا كامل ، وكما عرفنا ان هذا النظام وضع اساسه امير المؤمنين الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يكن هناك ثمة فوارق بين النظرية والتطبيق ، حتى اخر الخلفاء الراشدين امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، ومنذ بداية الدولة الاموية اخذ التطبيق يأخذ شكلا يخالف الجانب النظري . وقبل ان نتحدث عن ذلك ، وعدنا قليلا الى الوراء ، وخاصة في عهد الفرس ، فيذكر الدينوري ان " ملوك الاعاجم يضمنون على غلات الارضية شيئا معروفا من المقاسمات النصف ، والثلث ، والربع ، والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن ، على حسب الذكاء ، والربع ، فهم قباز باسقاط ذلك ، ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة ، فامر كسرى انوشروان باستتمامها " (١)

ويحد ان استتم المساحة ، ووضع الخراج على جريان ما مسح من الارض وعلى ما عده من الشجر والنخل ، وكان يجبي ذلك في ثلاثة انجـم

في كل اربعة اشهر الطث ، فاراد ان يستشير الناس في ذلك فذ كـ
الجهشياري ان انوشروان " استشارهم ، فلم يشر احد منهم بشيء ، فاعان
القول ثلاث مرات والناس صموت ، فقام رجل من عرض الناس فقال : ايها
الملك ، اتصنع الخراج الباقي على الانسان الثاني ، وعلى كبد تموت
وعلى زرع يجف ، ونهر يذهب ، وعين تفور فقال كسرى : ياذا الكفيسة
المشئوم ، من اي طبقات الناس انت ؟ فقال : انا رجل من الكتاب ، فقال
كسرى لكتابه : اضربه بالدوى حتى يموت فضربة الكتاب " (١) .

وهذا الذي رضى الباقر برأى الملك الذي صنف الوضائع على اصناف
الغلات والنخل والشجر ، فهذا ما كان عليه سوء حاله في وضع جباية
الخراج في السواد زمن الفرس .

وعند ما انتشر الاسلام في الجزيرة العربية ، وظهرت دعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم ، ففي هذه المدة كانت جل قوة المسلمين بقيادة الرسول
صلى الله عليه وسلم ، متجه نحو نشر هذا الدين ومحاربة المشركين المنادين
له ، ورغم ذلك فقد عرفنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كيف عامل اهل
خير وفدك وغيرهم من سكان المناطق المفتوحة ، حيث جعل ذلك عليهم
مساقات تبينهم بالنصف ، وعلى هذا المنوال استمر الخلفاء الراشدون ابوبكر
الصديق رضى الله تعالى عنه ، وحينما اخذت الفتوحات تخرج عن اطار شبه
جزيرة العرب فقد اصبح لهذا الفتح اثر في جباية الخراج ، فنجد ان امير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وضع نظام خاصا لجباية الخراج ، حيث فرض على كل نوح من الزرع غراجا خاصا يتلائم مع نوعيته وجودته ووراثته وقربه وبمده ، ووصول الماء اليه ، فقد فرض على ارض السواد على كل جريب من النخل ثمانية دراهم ، وعلى كل جريب من الكرم عشرة دراهم ، وعلى جريب القصب والشجر ستة دراهم ، وعلى جريب البراربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين * (١) .

كما لعب الفتح دورا كبيرا فى تنويع ملكية الارض المفتوحة ، حيث كانت مساقاة ، وذلك اقتداء بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر مثلا ، ولكن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، عند فتح العراق والشام ومصر رأى رأيا يتطلبه الوضع الذى يعيشه الامة الاسلامية فى عهده ، حيث كثر عدد الجند واصبحوا نظاميين تعطى لهم الرواتب ،

اضف الى ذلك ان عدد المسلمين اخذ يزداد بشكل كبير ، وبمقدار مشورة اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، رأى ان تبقى تلك الاراضى وقفا ونيثا لجميع المسلمين ، ولحق جاء بهمدهم ، فقال رضى الله تعالى عنه : " والله لولا ان يترك اخر الناس بيانا ليس لهم شئ فافتح الله عز وجل على المسلمين قرية الا قسمتها سهاما كما قسمت خيبر " (٢) . وكان اشهد الناس عليه فى ذلك الزبير ابن العوام ، وبلال بن رباح ولكن امير المؤمنين جعلها فينا ، وبمقتضى ما اشرنا الى ذلك من قبل عثمان بن حنيف على مساحة

١- الحقرىزى / افاتة الامة ص ٦٣ - ٦٤ .

٢- يحيى بن ادم / الخراج ص ٤٢ .

الأرض ، وبعت معه حذيفة بن اليمان ، وكان أمير المؤمنين حريصا كل الحرص على أن لا يكلف المسلمين فوق طاقتهم فقال لهما " كيف وضعتما على الأرض ، لملككما كلتما أهل مملكما مالا يطيقون ؟ فقال حذيفة : لقد تركت فضلا ، وقال عثمان : لقد تركت الضعف ولو شئت لأخذته . . . (١) . ورغم ذلك فان أمير المؤمنين لم يكتف بذلك ، بل انه بعث الى عثمان بن حنيف ، وحذيفة بهن اليمان ، بان يبعث كل واحد منهما بدهقان ومعه ترجمان ، وذلك مسين أجل مناقشتهم في امر الجباية ، فقال لهم عمر رضي الله تعالى عنه : " كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم في ارضهم ؟ قالوا : سبعة وعشرين درهما ، فقال عمر رضي الله تعالى عنه : لا ارضى بهذا منكم ، ووضع على كل جريب عامر او غامر يناله الماء قفيزا من حنطة أو قفيزا من شعير ودرهما " (٢) .

وكذلك الامر بالنسبة لمصر ، فان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، الح على عمرو بن العاصي في استشارة أهلها من اساقفة وغيرهم عن خير وسيلة لادارة البلاد ، ولذلك سال بينامين اسقف مصر قاضا عليه " ان تأتي عمارتها (مصر) وخرابها من وجوه خمسة : ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ، وتحفر خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا تقبل محل أهلها فاذا فعل هذا فيها عمت ، وان عمل فيها بخلاف غرست (٣)

١- أبو يوسف الخراج ص ٤٠ .

٢- أبو يوسف الخراج ص ٤١ .

٣- ابن عبد الحكم / فتوح مصر ص ١٦١ .

وتعليقا على الشرط الأخير اهتم به بينا من اهتماما كبيرا ، وأنه ذو أهمية كبيرة بحيث لا يختار عاملا ظالما ليلقى امور الناس لأنه رجل الإدارة المسئول عن تنفيذ الشروط الأخرى التي رأى ضرورة توافرها لصمران للبلاد وصلاحيها " (١) .

كما تم إلغاء الضرائب الثقيلة ، وإلغى الخراج على المسلم والغنم والخير والزئبق والحميا ، ، سواء كانت في أرض عشر أو أرض خراج " فالمسلم فيه المشر إذا كان في أرض الحشر ، وإذا كان في أرض الخراج فليس فيه شيء " (٢) .

وعندما آل الأمر إلى الدولة الأموية ، أخذ يظهر التباعد بين النظرية والتطبيق ، ويسير في شكل مغاير ، فنفذ الوليد الأولي لهذه الدولة فان معاوية بن أبي سفيان عين عبيد الله بن دراج خراج العراق ، وطلب من أهل السواد ان يهدوا له النواروز والمهرجان ، ففعلوا ، فبلغ ذلك عشرة الاف الف درهم (١٠ مليون) في السنة ، وهذا ما كان سائدا في النظام الساساني ، وإلغاء عمر رضى الله تعالى عنه ، وظهرت أيضا في هذه المدة تجاوزات الجاتهم إليها الضرورة ، بوضع اليد على أرض الخراج خلافا للقاعدة الشرعية ، حينما سئل عن القطائع ، فقد نظر عبد الملك ابن مروان إلى أرض من أراضي الخراج وقد بدأ أهلها ولم يتركوا عقبا ، فاقطعهم منها ، ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الخراج " (٣) .

١- المدوي / النظم ص ٢٠٢ .

٢- أبو يوسف / الخراج ص ٧٦ .

٣- الجهمشياري / تاريخ دمشق م ١ ص ٥٩٥ .

ومن تلك التجاوزات التي الجأتهم لان هذه المدة اى فى عهد
عبد الملوك بن مروان ، حيث كانت هناك أزمة مالية خانقة ، د فمتهم السى
تفهم ضريبة الزواج الى الحشر ثم شراء الاراضى من المزارعين وترحيلهم ، ومثل
ذلك الصوافى التي كان لابناء البيت الاموى نصيب ، وافر ، او نصيب الاسد
حتى اعاد الخليفة المعادل عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه تلك
الاراضى الى ملكيته الدولة الاسلامية ، حتى ان الامويين وقفوا فى وجهه
فلم يفلحوا ثم انهم وجبوا له عمته فاطمة بنت مروان فقال لها عمر " ان الله
تعالى بعث محمدا رحمة لم يبعثه عذابا - الى الناس كافة . ثم اختار له
من عنده . . . فترك لهم نهرا شربهم فيه سوا . ثم ولى ابوبكر فترك النهر
على حالة . ثم ولى عمر فعمل على عمل صاحبه . فلما ولى عثمان اشتق من
ذلك النهر نهرا . ثم ولى معاوية فشق منه الانهار ، ثم يزل ذلك النهر
يشق منه يزيد ومروان وعبد الملوك ابنه ، والوليد وسليمان ابنا عبد الملوك
حتى افضى الامر الى وقد ييس النهر الاعظم ، ولن يروى اصحاب النهر
يعود اليهم النهر الاعظم الى ما كان عليه " (١) . ثم تحويل كثير من
الاراضى الخراجية الى ارض متروكة وبور ، وبعد ذلك التقدم يطلب استئقاتها
واستصلاحها لانها ، أصبحت موات ، بسبب انتقال المزارعين من الاراضى
الخراجية الى الضياع الخاصة بسبب الاجور الكبيرة التي تدفع لهم ، ومن
هذا . يتضح ان التحول الذى طرأ على المجتمع الاسلامى ايضا مسؤول السى
حد ما عن الاختلاف الذى حصل بين النظرية والتطبيق . وان لسياسة

عمر بن عبد العزيز الحادلة في رد المظالم تمكس عن وجود مظالم تشمل الخراج ، وذلك لظهور عدد كبير من الضرائب المتنوعة غير الشرعية ، وهذا ما بينه خطاب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى واليه عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة " سلام عليك اما بعد ، فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور في الاحكام وسنه خبيثة سنتها عليهم عمال السوء وان اقوم الدين الحمل والاحسان فلا يكون شئ اهم اليك من نفسك . . . فانه لا قليل من الاثم ، وامرتك ان تطرز عليهم الارض . . . ولا تحمل خرابا على عامر وخذ منه ما اطاق واصلحه حتى يعمر وامرتك ان الا تأخذ في الزاج الا وزن سبعة ليس لها اسي ولا اجور الضرائب ، ولا اذابة الفضة ، ولا هدية الفيروز والمهرجان ، ولا تمكن الصحف ولا اجور الفتوح ولا اجور البيوت ، ولا دراهم النكاح " (١) .

واكد عمر بن عبد العزيز اعفاء من يسلم من الجزية ، وان الخراج سيستمر على الارض الخراجية . وهذا بالاضافة الى الاساليب الطوية التي اتهمها اهلها الخراج من الجأ وايغار وغيرها .

وفي العصر العباسي ظهر الاختلاف بين تطبيقات الخراج وبين الاحكام الشرعية الخاصة بذلك ، فقد اتبعت اساليب جديدة ومجحفة باهل الخراج حيث كانت فيها المفارقات ، وانها قائمة على الظلم والتعسف ، وحمل اهل الخراج بما ليس يجب عليهم ، وان يكلفوا فوق طاقتهم ، ويصعب ذلك

١- أبو عبيد / الأموال ص ٥٨ : الطبري / تاريخ لا يدن ٢ / ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ج ٦ ص ٥٦٩ ، ابن الاثير / الكامل م ٥ ص ٦١ .

الشدة مع الرعية ، من ضرب ، واقامتهم فى الشمس ، وتطليق الحجارة فى الاعناق ، فهذا عذاب عظيم يناله اهل الخراج " (١) ، وهذا لا يتفق مع احكام الشريعة فى شئ وهذا يدل على ان العباسيين لم يكونوا احسن حالا من الامويين ، وان المؤشر لا زال يبين ان هناك اختلاف بين النظرية والتطبيق ، وكل منهما يأخذ طريقا مختلفا عن الآخر ، وقد لمس هــارون الرشيد هذا الاختلاف ، وذلك حينما طلب من ابو يوسف ان يضع له كتابا جامعا فقال ابو يوسف : " ان امير المؤمنين ايدى الله تعالى سالى ان اضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج والشور والصدقات والجوالى " * ، وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به ، وانما اراد بذلك رفع الظلم عن رعيته ، والصالح لا مرهم . وفق الله تعالى امير المؤمنين وسدد له واعانه على ما تولى من ذلك " (٢)

.....

-
- ١- ابو يوسف / الخراج ص ١١٤ .
 - ٢- ابو يوسف / الخراج ص ٣ .
- *- الجوالى : جمع جاليه ، واصلها الجماعة التى تفارق وطنها وتتنزل وطنا اخر ومنه قيل لاهل الذمة الذين اجلاهم عمر ثم استعطت فى كل جزية تؤخذ وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه (ابو يوسف / الخراج ص ٣) .

الفصل الخامس

مقارنة لمدخلات الخراج في الدولة الإسلامية
حتى نهاية العصر العباسي الأول

- ١- الخراج على الراشدين .
- ٢- الخراج في العصر الأموي .
- ٣- الخراج في العصر العباسي الأول .

الفصل الخامس

مقارنه لمدخولات الخراج في الدولتين الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي الاول

ان المقارنة بين ثلاثة عهود ، لاشك انها تعطى صورة واضحة
لتطور الخراج ، وتبين مدى الاختلاف بين تلك العهود .

ولو عدنا قليلا الى الوراء ، لوجدنا كما بينا سابقا ان الساسانيين
طبقوا طريقة المقاسمة في العراق ، وبعد الفتح الاسلامي اقترح عثمان بن
حنيفة على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان يوظف عليهم وظيفته
على ان تكون عادلة وشاملة ، وتقدم المصادر صور لتطبيقات مختلفه في تخمين
او تقدير الضرائب ، وما طبق في عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وعند وضعنا جدول لاجراءات أمير المؤمنين في فرض الخراج ، وقد بينا في
الاحصائيين ان هناك اكثر من عشرين طريقة مختلفه ، بعضها متشابه في
بعض اجزاءها ، غير ان تختلف في التفاصيل الدقيقة انه من الامور التي لا
تدخل اطار هذا البحث ، ان تقدم تفصيلات دقيقة عن التطورات الحاصلة
في نسبة الضريبة او الجباية فقد نقلت المصادر ، وجهات نظر مختلفة
كثيرة وتختص بهذه المسألة ، وقد اختلفت اختلافا قد يكون عفويا وقد يكون
متممدا ، غير ان تطبيقات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في جباية
السواد لا بد ان تكون قد تغيرت بتقدم الزمن ولعلها لم تطبق على الدوام ونرى
العدالة والمساواة ، ولا بد من الاشارة الى ان سنوات حكم عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ، قد احدثت تغيرا جذريا في طبيعة الضرائب وطرق جبايتها ، ويمكن

ان نلاحظ اضافة الى ذلك بان طرق الجباية لم تكن الوحيدة التى شملها التفسير ، ان شمل التفسير ايضا وسائل المواصلات ، ومدى اهمية المقاطعات نظرا لقربها او بعدها عن مراكز التسويق ، ويضاف الى ذلك فقد تتغير أهمية قطع الارض المتساوية من ناحية الحجم والخصوبة اذا تعرضت المناطق المحيطة بها او القرية منها الى تطورات تؤثر فى أهميتها فقد تعتمد مجارى الانهار او تنخفض مناسيب المياه او يتحول مجرى النهر الى جهة ثانية ليكون عامل عرقلة او عامل تسير وتسهيل عطية الانتاج اضافة الى تأثير العوامل الجيولوجية والبيئية المؤثرة فى الانتاج بشكل عام ، كما ان الاحتمالات المتغيرة قد تعمل على تعرضها الى عوامل ، مثلا كتعرضها للفرق احيانا او الى ان تكون عرضة لأرجل الجراد او الحرائق مما سبب عنه اختلاف حاد فى طبيعة الانتاج ، وبالتالي فى الضريبة ، ولقد تعرض البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان الى مسألة مشابهة عندما ناقش الضرائب الزراعية خلال عصر الخليفة الراشد على بن ابي طالب بن ابي طالب كرم الله وجهه ، اذا اشار الى خطوات جديده اتخذها على بن ابي طالب كرم الله وجهه فى هذا المجال (١) وما هو جدير بالملاحظة فان مبادئ الاسلام قد جرى اعتبارها قاعدة أساسية فى جباية الضرائب مع حصول اختلافات جانبية تمكس وجهات النظر الفردية ولعل ذلك الاختلاف ناجم عن اختلاف البيئة الى عاشها أمير المؤمنين على بن ابي طالب كرم الله وجهه فى أطراف الجزيرة ، وفى الوقت الذى كان فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد عاش فى المدينة المنورة

فلم يكن له اتصال مباشر بمشاكل الزراعة أو المزارعين ، كما هو الحال بالنسبة لحلى بن ابي طالب كرم الله وجهه عندما نقل العاصمة الى العراق وعاش في الكوفة فان توجهاته للمزارعين كانت اكثر واقعية وقابلة للتطبيق وتحدث المصادر عن الاجراءات الواقعية التي اتخذها علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فسي محاولة منه لتحقيق التوازن بين الواردات والنفقات وهي تعكس على اى حال نزوع الى تحقيق مفهوم العدالة في تخمين الضرائب وجبايتها . (١) .

وقد اشار البلاذري مثالا الى التطور الحاصل والتغيير التدريجي في مستويات الضرائب والتي اشار اليها باسم (الطسوق) المختلفة والتي تعكس الى حد بعيد مدى ما اثر التطور الحاصل في موضع الارض واهميتها وموقعها وطريقة ارواها في تقدير الجباية . (٢) .

أما بالنسبة لمدخولات الخراج في عهد الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ، ويتمثل ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقد جباي السواد من الورق ، فبلغ " مائة الف الف وثمانية وعشرين الف درهم " (٣) أى (١٢٨ مليون درهم) ، كما جباي الخراج عثمان بن حنيف ولايته (شط الفرات) " وبلغ الخراج في ولاية مئة الف الف درهم " (٤) ، (١٠٠ مليون درهم) وخراج كسكر في السواد حينما استعمل عمر بن الخطاب

-
- ١ - ابن ابي حديد / شرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٧٠ .
 - ٢ - البلاذري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، قداه بن جعفر / الخراج ورقة ١٠٠ ب القمى / تاريخ قم ص ١٠١ - ١١٢ - ١٢٢ ، ولزيادة المعلومات انظر السامرائي / الزراعة ص ١٦٦ .
 - ٣ - ابن رسته / الاعلاق النفيسة ص ١٠٥ ، المقديس / أحسن التقاسيم ص ١٣٣ .
 - ٤ - البلاذري / فتوح البلدان ق ٢ ص ٣٣٢ .

رضي الله عنه النعمان بن مقرن بلغ " اثني عشر الف الف مثقال * لأصفهان " (١)
 أي (١٢) مليون مثقال " وافر عمر رضي الله تعالى عنه أهل السواد على منزلة
 أهل الذمة " فجبيت مائة الف الف وسبعة وثمانين الف الف درهم وقيل مائة
 الف الف وستون الف درهم (٢) أي (١٨٧) مليون درهم وقيل ١٠٠ . ٠٦٠ . ٠٠٠
 درهم) ، وخراج العراق " ثمانين مليون درهم " (٣) .

أما خراج مصر سنة عشرين بلغ " اثنا عشر الف الف دينار * (٤) أي بمعنى
 (١٢٠) مليون درهم) وقيل أيضا انه بلغ خراج مصر " ستة عشر الف الف دينار " (٥)
 أي بمعنى (١٦٠) مليون درهم) ، وجباية الاسكندرية وسائر أعمال مصر ، ،
 اجتباها عمرو بن العاص فوجدها " اربعة عشر الف الف دينار ، من خراج
 رؤوسهم لكل رأس دينار وخراج غلاتهم من كل مائة اردباردين " (٦) أي (١٤٠
 مليون درهم) .

* - المثقال : زنه درهم وثلاثة اسباع درهم (الخوارزمي / مفاتيح العلوم

ص ١١ ، ١٢ .

١ - الرحبي / الرتاج ج ٢ ص ٢٤٦ .

٢ - المقرئ / اغاثة الأمة ص ٦٤ .

٣ - اليعقوب / تاريخ ج ٢ ص ١٥٢ .

٤ - المقرئ / اغاثة الأمة ص ٦٤ .

٥ - ن . م . ج ٦٠٤ .

٦ - اليعقوب / تاريخ م ٢ ص ١٥٤ .

* - في العصر الاسلامي الاول ، الدينار = ١٠ درهم (موسى الحسين ،
 المازندراني / المقد الحنيري في تحقيق ما يتعلق بالدرهم والدينار ص ١)

جبي السواد في عهد عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه

جبي عثمان حنيف شد الفسرات	١٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
جبي لقمان بن مقرن كسكر	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
جبي المراق	٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
السواد	١٨٧ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
وقيل	١٠٠ ٠٦٠ ٠٠٠ درهم
خراج مصر ستمعشرين بلن	١٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
وقيل أيضا	١٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
الاسكندرية عمرو بن الماص	١٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم

وأن استعراضي التطبيقات الأموية قد ورد ضمن هذه المصادر أيضا غير أن صورة واضحة لا يمكن أن تستخلص من تلك المصادر وخصوصا فيما يتعلق في أحداث بعض الضرائب أو استعادة تطبيقها ، وأن تلك الطريقة العادلة والمتطورة قد طبقت كذلك في العصر الأموي بعد ما تم مسح الأراضي الزراعية في السواد من قبل بعض الولاة في العراق وخاصة والى العراق الأموي زياد بن أبيه .

فقد جبي الخراج في عهد الدولة الأموية ، وقد جبي خراج العراق في عهد معاوية * وطلب من أهل السواد أن يهدوا له الفيروز والمهرجـان ففعلوا فبلغ ذلك عشرة آلاف درهم في سنة * (١) أي (١٠ مليون درهم) وكذلك استخرج عبيد الله بن دراج لمعاوية من الأرض بالبطائح * ما بلغت غلته خمسة آلاف الف * (٢) أي (٥ مليون) ، وقد جبي السواد عبيد الله بن زياد * مائة الف الف وخمسة وثلاثين الف درهم * (٣) أي (١٣٥ مليون درهم) ، وجبي معاوية بن يزيد خراج العراق * مائة الف الف الف (٤) أي (١٠٠ مليون) ، كما جبي الحجاج الخراج في العراق (السواد) * مائة الف الف وثمانية عشر الف وخمسة وخمسة (٥) أي (١١٨ مليون) .

- ١ - الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٤ .
- ٢ - البلاذرى / فتوح البلدان ق ٢ ص ٢٥٨ .
- ٣ - الماوردى / الاحكام السلطانية ص ١٧٥ .
- ٤ - الطبرى / تاريخ جده ص ٢٢٥ .
- ٥ - الماوردى / الاحكام السلطانية ص ١٧٥ .

ثم بعد ذلك جبا أيضا في عهد الحجاج فصار إلى "أربعين ألف الف درهم" (١) أي (٤٠ مليون درهم) .

كما أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل قد جبا السواد فارتفع إلى "مائة ألف ألف وثلثمائة الف بعدله وعمارته" (٢) أي (١٢٠ مليون) ، وكما جبا السواد محمد بن هبيرة "مائة ألف الف سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة" (٣) أي (١٠٠ مليون) ، وقد جباه وجمعه أيضا يوسف بن عمر "مائة ألف الف درهم" (٤) أي (١٠٠ مليون) ، ثم وضع المقرئى قائمة لجباية الزاج بمصر فبين أن عمرو بن العاص جبا مصر "١٢٠٠٠٠٠٠ دينار" أي (١٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم) ، وجباها عبد الله بن سرح "١٤٠٠٠٠٠ دينار" أي (١٤٠٠٠٠٠٠ درهم) ، وجباها أيضا اسامة بن زيد في خلافة سليمان بن عبد الملك "١٢٠٠٠٠٠ دينار" أي (١٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم) ، وقد جبا مصر أيضا عبيد الله بن الحجاج "٤٠٠٠٠٠٠ دينار" (٥) أي (٤٠٠٠٠٠٠٠ درهم) .

١ - البلاذرى / فتوح البلدان ق ١ ص ٣٣٢ .

٢ - الماردوى / الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .

٣ - ن . م . ص ١٧٥ .

٤ - رجبى زيدان / تاريخ التمدن ح ٢ ص ٢٤ .

٥ - المقرئى / خطط ح ٢ ص ٤٩٢ .

جدول يبين جباية الدولة الأموية

١٠ درهم	هدية الفيروز والمهرجان
٥ درهم	استخراج عبيد الله بن دوح للبطائح
١٣٥ درهم	جبي عبيد الله بن زياد للسواد
١٠٠ درهم	جبي معاوية بن وهب خراج العراق
١١٨ درهم	جبي الحجاج السواد (العراق)
٤٠ درهم	جبي الحجاج السواد أيضا
١٢٠ درهم	جبي عمر بن عبد العزيز السواد فارتفع
١٠٠ درهم	جبي عمر بن هبيرة السواد
١٠٠ درهم	وجمعه أيضا يوسف بن عمر
١٢ درهم	جبي عمرو بن العاص مصر
١٤ درهم	وجباها عبد الله بن سرح
١٢٠ درهم	وجباها ايسامه بن زيد
٤٠ درهم	وجباها ايضا عبيد الله بن الحجاب

كما يمكن القول بانها قد استمرت بشكل عام خلال العصر العباسي الأول وخاصة خلال عهد ابو العباسي والمنصور ، وقد خدمت هذه الطرائق (التي اتبعت في عهد الخلفاء الراشدين والأيوبيين) تحقيق المداينة من وجهه ، كما خدم مصلحة بيت المال من جهة اخرى .

وفي عهد الخليفة المهدي ، حصل تغير جذري في طريقة الجباية فقد استبدلت طريقة الوظيفة بطريقة المقاسمة ، وكان الفضل في ذلك يعود الى وزيره الحازم أبي عبيد الله معاوية بن يسار ، فقد اقترح هذا الوزير على الخليفة تطبيق طريقة المقاسمة على الانتاج بدلا من الوظيفة الثابتة معللا ذلك بأنه يخدم مصلحة المزارع وبيت المال على السواء* (١) ، وقد دعم وجهته بالقول بان هذه الطريقة المبسطة والواضحة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتحه للخير ، وهكذا فقد استبدل أبو يسار طريقة المقاسمة لجباية الضرائب* (٢) .

وقد اشار بن يسار الى الصعوبات التي قاس منها ، دافعوا الضريبة عند ما تكون تلك الضريبة محدده بمبلغ معين من المال على كل جريب من من الأرض وذلك في تطبيق طريقة المساحة ، وذلك كما ذكر يخدم مصلحة بيت المال في حالة ارتفاع الاسعار ، ولكنه لا يصمد كثيرا في حين أن دافعي الضريبة يمكنهم في تلك الحالة تحقيق ارباح كبيرة لولا ان يتدخل الامام من أجل استمرار ذلك ، وفي مقابل فان استخدام طريقة المساحة غير العادلة

١ - ابن طباطبا / الفخرى ص ١٨١ .
٢ - الطبري / تاريخ ص ٣ ص ٤٩٣ ، ٥٢٢ ، قدام / الخراج ورقه ١٠١ .

قد تكون لها آثار سيئة في حالة انخفاض الاسعار في حين أن دافعى الضريبة يتعرضون لخسارة كبيرة فان بيت المال يتعرض هو أيضا لاضرار كبيرة مباشرة وغير مباشرة حيث ان بيت المال سيكون بحاجة ماسة الى نقود كثيرة لسد احتياجات المصايف والنفقات فيما تعجز عنه واردات بيت المال من تفضييه ولهذا فقد تقدم (بن يسار) بطريقة المقاسمة التى وصفها بأنها ستكون ملائمة لمصلحة بيت المال ، ولدافعى الضريبة على السواء بالإضافة الى أنها تستند الى اصل شرعى يتمثل فى تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم فى خيبر .

وهنا نعطى صور لقوائم الخراج فى عهد الدوله المباسية فى عصرها الأول .

ويعطينا الجهمشياري صورة لقائمة من قوائم الخراج ايام الخليفة هارون الرشيد فهي :

١ - أثمان غلات السواد :

ثمانون الف الف وسبع مئة الف وثمانون الف درهم .
(٨٠ ٧٨٠ ٠٠٠) درهم .

٢ - ابواب المال بالسواد :

اربعة عشر الف الف وثمان مئة الف درهم .
(١٤ ٨٠٠ ٠٠٠) درهم .
الحلل الضفرانية : مئتا خله (٢٠٠) خله .
الطين للختم : مئتان وارمون رطلا (٢٤٠) رطلا .

٣ - كسكر :

احد عشر الف الف وست مئة الف درهم .
(١١ ٦٠٠ ٠٠٠) درهم .

٤ - كورد جلسة :

عشرون الف الف وثمان مئة الف درهم .
(٢٠ ٨٠٠ ٠٠٠) درهم .

٥ - حلوان :

اربعة الاف الف وثمان مئة الف درهم .
(٤ ٨٠٠ ٠٠٠) درهم .

٦ - الأهواز :

- خمسة وعشرون ألف الف درهم .
- (٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
- السكر : ثلاثون الف رطل (٣٠ ٠٠٠) رطل .

٧ - فارس :

- سبعة وعشرون ألف الف درهم .
- (٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
- ماء الزبيب الاسود : عشرون الف رطل (٢٠ ٠٠٠) رطل .
- الرمان والسفرجل : مئتا الف وخمسون الفا (٢٥٠ ٠٠٠)
- ماء السور : ثلاثون الف قاروره (٣٠ ٠٠٠) قاروره .
- الانبجان : خمسة عشر الف رطل (١٥ ٠٠٠) رطل .
- الطين السيراقي : همسون الف رطل (٥٠ ٠٠٠) رطل .
- الزبيب بالكر الهاشي : ثلاثة اكرار .

٨ - كرمان :

- اربعة الاف الف ومئتا الف درهم .
- (٤ ٢٠٠ ٠٠٠) درهم .
- الخاق اليمني والخبيص : خمسمائة ثوب (٥٠٠) ثوب .
- التمر : عشرون الف رطل (٢٠ ٠٠٠) رطل .
- الكمون : مئة رطل (٢٠٠) رطل .

٩ - مكران :

اربعة مئة الف درهم .

(٤٠٠ . ٠٠٠) درهم .

١٠ - السند وما يليها :

احد عشر الف الف وخمس مئة الف درهم .

(١١ ٥٠٠ . ٠٠٠) درهم .

الطعام القفيز الكيرخ : الف الف قفيز .

(١ . ٠٠٠ . ٠٠٠) قفيز .

القليلة : ثلاثة فيلة .

الثياب الحشيشية : الفاثوب (٢٠٠٠) ثوب .

الفوط : اربعة الاف فوط (٤٠٠٠) فوط .

المود الهندي : مئة وخمسون منا (١٥٠) منا .

ومن سائر اصناف المود : مئة وخمسون منا (١٥٠) منا .

النمال : الفزوج (١٠٠٠) زوج ، وذلك سوى القرنفل والجوزيوا .

١١ - سجستان :

اربعة الاف الف وست مئة الف درهم .

(٤ . ٠٠٠ . ٠٠٠) درهم .

الثياب المعينه : ثلاث مئة ثوب .

الفانيد : عشرون الف رطل (٢٠ . ٠٠٠) رطل .

١٢ - خراسان :

- ثمانية وعشرون ألف الف درهم .
- (٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
- نقر الفضة الأصناء : الفانقره (٢٠٠٠) نقره .
- الجرازين : اربعة الالف برزون (٤٠٠٠) برزون .
- الرقيق : الفارأس .
- المناع : سبعة وعشرون ألف ثوب (٢٧ ٠٠٠) ثوب .
- الاهليج : ثلاث مئة رطل .

١٣ - جرجان :

- اثنا عشر ألف الف درهم .
- (١٢ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
- الابرسم : الفانما .

١٤ - قومس :

- الف الف وخمس مئة الف درهم .
- (١ ٥٠٠ ٠٠٠) درهم .
- نقر الفضة : الامنا : الفانقره .
- الاكسيه : سبعون كساء .
- الرمان : أربعون ألف رمانة (٤٠ ٠٠٠) رمانه .

- ١٥- طبرستان ، والريان ، ودنياوند ؛
ستة الاف الف ، وثلاث مئة الف درهم .
(٦ ٣٠٠ ٠٠٠) درهم .
الفرش الطبرى ؛ ست مئة قطعة .
الاكسية ؛ مئتا كساء .
الثياب ؛ خمس مئة ثوب .
الحناديل ؛ ثلاث مئة منديل .
الجامات ؛ ست مئة جام .

- ١٦ -

- اثنا عشر الف درهم .
(١٢ ٠٠٠) درهم .
الزمان ؛ مئة الف الف رمانه
(١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) رمانه .
الخوخ ؛ الف رطل .

١٧- اصفهان ؛

- سوى خمتمش ورساتين عيسى راديس .
احد عشر الف الف درهم .
(١١ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
الحسل ؛ عشرون الف رطل .
(٢٠ ٠٠٠) رطل .
الشمع ؛ عشرون الف رطل .
(٢٠ ٠٠٠) رطل .

٢٣ - انريجان :

- اربعة الاف درهم
- (٤) درهم

٢٤ - موقان وكرخ :

- ثلاث مئة الف درهم
- (٣٠٠) درهم

٢٥ - جيلان :

- من الرقيق : مائة رأس
- الجز والطلسان
- من الحسل : اثنا عشر زقا
- ومن الجزاة : عشرة جزاة
- ومن الأكسيه : عشرون كساء

٢٦ - ارمينية :

- ثلاثة عشر الف درهم
- (١٣) درهم
- البسط المحفورة : عشرون بساط
- الرقم : خمس مئة وثمانون قطعه
- المالح المنبوز ماهى : عشرة الاف رطل
- (١٠) رطل
- الطريخ : عشرة الاف رطل
- (١٠) رطل

الجزاة : ثلاثون بازيا .

البغال : مئتا بغل .

٢٧ - قنسرون والعواصم :

أربعة مئة الف وتسعون الف دينار .

(..... ٩٠ . ٤٠٠) دينار .

٢٨ - حمص :

ثلاث مئة الف وعشرون الف دينار .

(..... ٣٢٠) دينار .

الزبيب : الف رحلة .

٢٩ - الاردن :

ستة وعشرون الف دينار .

(..... ٢٦) دينار .

٣٠ - دمشق :

اربعة مئة الف وعشرون الف دينار .

(..... ٤٢٠) دينار .

٣١ - فلسطين :

ثلاث مئة الف وعشرون الف دينار .

(..... ٣٢٠) دينار .

ومن جميع اجناد الشام من الزبيب : ثلاث مئة الف رطل .

(..... ٣٠٠) رطل .

٣٢ - مصر :

سوى تنيس ود مياط والأشمون ، فان هذه وقفت للنفقات :
الف الف وتسع مئة وعشرون الف دينار .
(٩٠٠ ٠٠٠) دينار .

٣٣ - بزقة :

الف الف درهم .
(١ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .

٣٤ - افريقية :

ثلاثة عشر الف الف درهم .
(١٣ ٠٠٠ ٠٠٠) درهم .
من البسط : مئة وعشرون بساطا .

٣٥ - اليمن :

سوى الثياب .
ثمان مئة الف وسبعون الف دينار .
(٨٧٠ ٠٠٠) دينار .

٣٦ - مكة والمدينة :

ثلاث مئة الف دينار .
(٣٠٠ ٠٠٠) دينار .

ثم يعطينا ابن خلدون في مقدمته قائمة لجباية الزاج في عهد
ال خليفة عبد الله المأمون :

اسماء الأقاليم	من الدراهم	من الأموال والغلات
السواد	٢ ٧٨٠ ٠٠٠	ومن الحلل الفجرانية ٢٠٠ ملة ومن طين الختم ٢٤٠ رطلا .
كسكر	١١ ٦٠٠ ٠٠٠	
كوردجلة	٢٠ ٨٠٠ ٠٠٠	
حلبوان	٤ ٨٠٠ ٠٠٠	
الأهواز	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	وسكر ٣٠ ٠٠٠ رطل .
فارس	٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠	ومن ماء الورد ٣٠ ٠٠٠ قاروره ومن الزيت الاسود ٢٠ ٠٠٠ رطل .
كرمان	٤ ٢٠٠ ٠٠٠	ومتاع يمانى ٥٠٠ ثوب ومن الشمر ٢٠ ٠٠٠ رطلا .
مكران	٤٠٠ ٠٠٠	
السند وما يليه	١١ ٥٠٠ ٠٠٠	و ١٥٠ رطلا من العود الهندى .
سجستان	٤ ٠٠٠ ٠٠٠	ومن الثياب المعينه ٣٠٠٠ ثوب والفانيد ٢٠ رطلا .

(بعده)

تابع - قائمة الجباية

اسماء الاقاليم	من الدراهم	من الأموال والغلات
خراسان	٢٨ ٠٠٠ ٠٠٠	ومن نقر الفضة ٢٠٠٠ نقرة ، و ٤٠٠٠ برزون و ١٠٠٠ رأس رقيق ، و ٢٠ ٠٠٠ ثوب متاع ، و ٣٠ ٠٠٠ رطل اهليلج و ١٠٠٠ شقة ١ برسم .
جرجان	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	من نقره الفضة ١٠٠٠ نقره
قومس	١ ٥٠٠ ٠٠٠	و ٦٠٠ قطعه من الفرش الطبرى و ٢٠٠ كساء .
جراستان	٦ ٣٠٠ ٠٠٠	
والريان ود ماوند		و ٥٠٠ ثوب و ٣٠٠ منديل و ٢٠٠ جامه و ٢٠ ٠٠٠ رطل غسل .
الرى	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠	و ١٠٠٠ رطل من رب الرمانين ، و ١٢ ٠٠٠ رطل غسل .
همدان	١١ ٣٠٠ ٠٠٠	
ماها البصره والكوفه	١٠ ٧٠٠ ٠٠٠	
ماسندان والريان	٤ ٠٠٠ ٠٠٠	
شهرزور	٦ ٧٠٠ ٠٠٠	

(بعده)

تابع - قائمة الجباية

اسماء الاقاليم	من الدراهم	من الأموال والخلات
الموصل وما يليها	٢٤	و ٢٠ رطل من العسل الابيض .
اذ ربيجان	٤	
الجزيرة وما يليها	٣٤	و ١٠٠٠ رأس من الرقيق ز ٢٠٠٠ زق عسل وعش .
من أعمال الفرات		بزة و ٢٠ كساء .
ارضية	١٣	و ٢٠ من القسط المحفور و ٥٣٠ رطلا : من الدقم (وضرب من الوش) و ١٠٠٠ رطل من المسايح والسورماهي و ١٠٠٠ من الصونج (نوع من الاسماك البحرية) و ٢٠٠ رطل و ٣٠ مهر .
برقه	١	
افريقية	١٣٠	و ١٢٠ بساطا .
المجموع	٣١٨ ٦٠٠	درهم .

والجهات التالية وردت جبايتها بالدنانير

أسماء الاقاليم	من الدنانير	من الأموال والغلات
قنسرين	٤٠٠ ٠٠٠	و ١٠٠٠ حبل زيت .
دمشق	٤٢٠ ٠٠٠	
الاردن	٩٢ ٠٠٠	
فلسطين	٣١٠ ٠٠٠	و ٣٠٠ ٠٠٠ رطل زيت .
مصر	٢ ٩٢٠ ٠٠٠	
اليمن	٣٧٠ ٠٠٠	سوى المتاع (لم ذكر) .
الحجاز	٣٠٠ ٠٠٠	
المجموع	٤ ٨١٧ ٠٠٠	دينار وتساوى ٧٢ ٢٥٥ ٠٠٠ درهم باعتبار الدينار ١٥ درهما وهو تقديرة في ذلك الحصر .
فيكون المجموع بالدرهم	٧٢ ٢٥٥ ٠٠٠	
يضاف اليه جباية الاقاليم المذكورة قبله	٣١٨ ٦٠٠ ٠٠٠	
المجموع الكلى	٣٩٠ ٨٥٥ ٠٠٠	

خاتمة البحث

خاتمة البحث

معهد هذه الدراسة لنظام الخراج في هذه المدة من الزمن ، اتضح أن الخراج يحمل الثقل الأعظم بالنسبة لمصروفات الدولة ، وأنه يعتبر من أهم موارد الدولة الإسلامية ، إذا ما قورن بالموارد الأخرى . ونظرا لأهمية الخراج ، فقد اهتم به الخلفاء اهتماما كبيرا ، حتى أنه أصبح نظاما قائما بذاته ، وتبين أن هذه الأراضي الشاسعة ، والأموال الكبيرة لا بد لها من ديوان يحفظها فأنشئ ديوان مركزي خاص للخراج في العاصمة ، وهذا الديوان يضم حوالى ثمانية مجالس^(١) وكل مجلس يقوم بعمل خاص ، وهذا بالاضافة الى أنه يوجد بكل اقليم من الأقاليم التابعة للدولة ديوان خاص به مهمته أن يستوفي أعطيات الجند والنفقات الراتبه ، ويرسل الباقي الى المركز في العاصمة^(٢) .

وهذا يدل أيضا على كثرة الأراضي ، والتي تدر الأموال الطائلة بعد تغطية النفقات .

ولعب الخراج دورا كبيرا في تقدم الأمة الإسلامية وساعد على رفاهيتها فقد اهتم الأمويون به اهتماما كبيرا ، فكانوا ينفقون على البريد حوالى أربعة ملايين درهم^(٣) ، وكانت تدفع من الخراج . اهتم العباسيون بالبريد فأنشئ

(١) السامرائي / المؤسسات الادارية ص ١٩٦ .

(٢) الدوري / تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٤ .

(٣) جرجسي / التمدن ج ١ ص ٢٤١ .

السكك للبريد حتى لقد قيل ان بلغ عددها (٩٣٠) ونفقات الدواب واشانها وارزاق رجالها (١٠٠ و ١٥٩ دينار في السنة) (١) .

والا هم من ذلك العلاقة الوثيقة بين المزارعين والزراعة فـأدرك المسؤولون من رجال الدولة العباسية ، العلاقة الوثيقة بين الخراج وواردات الخزينة ، وان كل تحسن يطرأ على الحياة الزراعية ينعكس اثره على الخراج وغيره من الضرائب التي كانت تجبى من المزارعين او تفرغى على الزراعه * (٢) .

فقد ابدى العباسيون اهتماما كبيرا بنظام الري * (٣) فقاموا بحفر قنوات وجلبوا عددا كبيرا من المتخصصين بشؤون القنوات والارواء من مناطق مختلفة * (٤) .

وقد ذكر قدامه بن جعفر جانبا مما نصح به الوزير معاوية بن يسار الخليفة المهدى عن وجهة نفقات الارواء حيث كان يرى بان نفقات الارواء بما فيها من انشاء شيكات الارواء والتصرف وبناء السدود والنواظم وتقوية الضفاف يجب ان تدفع من قبل بيت المال * (٥) .

ومع هذا فالنصيحة التي ذكرها معاوية بن يسار - كما يبدو من النص - لم تؤخذ بنظر الاعتبار دائما ان تتحدث المصادر عن (نهر الصلة) الذي تم

-
- ١- جرجي / التمدن ج ١ ص ٢٤١ .
 - ٢- النخعي / نشوار الحافرات ج ٨ ص ٨٩ ، الدوري / اقتصادى ص ٣٨-٤٧ .
 - ٣- الطبرى / تاريخ ٣ / ٢١٥٩ / الصايبى / الوزراء ص ٢٥٧-٧ .
 - ٤- الجاحظ / التبصرة بالتجارة ص ٣٣-٣٤ .
 - ٥- قدامة بن جعفر / الخراج ورقة ١٠٠ ب .

حفرة في عهد المهدي نفسة ، فارغم من ان نفقات الحفر قد دفعت من بيت المال فان الخليفة قد اصدر امره بمضاعفة الضريبة المفروضة على المنطقة المستفيدة لمدة خمسين سنة تعويض لبيت المال عن تلك النفقات ، وقد تم بالفعل وضع شروط خاصة ، وقع المستفدون من المزارعين عليها اشعاراً باعترافهم بمسؤوليتهم في الدفع تجاه الدولة " (١) .

واكد ابو يوسف في (كتاب الخراج) على المسؤولية المالية للدولة لتغطية نفقات السدود والضفاف لدجلة والفرات ، وفي هذا المجال فانسه جعل الدولة مسؤولة عن اعادة بناء السدود المنهارة نتيجة الفيضانات . ولقد اشار الى ان مثل هذه النفقات يجب الا تكون مسؤولية المزارعين خصوصاً أولئك الذين يحملون في زراعة الاراضي (الخراجية) (٢) .

وعند حفر قنوات جديدة فان الطريقة العلمية لتغطية نفقات حفرها هي ان يدفع بيت المال الكلفة الاجمالية وقد اورد الجهمشيارى معلومات تفصيلية بخصوص كرى النقا طول الاعلى وانشاء قنوات توصيلية جديدة على عهد هارون الرشيد ، حيث بلغ تكلفة حوالي عشرين مليون درهم وقد تحملها بيت مال الدولة " (٣) . . .

من مظاهر اهتمامهم بشؤون الري والارواء ، كان هناك عدد كبير من المختصين بشؤون الارواء فكان هؤلاء يرسلون الى حيث تظهر الحاجة اليهم

١- قدامة / الخراج - القسم المطبوع ص ٢٤١ - ٤٢ .

٢- ابو يوسف / الخراج ص ٦٣ .

٣- الجهمشيارى / الوزراء والكتاب ص ٦٣ .

وكانت الحاجة الى (المساحين) كبيرة لوضع التصاميم ، وحفر القنوات الجديدة ، وكذلك الحال مع (المهندسين) المتخصصين لبناء السدود ، والنواظم . (١)

وتشير المصادر الى ان الدولة وقفت من المزارعين وبقية سكان السواد موقفا كان يهدف الى تأمين العدالة من جهة والى تحسين احوال معيشة الامة من جهة اخرى ، ولقد نقل لنا ابن ابي حديد مثالا نصيحة الخليفة على ابن ابي طالب كرم الله وجهه لعماله والتي طلب فيها منهم الاهتمام باحوال اراضي الخراج وسكانها ، لان في صلاحها صلاح للامة * (٢) .

كما اورد لنا كل من الطبرى والجهشيارى التعليمات التى اصدرها الخليفة هارون الرشيد الى عماله على الخراج التى اوصاهم فيها بالعدل والاحسان . (٣)

وبذلك فقد عرفنا كيف ان وجه الاهتمام الى العناية بالزراعة وتقدمها ، وللخراج دور كبير ايضا فى ايجاد جيش قوى يزود عنها ، فقد اكد ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، حينما اجتمع بالمشرة من الانصار وقال لهم " ارايت هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، ارايت هذا المدن العظام . كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر - لا بد لها من ان تشحن بالجيش . (٤)

-
- ١- الجاحظ / التبصرة بالتجارة ص ٣٣ - ٣٤ .
 - ٢- ابن ابي الحديد / شرح منہج البلاغة ج ١٧ ص ٧٠ .
 - ٣- الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢٣٣ ، الطبرى / تاريخ ٦٤٨/٣٠ ، الدنيورى / عيون الاخبار ص ١٣ .
 - ٤- ابو يوسف / الخراج ص ٢٧ .

وبهذا أصبح للدولة الإسلامية جيش دائم مرابط وكان الخراج — من اسباب رفاهية بعض الولاة ، حيث ان بعضهم اساء استغلال هذه الاموال ، كما ان بعض القواد استغل هذه الاموال (اموال الخراج) فى الانفصال السياسى عن الدولة ، ومحاربتها ، كما ان بعض الحكام يدعون الاموال الطائفة من الخراج للقواد من اجل استمالتهم وضمهم الى صفوفهم ، ولتتازل لهم عن خراج بعض الاقاليم ، بل وان بعض القواد يتنافسون على خراج اقليم معين ، وكما أن للخراج اثار سلبية على الدولة ، فله ايضا اثار على الدولة الإسلامية وخاصة فى تقدمها .

ومن خلال هذه الدراسة اتضح امامى نقطتان ذات اهمية كبرى فى نظرى ، تطلب منا الوقوف عليها وايضاح ما التمس على بعض الباحثين فالنقطة الأولى :

ان بعض المؤرخين ، قد اساءوا الى الدولة الإسلامية سواء اكان ذلك عن قصد او عن غير قصد ، بان اتهموا خلفاء الدولة الاموية باعادة فرض الجزية ، وهذا يعطى صورة غير التى ارادها الاسلام ، وبذلك اوجدوا ثغرة على هذه الدولة ، بث منها اعداد المسلمين سموهم — فقد اتهم هؤلاء الباحثون الحكام فى الدولة الاموية بانهم اعادوا فرض الجزية على من اسلم من رعاياها ، ونحن نعرف ان الدولة الإسلامية فى فتحها لاي اقليم ، فانها تخير اصحابه بين ثلاث امور ، الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب فهذه الجزية تسقط بالاسلام ، وهذه شرعا ، وحيث الدولة الاموية ببعض

حكّامها من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك بمن رعاياها من
الصحابه رضوان ففهم ويعتبروا تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم ، ان يرضوا
بذلك ، كما ان بعض الرعية يسلموا همها من دفع الجزية ، فالجزية التي
حصل فيها الالتباس عند الباحثين ، ان الامويين اعادوا الجزية التي
فرضها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، على رقاب اهل الجزية لانه
ترك في ايديهم الارض وقد اعتقوا بها ، فذكر قدامة " فان قسم الامام الارض
من من غلب عليها صارت عشيرة واهلها رقيق ، وان لم يقسمها وتركها
للمسلمين كافة فعلى رقاب اهلها الجزية وقد عتقوا بها وعلى الارض الخراج
وهي لاهلها " (١)

اذا فان الجزية المراد عند الامويين هي التي عتق بها اهل الارض
وهذه لا تسقط بالاسلام ، وهذه الجزية مفروضة على اهل او اصحاب الارض فقط
دون بقية اهل الذمة في الدولة .

١- قدامة / الخراج ورقة ٣٨ .

اما النقطة الثانية:

التي أثار انتباهي ، فهي تتعلق بميزانية الخراج وميزانية المظا^١ كان نظام ميزانية الخراج في الدولة الاسلامية على السنة القمرية (هلالية) وهذه السنة (سنة خراجية) ، ولكن بعد ان اتسعت الدولة الاسلامية وضمت اراضي شاسعه خراجيه مثل السواد والشام ومصر وغيرها من الاراضي تحولت السنة الخراجية من السنة القمرية (هلالية) الى السنة الشمسية فذكر البيروني " من المعروف ان عدة ايام السنة الشمسية في الحقيقة $\frac{1}{365}$ يوم و $\frac{1}{6}$ الساعة " (١) وتقويم ام القرى يجبر الكسر في $\frac{1}{6}$ اليوم و $\frac{1}{6}$ الساعة ، وتجعله يوم كامل فبذلك يصبح عدة ايام السنة ثلاث مائة وست وستون يوم فقط (٣٦٦) وبالرجوع أيضا الى تقويم ام القرى نجد ان عدة ايام السنة الهلالية (القمرية) ٣٥٥ يوم .

اذا ومن الواضح ان هناك فرقا بين السنة الشمسية والسنة الهلالية (القمرية) حوالي (١١) يوم ، أي بمعنى ان كل سنة شمسية تساوي سنة هلالية (قمرية) زائد احد عشر يوما (السنة الشمسية = سنة قمرية + ١١ يوما) وكل ثلاث سنين شمسية تساوي ثلاث سنين هلالية + ثلاث وثلاثون يوما ، أي (٣ سنين شمسية = ٣ سنين قمرية + ٣٣ يوم) وعلى هذا المنوال ، وعند مرور ثلاث وثلاثون سنة من السنة الشمسية يقابلة أيضا ثلاث وثلاثين سنة هلالية (قمرية) + ثلثمائة وثلاث وستين يوما ، أي عام الا ثلاثة أيام ، اذا كل (٣٣ سنة شمسية = ٣٣ سنة قمرية + ٣٦٣ يوما) .

والسنة الشمسية تعتبر سنة خراجية بينما السنة الهلالية (القمرية) تعتبر سنة عطا^٢ .

١ - البيروني / الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٤٢ - ٤٤ .

ومن هذا المنطلق نجد أن هنا سنة هلالية (قمرية) زائدة
من اين يدفع عطاياها ؟ .

ومن المعروف أن هذا الفرق لم يظهر فجأة ، ولكن بتداهل
السنين والاشهر في أيام سنة واحدة ، جعلها تمر بمراحل تدريجية حتى
لمست الدولة ذلك أخيرا ، وهنا ملاحظة ان بعض الباحثين يوجهون بعض
الاتهامات الى بعض الحكام بانهم اساءوا التصرف بأموال الدولة وانهم
يصرفونها على ذوى القربى والمقربين ، وان الرعية في أمس الحاجة الى تلك
الأموال ، فلو عرف الباحثون الفرق بين السنة الهجرية (الشمسية) وسنة
الحطاء (القمرية) وهى السنة التى ترفع الدولة الرواتب والمخصصات
والنفقات وغيرها ، لاتفصح الأمر والالتباس امامهم .

.....

فَاعْمَدِ الْمَصَادِرَ وَالْمُرَاجِعَ

المصادر

القرآن الكريم :

"المخطوطات"

- ١ - قدامه : ابو الفرج الحافظ قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي
(توفي حوالي ٣٣٤ هـ) ، " كتاب الخراج وخصمة
بكتابة " نسخه كويولى باستنابول تحت رقم ١٠٧٢ الا
ادبيات عربى .

"المصادر القديمة"

- ٢ - ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن بن على بن محمد بن محمد
بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) " الكامل
فى التاريخ " ١٢ جزء ، دار الطباعة القاهرة
(١٢٩٠ هـ / ١٨٧١ م) .

- ٣ - ابن الاثير : محمد الجزرى ابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) ، " النهاية
فى غريب الحديث والاثار " اربعة اجزاء ، دار احياء
الكتب العربية ، عيس الباهلى الطبلى وشركاه ،
الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

- ٤ - ابن أبي حديد : عبد الحميد بن هبة الله بن أبي حديد
(ت) " شرح منهج البلاغة " ١٩ جزءاً
بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء
الكتب العربية ، عيس البابلي الحلبي وشركة
الطبعة الاولى ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- ٥ - ابن تفرى بـ : جمال الدين أبي الحاسن يوسف بن تفرى
بردى الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ) ، " الفجر
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، ١٢ جزءاً
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة
الاولى ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- ٦ - ابن تيمية : شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين أحمد
ابن عبد العظيم الحارث ابن تيمية
(ت ٧٢٨ هـ) " مجموعة فتاوى " ٣٥ جزءاً
مطابع الرياض ، الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ .
- ٧ - ابن الجوزي : الحافظ أبي الخير محمد ابن محمد الدشقي
الشهير بن الجوزي (ت ٨٣٣ هـ) " النشر
في القراءات العشر " جزئين مطبوعة
مصطفى محمد عصر ؟
- ٨ - ابن الجوزي : أبو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
علي الجوزي القرشي البغدادي الحنملي
(٥٩٧ هـ)

١ - " زاد المسير في علم التفسير " ٩ اجزا
المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ، الطبعة

الاولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

بب - " سيرة عمر بن الخطاب " الطبعة الاولى ،

١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م .

جج - سيرة عمر بن عبد العزيز " مطبعة الامام

١٤ شارع على عبد اللطيف بالمالية

بمصر ٢ .

٩ - ابن مسكويه : ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم

(ت ٤٥٦ هـ) " المعلى " عنيت بنشرة وتصحيحه

للمرة الاولى ، ادارة الطباعة المنيرية سنة

١٣٥٠ .

١٠ - ابن الحكم : ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد

الحكم بن اعين القرشى المصرى " فتوح مصر

واخبارها " طبعة فى مدينة ليدن المحروسة

بمطبعة بريل ٩١٢٠ .

١١ - ابن حنبل : احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) " المسند "

١٥ جز ، شرحه وضع فهارسه احمد محمد

شاكر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة

سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

١٢ - ابن حوقل : ابو القاسم بن حوقل النصيبى (ت)
" صورة الارض " وبعض الكتب يكتب " المسالك "
والممالك . وهو منشورات دار مكتبة الحياة
ببيروت . ؟

١٣ - ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيد الله بن احمد بن عبد الله
بن خرداذبه الزاسانى (ت نحو ٣٠٠ هـ) ،
" المسالك والممالك " ويليها نبذ من كتاب
الخراج وصنعه الكتابه لابي الفرج قدامه
بن جعفر الكاتب البغدادي .

١٤ - ابن خلدون : ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد
بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي
الاشبيلي المالكي (ت ٨٠٨ هـ) .
١ - " المقدمة " (كتاب العبر ونهوها ن
المبتدأ والخبر) الطبعة الاولى ،
المطبعة الخيرية بمصر ؟
ب - " تاريخ " .

١٥ - ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد
بن ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي
الاويبلى الشافعى الاشعرى (ت ٦٨١ هـ)
" وفیات الاعيان وانباء ابناؤ الزمان " (٦ اجزاء)
باعثنا محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة
النهضة المصرية ، مطبعة السفاده - القاهرة

١٦ - ابن رجب : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي
(ت ٧٩٥هـ) "لاستخراج لأحكام الخراج" ، المطبعة
الإسلامية بالأزهر ، صححه وعلق عليه الأستاذ / السيد
عبد الله الصديق ، أحد علماء الأزهر الشريف ، الطبعة
الأولى سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م

١٧ - ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر بن رسته (ت ٢٩٠هـ) "الأعلاق
النفسية" ليدن ، أبريل ١٨٩١م .

١٨ - ابن سمد : أبو عبد الله محمد بن سمد بن منيع الزهري البصري
(ت ٢٣٠هـ) ، "الطبقات الكبرى" ٨ أجزاء ، دار بيروت
ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م

١٩ - ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الزاهي البغدادي
(ت ٢٢٤هـ) ، "الأموال" تحقيق وتعليق محمد خليل
هراس من علماء الأزهر الشريف ، منشورات مكتبه الكليات
الأزهرية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة
بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

٢٠ - ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي
(ت ٧٠٩هـ) ، "الفخري في الأدب السلطانية" المدول
الإسلامية ، دار بيروت للطباعة ، بيروت ١٣٨٥هـ -
١٩٦٦م

- ٢١ - ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٧٥١هـ) " تاريخ مدينه " بتحقيق صلاح الدين المنجد .
- ٢٢ - ابن عسكر : الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عسكر المالكي البغدادي (ت ٧٣٢هـ) " ارشاد السالك الى اشرف المالك .
- ٢٣ - ابن الفقيه : ابوبكر احمد بن محمد الهمزاني المعروف بابن الفقيه (ت) ، " مختصر كتاب البلدان " طبعة في مدينه ليدن المحروسة بمطبع بريل سنه ١٣٠٢ .
- ٢٤ - ابن قيم الجوزية : شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) " احكام اهل الذمه " حقه وعلق حواشه د . صبحي الصالح ، الطبعة الاولى مطبعة جامعة دمشق ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- ٢٥ - ابن كثير : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) " تفسير القرآن العظيم " قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطيه بدار الكتيب المصرية ، وصححها نخبة من العلماء ، طبع دار احياء الكتب المصرية ، الطبعة الاولى - ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .
- ٢٦ - ابن ماجه : ابو عبد الله بن يميز القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) " سنة " (خزان) حقق نصوصه ورقم كتبه وابوابه واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه سنه ١٣٧٣ / ١٩٥٣م .

٢٧ - ابن مالك : ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عمار التميمي
الاصبحي الحميري (ت ١٧٩ هـ) ، "الموطأ" (جزان ٤)
صححه ورقمه وخرج احاديثه وعلق عليه محمد قواد عبد
الباقي ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابسي
الحدادي وشركاه .

"المدونه الكبرى" ١٦ جز' في ثمانية مجلدات معها
مقدمات ابن رشد ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ / ١٩٧٨

٢٨ - ابن مائسي : ابو المكارم السعد بن الخطير ابي سعد مهذب
بن مينا بن زكريا بن ابي قدامه بن ابي طليح مائسي
المصري (ت ٦٠٦ هـ) .

"قوانين الدواوين" جمع وتحقيق عزيز سوربال عطية
الجمعية الزراعية المصرية الملكية ، مطبعة مصر
القاهرة ١٩٤٣ م .

٢٩ - ابن منظور : جمال الدين ابو الفضل محمد بن جلال الدين ابو
المزكرم بن نجيب الدين ابو الحسن علي بن ابي
القاسم بن حنبل بن منظور الانصاري الافريقي
المصري (ت ٧١١ هـ) ،

"لسان العرب" (١٥ جز') دار صادر ودار بيروت
للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى بيروت ١٩٥٥ م —

٣٠ - ابن النديم : ابو الفرج محمد بن اسحاق بن ابي يعقوب النديم
الوراق البغدادي (ت ٣٨٣هـ) .
"الفهرست" تحقيق رضا وتجدد ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م

٣١ - ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) .
"السيرة النبوية" ٤ اجزاء ، تحقيق نخبة من العلماء
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر
١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

٣٢ - ابوداود : ابوداود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي ،
(ت ٢٧٥هـ) ، "السنن" ٤ اجزاء ، مطبعة السعادة
الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ / ١٩٥٠م .

٣٣ - ابو يعلى : ابو يعلى محمد بن الحسين المزني الحنبلي (ت ٥٨٨هـ)
"الاحكام السلطانية" صححه وعلق عليه المرحوم محمد
حامد الفقي ، شركة مكتبة احمد بن سعد بن بنهان
سروبايا - اندونيسيا ، دار الفكر بيروت ، الطبعة
الثالثة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٤م .

٣٤ - ابو يوسف : القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ) ،
"كتاب الخراج" المتضمن هذه الطبعة على نسخة
مخطوطه في الخزنة التيمورية رقم ٦٧٤ فقه ، مع
معارضتها بطبعة بولاق سنة ١٣٠٢هـ ، الطبعة
السلفية ، نشره قصى محب الدين الخطيب ، الطبعة
الخامسة سنة ١٣٩٦هـ .

٣٥ - احمد الدردير : ابو البركات سيدى احمد الدردير ()
" من حاشية العالم العلامة شمس الدين الشيخ عرقه
الدسوقي على الشرح الكبير " ، المطبعة الكبرى الامر
ببولاق مصر المحميه ، الطبعة الثالثة سنة ١٣١٩ هـ .

٣٦ - الازهرى : ابو منصور منصور محمد بن احمد الازهرى (ت. ٣٧٠ هـ)
" تهذيب اللغة " (١٥ جزاء) تحقيق د . عبد السلا
سرحان ومراجعة محمد على النجار ، مطابع
سجل العرب بالقاهرة - الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

٣٧ - الاصطخرى : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى
(المعروف بالكرضى) (المتوفى فى النصف الاول من
القرن الرابع الهجرى) " المسالك والممالك
تحقيق د . محمد جابر عبد الحال : مراجعة
محمد شفيق غربال ، مجلد واحد ، الناشر دار القلم
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

٣٨ - البخارى : ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن اسماعيل بن
ابراهيم المغيره البخارى (ت ٢٥٦ هـ) .
" صحيح البخارى بالسندى " (٣ جزاء) الطبعة
الاولى ، المطبعة الشرقية فى مصر سنة ١٣٠٤ هـ .

- ٣٩ - البلاذرى : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جاهر داود البلاذرى
البغدادى (ت ٥٢٧٩هـ) .
" فتوح البلدان " نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح
الدين المنجد ، يتألف من ثلاثة أقسام ، ملتزمة النشر
والطبع مكتبه النهضة المصرية .
- ٤٠ - البهرونى : أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمي
(ت ٥٤٤هـ) ، " الآثار الباقية عن الفروخ الخالصة " .
يطلب من مكتبه المتنى ببغداد ، مجلد واحد .
- ٤١ - الترمذى : محمد بن عيسى الترمذى (ت ٥٢٠٩هـ) .
" صحيح الترمذى بشرح الامام بن العرب المالكي
(١٣ جزء) المطبعة المصرية بالازهر ، الطبعة
الاولى سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م .
- ٤٢ - التنوخى : القاضي ابي على المحيسن ابي القاسم على بن محمد بن
ابى الفهم داود ابن ابراهيم بن تميم التنوخى
(ت ٥٣٨٤هـ) .
١ - " جامع التواريخ المسمى نشوار المعاضره واخبار
الذاكره " تحقيق عبود الشمالى .
٢ - " المستجاد من فعلات الاجواد " عنى بنشرة
وتحقيقه محمد كردى على ، مطبوعات المجمع
العلمى العربى بدمشق ، مطبعه الترقى ، دمشق
١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

٣ - "الفرح بعد الشدة" (جزءان) دار الطباعة
المحمدية ، الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٥٥ م.

٤٣ - الشهبانسي - محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر
الفاروقى الشهبانوى الهندى الحنفى (ت بعد ٥٥٨ هـ) (هـ)
"اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشف واصطلاحات
الفنون" منشورات شركه خيضاط للكتب والنشر ش.م.ل
٩٠ - ٩٤ شارع بلس - بيروت - لينا - (٦ أجزاء) .

٤٤ - الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن خزيمة الكنانى
البصرى (ت ٢٥٥ هـ) .
"التبصرة بالتجاره" نشره حسن حسنى عبد الوهاب
التونسى ، المطبعة العمانية ، القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

٤٥ - الجواليقى : ابو منصور الجواليقى ، موهوب بن احمد بن محمد بن
الحصر (ت. ٥٥٤ هـ) .
"المعرب من الكلام الاعجمى على حروف الحجم" بتحقيق
وشرح ابي الاشبال احمد محمد شاكر القاهرة ، مجلد
واحد ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٦١ هـ .

٤٥ - الجوهرى : اسماعيل بن حماد الجوهرى (ت)
"الصاحح" تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق
احمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربى
بمصر .

٤٧ - الجهشيارى : ابو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشيارى

(ت ٥٣٣١ هـ) .

"الوزراء والكتاب" تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعة

الاولى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي واولاده ، القاهرة

٥١٣٥٧ - ١٩٣٨ م .

٤٨ - حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب حلبى القسطنطينيه (٥٦٧ هـ)

"كشف الظنون عن اسما الكتاب والفنون" (جزا'ان) مع

مقدمة للعلامة الحجة اية الله العظمى السيد شهاب

الدين النخعى المرعشى ، الطبعة الثالثة ، المطبعة

الاسلامية بطهران ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٧ م .

٤٩ - الخوارزمسى : محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب (ت ٥٣٨٧ هـ)

"مفاتيح العلوم" صححه ادارة الطباعة المنبرية

مطبعة الشرق - القاهرة ١٣٤٢ هـ .

٥٠ - الدينورى : ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى (ت ٥٢٨٢ هـ) .

"الاخبار الطوال" تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعته

الدكتور جمال الدين الشمال ، الطبعة الاولى القاهرة

١٩٦٠ م .

٥١ - الدينورى : ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت

٥٢٧٦ هـ) ، "عيون الاخبار" (٤ مجلدات) ، مطبعة

دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .

- ٥٢ - الزبيدي : محب الدين أبي الفتح السيد مرتضى الحسيني
الواسطي الزبيدي الحنفى (ت ١٢٠٥ هـ)
" تاج العروس من جواهر القاموس " الطبعة الأولى
المطبعة الخيرية، المنشأة بجمالية مصر المحمية
سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٥٣ - الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ)
" الكشف عن حقائق التنزيل وغيون الأقاويل " (.
بالهامش ، الكتاب الجليل المسمى " بالانصاف " .
للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن الميزالاسكندري
المالكي) . الطبعة الثانية ، بالمطبعة الكبرى الأمية
بيولا ق ، مصر المحمية سنة ١٣١٨ هـ .
- ٥٤ - الذهبي : شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
بن قايمالذهبي الدقشمى الفاروقى الشافعى ،
(ت ٧٤٨ هـ) .
" معرفة القراء الكبار على الطبقات والأصناف " جزأ ١ ،
حققه محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الأولى ، مطبعة
دارالتأليف ٨ شارع يعقوب بالمالية بمصر .
- ٥٥ - الرازى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى (ت .)
" مختار الصحاح " ٢ ، الطبعة الثالثة ، مجلد واحد .
- ٥٦ - الرحبى : عبد العزيز بن محمد الرحبى الحنفى البغدادى ،
(ت ١١٨٤ هـ) ، " فقه الملوك ومفتاح الرتاج
المرصد على خزانة كتاب الخراج " (جزأ ١) تحقيق
الدكتور أحمد عبيد الكبيسى ، مطبعة الارشاد ببغداد
١٩٧٣ م .

٥٧ - السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)
"الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" عن نسختي خزانة
المرحوم فقد العلم والاسلام الاستاذ احمد باشا تيمور
عني بنشره القدس ، مطبعة الترقى عام ١٣٤٩هـ .

٥٨ - السبكي : ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
(ت ٧١٠) .

"طبقات الشافعية الكبرى" (٧ أجزاء) تحقيق عبد
الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطنامي ، ،
الطبعة الاولى مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
(١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) .

٥٩ - السيوطي والمحلّي بجلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر
السيوطي (ت ٩١١هـ) .
جلال الدين محمد بن احمد المحلّي (ت)
"تفسير القرآن العظيم" المعروف بتفسير الجلالين
الطبعة الاولى ، بالمطبعة الحامره الطبعيه ١٣٢٤هـ .

٦٠ - الشافعي : الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
(ت ٢٠٤هـ)

الأم (٨ أجزاء) الطبعة الثانية ، دار المعرفه
للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

- ٦١ - الشيخ نظام : الشيخ نظام وجماعه من علماء الهند الاعلام .
" الفتاوى الهندية " في مذهب الامام الاعظم ابي حنيفه
النعمان ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان
- ٦٢ - الشيباني : محمد بن الحسن الشيباني
" شرح كتاب السير الكبير " (٥ أجزاء) املاء محمد بن
احمد السرخس ، وتحقيق عبد العزيز احمد ، مطبعه
شركة الاعلانات الشرقية ١٩٧٢ م .
- ٦٣ - الصابني : ابو الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال
بن ابراهيم ابن زهرون الصابي الحوران (ت ٤٤٨ هـ) .
" الوزراء و تحفه الامراء " في تاريخ الوزراء " تحقيق
عبد الستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربيه
القاهره ١٩٥٨ م .
- ٦٤ - صلاح الصفدي : صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي (ت ٥٧٦ هـ) .
" الوافي بالوفيات " (٤ أجزاء) الطبعة الثانية باعتماد
هالمون رفين ، يطلب من دار النشر مزانز شتاينز
بفيسلادن ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ٦٥ - الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري
الاقلي (ت ٥٣١ هـ) .
١ - " اختلاف الفقهاء " مجلد واحد ، الطبعة الاولى
طبع بمطبعتي الموسسات والترقي بمصر ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م .

٢- "جامع البيان عن تأويل أى القرآن" (٢٠ جزء)

شركة مكتبه ومطبعه مصطفى الباني الحلبي

وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م

٣- "تاريخ الرسل والملوك" (١٠ أجزاء) تحقيق

محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية

دار المعارف بمصر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م

٦٦- العلامة العين الحنفى .

"عمدة القارى" فى شرح صحيح البخارى (١١ جزء) ،

طبع دار الطبعه العامه سنة ١٣٠٨هـ .

٦٧- الفيروز ابادى : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى (

"قانونوس المحيط" (٤ أجزاء) مطبوع الطبع والنشر

شركة مكتبه ومطبعه مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الثانية - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م

٦٨- القرطبي : ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي

"الجامع لاحكام القرآن" (٢٠ جزء) .

الطبعة الثانية ، مطبعه الكتب المصريه ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م

٦٩- القلقشندي : ابو العباس احمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ) .

"صبحى الاعشى" (١٤ جزء) ، طبع بالمطبعة

الاميرية - بالقاهرة سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م .

- ٧٠ - القمى : حسن بن محمد بن حسن القمى (ت ٣٧٨هـ) .
" تاريخ قم " باللغة الفارسية ، ترجمه حسن بن على بن
حسن ابن عبد الملك القمى ، صححه جلال الدين
الطهران ، مطبعة مجلس ١٣٥٣هـ طهران .
- ٧١ - الكتبى : محمد بن شاکر بن احمد الكتبى (ت ٥٦٤هـ) .
" فوات الوفیات " (جزئين) وهو ذیل على " وفیات الانبياء
لابن خلكان " حققه وضبطه وعلق حواشه ، محمد محى
الدين عبد الحميد ، ملتزمه النشر والطبع مكتبته
النهضة المصرية .
- ٧٢ - الماوردى : ابو الحسن على بن محمد بن رجب البصرى البغدادى
الماوردى (ت ٤٥٥هـ) .
" الاحكام السلطانية والولايات الدينية " شركه مكتبته
ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة
الثالثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م .
- ٧٣ - محمد الموسوى : محمد باقر الموسوى الخوانسارى الاصفهانى ()
" رمضان الجنات فى احوال العلماء والسادات " (اربعة
أجزاء) ، فى مجلد واحد ، الطبعة الثانية .
- ٧٤ - مسلم : إمام ابو حسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ،
(ت ٢٦١هـ) . " صحيح " (٨ أجزاء) ملتزم الطبع
والنشر مكتبه ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة .

٧٥ - المسعودي : أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي
(ت ٣٤٦هـ) .

- ١ - " التنبيه والاشراف " بريك لايدن ١٨٩٣م .
- ٢ - " مروج الذهب ومعادن الجواهر " (٩ أجزاء) ،
دار الاندلس للطباعة والنشر تنفرد هـ
الطبعة بالفهارس العلمية المتنوعة ، وفقها ووليها
الاستاذ يوسف اسعد دافر ، الطبعة الاولى
بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

٧٦ - مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه
(ت ٤٢١هـ) " تجارب الامم " مطبعة شركة التمدن
الصناعية بمصر سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٤م .

٧٧ - الحقد يمس : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن
أبي بكر البينا ، المحدث الحنفي المعروف بالبشاري ،
(ت ٣٨٨هـ) " احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم " ،
باعثنا أدريخويه ط ٢ بريك لايدن ١٩٠٦م .

٧٨ - المقريزي : تقى الدين أبو المباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن
محمد الحسني الصبيدي (ت ٨٤٥هـ) .
١ - " افاعة الامم بكشف الغم " أو " تاريخ المجاعات
في مصر " اصدار دار ابن الوليد ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م .
٢ - " الحواظ والاعتبار في ذكرى الخطط والاشارة
(٤ أجزاء) مكتبه احيا العلوم ، طبع بمطبعة
الساحل الجنوبي الشياح ، لبنان ، ١٣٣٤هـ / ١٣٣٧م .

٧٩ - النساءى : احمد بن شعيب النسائى ، (ت ٣٠٣ هـ) .
"سنن" بشرح المحافظ جلال الدين السيوطى "المطبعة
المصرية بالازهر .

٨٠ - النووى : ابو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى (ت ٦٧٦ هـ)
"روضة الطالبين" (٦ اجزاء) المكتب الاسلامى
للطباعة والنشر ، غره رجب ١٣٨٦ هـ .

٨١ - الواقى : محمد بن عمر بن واقد ، (ت ٧٠٢ هـ) .
"كتاب المفازى" تحقيق الدكتور مارسدن جونز .

٨٢ - ياقوت الحموى : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى
الحموى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ) .

١ - "معجم الادباء" (ارشاد الاديب الى معرفته
الاديب) (٧ اجزاء) باعثة "مرجليوت ، الطبعة
الثانية ، المطبعة الهندية - القاهرة ١٩٢٣ م ،
١٩٣٠ م .

٢ - "معجم البلدان" (٦ اجزاء) ، دار صادر
ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٧٤ هـ ،
١٩٥٥ م .

٨٣ - يحيى بن آدم : يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ) .
" كتاب الخراج " حقة ووضع فيها رسه احمد محمد شاكر
المطبعه السلفيه ومكتبها القاهره ، المطبعه الثانيه
١٣٨٤هـ .

٨٤ - اليعقوب : احمد بن واضح (ت ٢٨٤هـ) .
" التاريخ الكبير " او " تاريخ اليعقوبي " (جز ١ ن) .
باعثنا " رى خويه - لا يدن ١٨٨٣م .

"المراجع الحدیثة"

- ١- احمد رضا : الشيخ أحمد رضا "معجم متن اللغة" موسوعه
لفويه حدیثه " دار مكتبه الحیاة ، بیروت ١٣٧٧هـ
٠م١٩٥٨
- ٢- احمد سوسه : الدكتور أحمد سوسه .
"الهیرف الادریسی فی الجغرافیا الحربیة" یتألف
من بایین کل باب کتاب ، ساهمت مؤسسه کولبنکیان
م ١٩٧٤م ، قام بالطبع مكتب صبری ، غالب صبری
وجمیل جلال .
- ٣- ادی شیر : السد اد شیر .
"الالفاظ الفارسیه" طبع فی المطبعه الکاثولیکیه
للاباء المیسوعیین فی بیروت سنة ١٩٠٨م .
- ٤- البستانی : بطرس البستانی .
"دائرة المعارف" جزء ١ ، مؤسسة مطبوعات
اسماعیلان ، تهران ، ناصر خسرو ، با سائر مجیدی .
- ٥- جرجی : جرجی زیدان .
"تاریخ التمدن الاسلامی" (٥ أجزاء) القاهره ١٩٥٨م
- ٦- حسن ابراهیم : الدكتور حسن ابراهیم حسن ، وعلى ابراهیم حسن
"النظم الاسلامیة" الناشر مكتبه النهضة المصریة ١٥
شارع المدایخ بمصر الطبعه الاولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

٧ - دائرة المعارف الاسلامية : يصدرها باللغة العربية ، احمد الشنشناوى
ابراهيم زكى خورشيد ، عبد الحميد يونس
مراجعتها محمد مهدي علام .

٨ - الدورى : الدكتور عبد العزيز الدورى .
" تاريخ الفرق الاقتصا دى فى القرن الرابع
الهجرى " الطبعة الثانية منقحه ، دار المشرق
ص . ب : ٩٤٦ بيروت - لبنان .

٩ - الرفاعى : الدكتور احمد فريد الرفاعى .
" عصر المأمون " الطبعة الثالثة - مطبعة دار
الكتب المصرية ، القاهرة ٣٢٦ هـ / ١٩٢٨ م .

١٠ - الزاوى : طاهر احمد الزاوى الطرابلسى .
" ترتيب القاموس المحيط " (٤ اجزاء) الطبعة
الاولى ١٩٥٩ م ، مطبعة الاستقامة .

١١ - السامرائى : الدكتور حسام قوام السامرائى .
" المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية "
خلال الفترة ٢٤٧ - ٣٣٤ هـ / ٨٦٠ - ٩٤٥ م ،
مكتبه دار الفتح دمشق - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

١٢ - سيد قطب : سيد قطب (٦ اجزاء) .
" فى ظلال القرآن " دار الشروق ، الطبعة
الشرعية الثامنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- ١٣- شقيق : أشراف محمد شفيق غربال .
" الموسوعة العربية الميسرة " (جزأ) القاهرة ،
١٩٦٥ م .
- ١٤- صبحي الصالح : الدكتور صبحي الصالح .
" النظم الاسلامية " نشأتها وتطورها " الطبعة
الثانية دار النظم للملايين ، بيروت ، جماد الاخرة
١٣٨٨ هـ ايلول ١٩٦٨ م .
- ١٥- عبد القادر الجزيري : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد
ابن ابراهيم الانصاري الجزيري .
" دور الفوائد المنظم " في اخبار الحج وطرق مكة
المعظمه ، الطبعة السلفية ومكتبها القاهرة ١٣٨٤ هـ
- ١٦- المجلان : الدكتور منير العجلان .
" عبقرية في الاسلام في اصول الحكم " الطبعة
الثانية ١٩٦٥ م .
- ١٧- المدوي : الدكتور ابراهيم احمد المدوي .
" النظم الاسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها
النفذية في صدر الاسلام ، والعصر الاموي ، الناشر
مكتبه الانجلو المصرية .
- ١٨- موسى المازندراني : موسى الحسن المازندراني .
" العقد المنير في تحقيق ما يتعلق بالدراهم
والدنانير " . الطبعة الثانية طهران ١٣٨٢ هـ .

المراجع الأجنبية

- Agnides, Muhammedan Theories of Finance, London 1944.
- Lokkegaard, F., Islamic Taxation in classic period, Copenhagen 1950.
- Miah, The reign of Al-Mutawakkil, Bairut 1966.
- Samarrai, H. Qu., Agriculture in Iraq during the 3rd century A.H., London, November 1970.
- Kister, M.J., Notes on three Arabic Mss. in the British museum., BSOAS 23 1960 pp. 390 - 2.